سقيفة بني ساعدة بين الشيعة والسنة

دراسة تحليلية لاجتماع الصحابة في السقيفة

دكتور سالم احمد

تقديم الدكتور محمد طاهر البرزنجي

صاحب كتاب صحيح وضعيف الطبري

الفهرست

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

وبعد فقد استلمت هذا الكتاب القيم من طريق البريد الإلكتروني وهومؤلف موسوم ب(سقيفة بني ساعدة) لمؤلفه الدكتور سالم حفظه الله ، وموضوع الكتاب بالغ الأهمية والتأثير في حياة الأمة وفكرها وتربية اجيالها المتعاقبة ولقد ذكرت مرارا وفي مناسبات عدة ان الامة التي لا تعرف قراءة تاريخها حق المعرفة لا تعرف ان تخطط لمستقبلها تخطيطا سليما. هذا فيما يتعلق بالتاريخ عامة اما فيما يتعلق بحادثة السقيفة فالأمر أخطر بكثير لانه شان متعلق بجيل مبارك كلفه الله عزو جل بنقل امانة الوحي من عند رسول الله إلى البشرية فجيل الصحابة هم وحدهم الذين تشرفوا برؤية وصحبة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام ، وأي مساس بعدالتهم مساس بالشريعة السمحاء لأنهم هم نقلة الشريعة ولكن ذلك لا يعني نعتهم بالعصمة من الخطا والزلل بل جمهور أئمة الحديث والفقه متفقون على جواز ورود الخطء منهم فهم بشر ولكنهم خير البشر .

ولأسباب عدة أخرى لا مجال لذكرها هنا كان لابد لفرسان هذا الميدان ان يشمروا عن ساعد الجد ويميزوا صحيح الروايات من سقيمها وذلك لا يتحقق بدراسة الأسانيد فقط بل بتحقيق المتون والتأكد من مطابقة نصوصها مع طبيعة وحقيقة المجتمع الاسلامي القائم آنذاك. وما كان عليه الصحابة الكرام من تفان وتجرد وخلق كريم وزهادة في الدنيا .

ولله الحمد فإن رواد مدرسة السيرة والتاريخ الإسلامي المتقدمين هم من علماء الحديث وعلم الرجال لذلك أصبح الطريق سالكا لمن من جاء من بعدهم لتنقية الروايات التاريخية واستخراج دررها ولئاليها من بين ركام الروايات الموضوعة والمكذوبة .

وإذا كانت دراسة الأسانيد أمرا شاقا فإن دراسة متون الروايات التاريخية أشد واشق، ومن خلال مراجعتي لمعظم صفحات هذا الكتاب القيم (وخاصة فيما يتعلق بعملية الشورى في سقيفة بني ساعدة ونتائجها وكذلك رواية ابن عباس ،رزية الخميس)تبين لي أن المؤلف الفاضل الأستاذ سالم قد حباه الله بملكة نقد قوية يسبر بها أعماق الرواية التاريخية ويبين

مواضع الخلل والضعف فيها فالوضاعون قد امتلات رواياتهم بنقاط ضعف كثيرة فجلها كذب واليسير منها غير ضعيف ولكن مواضع الكذب هذه لا يدركها إلا المتمرس الخبير ، ونقاد الرواية التاريخية نقدا علميا دقيقا وملتزما قد شكلوا بمجموعهم مدرسة حديثة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بصيغته الصحيحة بعيدا عن تشويه الوضاعين وتزوير المبطلين ،منهم من غلب عليه إبراز الجوانب الحضارية للتاريخ الإسلامي كأستاذنا الفاضل عماد الدين خليل وغيره ومنهم من غلب عليه دراسة وتحقيق أسانيد الروايات التاريخية وتصنيف صحيحها في كتاب خاص كأستاذنا الفاضل أكرم ضياء العمري وغيره وبقية أعلام هذه المدرسة الحديثة المباركة بين هذا وذاك ولقد ذكرتهم بأسمائهم في مقدمة سيرة سيدنا عثمان ر ضي الله عنه.. وأحسب أخي الدكتور سالم من هؤلاء النقاد الملتزمين الخبراء بعلل الروايات التاريخية من ناحية المتون ولا أزكيه على الله بل احسبه كذلك والله حسبنا وحسيبنا.

ثم إني وجدت اخي الشيخ سالم يستخدم طرقا عدة في نقد الرواية التاريخية فيما يتعلق بالصحابة الكرام فهو يستخدم الايات القرآنية الكريمة التي تثني على اصحاب رسول الله وفي مناسبات عدة ومما لا شك فيه ان الآيات القرآنية نصوص متواترة ولا يمكن لرواية تاريخية من صنف الآحاد ان تكون صحيحة وهي تخالف نصا متواترا كالقرآن..

ثم يستخدم أخي سالم ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح الصحابة وإثبات عدالتهم وخيريتهم. أضف إلى ذلك طبيعة المجتمع السائد آنذاك وطبيعة التربية النبوية الشريفة التي تلقوها مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم وإن كانوا خير البشر من بعد الأنبياء فإنهم بذلك لم ينسلخوا من طبيعتهم البشرية.

ولقد قمت بتخريج بعض الروايات المتعلقة بالسقيفة ضمن الصفحات المائة الأولى. واعتذر عن تخريج بقية الروايات لكثرة مشاغلي وواجباتي. وما لم أخرجه فقد خرج بعضه المؤلف بنفسه جزاه الله خيرا وإن كان بحاجة إلى مزيد من البيان والعزو إلى المصادر المتقدمة وتعليق الأئمة المحققين عليها وهو المرجو من أخي الدكتور سالم وبإمكانه الاستعانة كذلك بالتحقيقات الحديثة ككتاب تاريخ الخلافة الراشدة للأستاذ العمري ومرويات أبي مخنف

للأستاذ يحيى اليحيى وموسوعة الدكتور الصلابي التاريخية القيمة وكتب الأستاذ محمد المحزون واخي الدكتور محمد حامد خليفة والدكتور خالد غيث وغيرهم كثير.

ولا باس أن أذكر هنا تعليقا مقتضبا على مسالتين تأرخيتين بالغتي الأهمية وهي مسألة بيعة سيدنا علي لسيدنا أبي بكر ومسألة كتابة الوصية من عدمها في حديث رزية الخميس وإن كان أخي الدكتورسالم قد فصل وأجاد فلا بأس أن أوضح بعض الأمور هنا فأقول وبالله التوفيق:

بعد جمعي للروايات الصحيحة المتعلقة بمسالة البيعة ومراجعة ما ذكر هـ المحققون الأعلام من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين تبين لي أن الحق الحقيق أن سيدنا علي قد بايع أبا بكر خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيومين فقط وذلك ما أكده كبار الحفاظ المتقدمين كالإمام مسلم وابن خزيمة وغيرها والحفاظ المتأخرون كالحافظ ابن كثير والذهبي وغيرهما اعتمادا على رواية صحيحة محفوظة راويها صحابي جليل شهد تلك الأيام الحاسمة وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كما سنذكر بعد قليل.

وأما قول الزهري من أن عليا لم يبايع إلا بعد ستة أشهر فغير صحيح للأسباب التالية:

أولا: الإمام الزهري قاله مرسلا ولم يسنده إلى أحد من الصحابة (وذلك من دقة وأمانة الزهري ثم البخاري) ومعلوم أن أئمة الحديث لا يعتمدون على مراسيل الزهري (على جلالة قدره) ولقد قالوا مراسيل الزهري لا شيء.

ثانيا: عبارة الزهري (تابعي) هذه تخالف رواية مسندة موصولة صحيحة عن شاهد عيان (صحابي) وهو أبو سعيد الخدري الذي ذكر فيها أن عليا رضي الله عنه قد بايع أبا بكر على المنبر يوم البيعة العامة كما أخرجه البيهقي (143/8) والحاكم في المستدرك (76/3) وقال الحافظ ابن كثير عن إسناده صحيح محفوظ. لذلك ضعف الأئمة الحفاظ كالبيهقي وابن حجر عبارة الزهري من أن عليا لم يبايع إلا بعد ستة اشهر واخذوا برواية الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري الذي حضر البيعة تلك وهي اصح رواية في المسالة. وانظر إرشاد الساري (377/6)

وإن استقام الجمع بين الروايتين (بين رواية الصحابي الموصولة والتابعي المرسلة) فكالاتي :
لقد بايع علي رضي الله عنه أولا في اليوم الثاني(وهذه الرواية لم تصل إلى الزهري) ثم بايع مرة أخرى بعد ستة اشهر وذلك بعد وفاة السيدة الجليلة فاطمة توكيدا منه للبيعة الأولى التي بايعها في اليوم الثاني من بعد وفاة رسول الله كما أكد الصحابي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ولا غرابة عند اهل الحديث في عدم معرفة الزهري برواية أبي سعيد الخدري التي ذكرت البيعة الأولى وصدق الإمام الشافعي رحمه الله إذ قال في كتاب الرسالة(ما من إمام حافظ إلا وذهبت عنه سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمسالة الثانية فيما يتعلق بحديث رزية الخميس ولقد فصل أخي الدكتور سالم في ذكر روايات البخاري في الباب وخلاصة تلك الروايات انه عليه الصلاة والسلام قد طلب من جمع من أصحابه الكرام في مرض موته ان يأتوا بلوح كي يملي عليهم وصية ويكتبوه هم لأنه عليه الصلاة والسلام أمي لا يجيد الكتابة ولكن الصحابة لم يحضروا له ما يكتب عليه واتخذ بعض المغرضين هذه الرواية للطعن في عدالة الصحابة وأنى لهم التناوش من بعيد فالصحابة قد جازوا القنطرة وسبقوا إلى رضوان الله ونالوا شرف التزكية من عند الله بشهادة قرآنية متكررة خالدة إلى يوم الدين وقد فصل أخي في ذلك تفصيلا جميلا ولعله من المفيد أن أضيف بعض التعليق هنا فأقول : لقد تكررت مسألة طلب النبي عليه الصلاة و السلام من أصحابه أن يأتوا بما يكتب عليه لتوثيق وصية ولكن الصحابة لم يتمكنوا من ذلك فذكر عليه الصلاة والسلام وصيته مشافهة فلقد حدث ذلك مع اثنين من كبار الصحابة وهما سيدنا عمر وسيدنا علي وحدث أخرى مع السيدة الجليلة عائشة الصديقة الطاهرة المطهرة وفي بعض الروايات وعندها أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

أما مع سيدنا عمر فقد رواها البخاري في مواضع عدة ومن غير طريق ومن عادة البخاري أن يروي الخبر مجزئا أحيانا ثم يذكره مفصلا في مكان آخر حسب استنباطه الفقهي في الأبواب المتفرقة وفي مناسبات أخرى ترى الصحابي الجليل كابن عباس يروي الخبر في مجالس عدة وفي كل مجلس يذكر طرفا من الخبر ثم يذكر الخبر في مجلس آخر فألح عليه بعض التابعين لمعرفة التفاصيل الدقيقة وهكذا تتباين روايات الخبر في التفاصيل زيادة ونقصانا

ولكنه لا تتناقض بل تتكامل ومن نعمة الله عز وجل على الأمة أن سخر الأئمة الأعلام فبينوا أوجه الجمع والتوفيق كابن حجر الذي يشير إلى جميع أوجه الرواية ويعزو إلى المواضع كلها فجزاهم الله خيرا .

وبالتحديد فيما يتعلق بألفاظ رواية ابن عباس(رزية الخميس):

أولا: ألفاظها المتعددة تكمل بعضها البعض وتبين بعضها الآخر وبعد تدقيق وتمحيص للرواية تبين لي الآتي: مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغص بالصحابة وفي مقدمتهم سيدنا عمر(وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) وبعض أئمة أهل البيت كما يتضح ذلك من عبارة(فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ) ومعلوم أن السنة النبوية وردت بذكر أهل البيت بمعنى أهل البيت كما في دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم هؤلاء أهل بيتي كما في حديث الكساء) وقد ثبت تاريخيا أن العباس وابن أخيه علي كانا من الحاضرين دوما في تلك الأيام إلا في الساعة الأخيرة من *وفاته عليه الصلاة والسلام ومعلوم أن المجلس المذكور في خبر رزية الخميس كان قبل وفاته بعدة أيام* ولذلك لما أشفق سيدنا عمر على رسول الله لاشتداد مرضه بقوله(غلب عليه الوجع) اصطف إلى جانبه آل البيت ممن كان حاضرا تلك الساعة وذلك واضح من رواية البخاري كما ذكرنا ، ومعلوم أن النساء من أهل بيته لم يكن حضورا في ذلك المجلس فلم يبق سوى الرجال من أهل بيته فلم ينفرد سيدنا عمر بذلك الموقف بل وافقه عدد من ائمة آل البيت الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين.

ثانيا: لم تنسب أية رواية من روايات البخاري عبارة(اهجر إلى سيدنا عمر) بل قاله بعض الرجال ممن دخلوا الإسلام حديثا كما ذكر أئمة الحديث ولا باس بسؤالهم فقد أرادوا أن يتبينوا طبيعة شخصية النبي المرسل ما يميزه عن بقية البشر، ولذلك توهم بعض المعاصرين إذ نسبوه لسيدنا عمر وذلك من سقيم فهمهم للحديث.

ثالثا: رواية البخاري في بعض ألفاظها تبين وباللفظ الصريح انه عليه الصلاة والسلام قد قال وصيته مشافهة وفي تلك الساعة وإذا كان الراوي عند البخاري قد نسي الوصية الثالثة(وذلك من أمانته) فقد ذكرها الإمام مالك ولم ينسها وهي قوله عليه الصلاة والسلام(ولا تتخذوا قبري وثنا) ولقد أكد الحافظ ابن حجر على ذلك.

أما فيما يتعلق بسيدنا علي منفردا فقد اخرج احمد في مسنده عنه رضي الله عنه انه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تضل أمته من بعده ،قال فخشيت أن تفوتني نفسه قال قلت إني أحفظ وأعي قال صلى الله عليه وسلم(أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم) –المسند **90/1**/ح **693** والحديث من مظان الحسن ، واما اصل الخبر بتوصيته بالمحافظة على الصلاة وما ملكت الايمان فصحيحة .

وأما فيما يتعلق بالصديقة عائشة فقد اخرج مسلم في صحيحه (ح **1857**) عنها رضي الله عنها أنها قالت قال لي رسول الله في مرضه (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل : أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).

ولقد اخرج الإمام احمد رواية السيدة عائشة في مسنده من طرق وفي إحداها (**47/6** – ح **24199**) : لما ثقل رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (ائتني بكتف أو لوح اكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه) فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال عليه الصلاة والسلام(يأبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر) وفي لفظ آخر عند الحافظ : قال لي رسول الله في مرضه الذي مات فيه ادع لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه بعدي ثم قال دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر (وقال الحافظ البوصيري رواته ثقات– إتحاف الخيرة المهرة **147/7**) وصححه من المعاصرين العلامة الألباني في تخريجه لأحاديث مشكاة المصابيح ح **1659**). والحديث من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ، فلقد اتفق الصحابة أجمعين على سيدنا أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى الصحابي الجليل سعد بن عبادة فقد اقتنع تماما بعد النقاش الشوروي الساخن بأحقية سيدنا أبي بكر فقال لسيدنا أبي بكر(صدقت أنتم الأمراء ونحن الوزراء) كما سيتبن لك أخي القارئ الكريم في موضعه.

من اجل ما سبق فإن ابن عباس رضي الله عنه تمنى أن الصحابة قد احضروا اللوح ليملي النبي عليه الصلاة والسلام وصيته فيحفظوا قوله مكتوبا فلا تشك الأجيال من بعد الصحابة في أفضلية أبي بكر ولم يكن في تلك الساعة غير أبي بكر مرشحا كما ذكرت الأخبار الصحاح التي ذكرنا وكان ذلك من عبد الله ابن عباس لما رأى بداية ظهور

الاختلاف بين الناس في العهد الأموي حول من كان أولى بالخلافة من الراشدين فاخذ يحدث بذلك الخبر ويتمنى لو أن الصحابة كانوا قد احضروا الكتاب في حينه فتكون الوصية كتابة وينقطع دابر كل خلاف في أحقية سيدنا أبي بكر قبل غيره بالخلافة وإن ذلك كان واضحا في أذهان الصحابة كما عبر سيدنا علي عن موقفهم جميعا بقوله (لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله لديننا فقدمنا أبا بكر) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى 183/3 وإسناده حسن...

ولا أريد أن أطيل أكثر من ذلك فقد فصل أخي الدكتور سالم بما فيه الكفاية في كتابه هذا ....واكرر رجائي أن يعزو الروايات جميعا إلى مصادرها قبل طبع الكتاب .

ولقد أعجبني تسلسل أفكاره وطول نفسه وصبره مع شبهات المشككين حول وقائع الأحداث ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، وكذلك سرده لمعظم روايات الباب سواء كانت في مصادر السنة أم الشيعة ومناقشة متونها بالتفصيل !!ولقد انتفعت من نقاشه العلمي الشيق الذي أودعه هذا الكتاب نفع الله به المسلمين ورزق صاحبه وإيانا الإخلاص ومتابعة السنة وحسن الخاتمة آمين.

أقول قولي هذا فإن كان صوابا فمن الله التوفيق وإن كان خطأ فمني واستغفر الله

وكتبه طالب العلم

محمد البرزنجي

محرم 1432 هجرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد:

فقد بدأت بكتابة هذا البحث قبل اكثر من عشر سنوات ، وكان الدافع اليه ما كنت اقرؤه[1] من اتهام الشيعة للصحابة بالارتداد بعد موت النبي △ ، ويشيرون الى حادثة السقيفة كواحد من أهم الادلة على ما يقولون ، هذا الامر الذي يستشنعه كل من قرأ سيرة الرسول وتاريخ الصحابة سواء كان مسلما او غير مسلم ، لأنه سيتساءل: كيف توسعت رقعة الاسلام السياسية في ربع الكرة الارضية تقريبا فشملت الصين واندونيسيا وماليزيا شرقا والمغرب الاقصى غربا وبخارا وسمرقند شمالا والهند جنوبا ثم انتشر الاسلام بين شعوبها وبقي القرآن محفوظا وتعاليم الاسلام خالدا إن كان جل اصحاب النبي منافقين ومرتدين ؟! مَن غير هؤلاء وسع رقعته ونشر تعاليمه ؟ ! هذا دفعني أن بحث في الكتب عن السقيفة ، فلم اجد عند السنة ما يشفي الغليل وما وجدت الا سردا للحادثة سردا تاريخيا دون تحليل يذكر وإن كانوا يعدونه دليلا على أن اختيار الخليفة في الاسلام يكون بالشورى ، ولكن في المقابل رأيت الشيعة يكثرون من الاشارة اليه في كتبهم وبعضهم خصه بتأليف سواء من القدامى أم من المحدثين ، فآليت على نفسي أن ابحث هذا الموضوع وأكتب فيه ، فكتبت جل بحوثه خلال شهرين ولكن حينها لم تكن امامي مصادر ارجع اليها فاوثق المعلومات التي اوردتها ، ثم انشغلت عنها ولم اكملها ، ثم وقع في يدي كتاب بعنوان "السقيفة" للشيخ محمد رضا المظفر فرأيته يؤكد ما كنت اقرؤه في كتبهم القديمة ويحاول جاهدا أن يثبت هذه العقيدة ولكن بطريقة عقلية هادئة ، ودافع بقوة عن نظرية النص وتحدث عن بعثة اسامة و

[1]. لم تكن القنوات الفضائية التي تعنى بهذه المسائل قد ظهرت بعد .

حديث الخميس كاجراءات اتخذها الرسول △ لتثبيت امامة علي ◄ ، ثم وقع في يدي كتاب آخر باسم "أضواء على السقيفة " للشيخ علي الشخص فوجدته يكرر المعاني نفسها ولكن بكثير من الانفعال والتشنج وبسطحية شديدة وهو كتاب مضطرب لا يستحق الرد عليه ، واعدت قراءة المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ثم ما كتبه التيجاني وما ردده من آراء الشيعة ، ثم بعد ذلك ظهرت الفضائيات وأخذت قناة المستقلة زمام المبادرة في الحوار الشيعي السني ورأيت ان الافكار التي اودعتها في الكتاب تكاد تنكشف فعزمت على اتمامه وتوكلت على الله فنقلته الى الحاسوب وأضفت اليه بعض الاضافات من وحي تلك المناظرات وما قرأته من كتب حول هذا الموضوع من السنة والشيعة ، و قبل أن ادفع بالكتاب الى المطبعة بعث الي أحد زملائي كتابا صدر حديثا بعنوان " تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام – مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه – للاستاذ الدكتور خالد كبير علال فقرأت الروايات السنية والشيعية فوجدت أن المفاصل الرئيسية في روايات الفريقين متشابهة وهذا هو بيت القصيد ، فالذي يعنينا في هذا الكتاب هوتلك الامور المتفق عليها تاريخيا بين الشيعة والسنة والتي عليها مدار بحثنا.

والكتاب على الرغم من مرور كل هذه السنين على كتابته وظهور كل هذه الحوارات بين السنة والشيعة لا يزال جديدا في أغلبه ، وقد ضاعت بعض فصوله وحاولت اعادة كتابتها ولكني وجدت نفسي عاجزاً عن الاتيان بمثلها وكأنها كانت نفحة ربانية طافت بفكري ثم ابت أن توافدني حين طلبتها ولكني مع ذلك اقتربت منها بعض الشيء فهي ان استعصت علي بعباراتها فلم تمتنع علي بفحواها ، فكان هذا الكتاب الذي أرجو له ان ينال قبول القراء والباحثين ويسد فراغا في المكتبة الاسلامية يطرح وجهة النظر السني بشيء من التفصيل قد لا يجده القاريء في غيره من الكتب .

ولقد مضى حوالي قرن من الزمان على دعوة التقريب بين الشيعة والسنة ولكنها لم تأت بأي ثمار، وليس هذا فحسب بل ربما لم يبلغ الصراع الشيعي السني الى شدته الاّ في هذا القرن ! لماذا لم تأت هذه الجهود بنتائج ايجابية ؟ الجواب: لسببين :

اولا: عدم وجود النية الصادقة للتقريب لدى احد أو كلا الطرفين ، و الطرف الداعي اليه خاصة ، بل ربما كان الهدف منها استغفال الطرف الثاني حتى يتم غزوه في غفلة من علمائه الذين يفترض ان يكونوا عين الامة البصيرة ودرعها المنيع ، فإن اي قوة إذا ارادت ان تغزو بلدا او شعبا لابد ان تعمل على ازالة اسباب مناعتها ، ولعل هذا الشيء كان هو المراد من دعوات التقريب !

ثانيا : عدم وجود أرضية سليمة وصحيحة للتقارب ، بل كان جل اعتماد الطرفين على المجاملات والسكوت عن أخطاء الطرف الآخر عملا بالمقولة المشهورة نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، المقولة التي ان صحت في كل مكان لا تصح هنا لأن الامور الخلافية ليست جانبية أو نظرية بحتة وانما هي فروق جوهرية ومما يترتب عليها مواقف عملية من التكفير واستباحة الدماء والاعراض وغيرها .

لذا، إذا اردنا أن نصل الى تقارب حقيقي أو وحدة حقيقية لابد أن نخلص نياتنا أولا ثم نسير على اسس سليمة وصحيحة ، وعلى رأس هذه الاسس تحرير مواطن الخلاف وتسويتها، وأول هذه الخلافات مسألة الامامة واجتماع الصحابة في السقيفة ، فكان هذا الكتاب محاولة في هذا المجال وسيرا في الاتجاه الصحيح حيث بدأنا بالسقيفة والتي لم تناقش بما فيه الكفاية في جميع الحلقات الحوارية التي جرت بين الشيعة والسنة وذلك لأنها تحتاج الى دراسة متأنية وهادئة ولا يصلح معالجتها في السجالات الفكرية والعقدية الساخنة .

وهذا الكتاب لم أكتبه للسنة فقط بل كتبته للسنة والشيعة ولكل من يفكر بحرية ويبحث عن الحق، لذلك لم استعمل الاسلوب العاطفي ولا اسلوب الطعن والتجريح بل اعتمدت الاسلوب العقلي الهاديء عسى أن يشق طريقه الى النفوس بعد مروره بالعقول ، وإذا وردت ألفاظ جارحة في الكتاب فليست مني وانما من النقول التي نقلتها واعتذر عن كل ما فيه اساءة الى الآخرين فإني لم اقصدها وليست هي من رسالة الكتاب.

وقبل ان انهي المقدمة لابد من الاشارة الى مسألة مهمة وهي أن الامور المنسوبة الى الشيعة في هذا الكتاب ليس فيها امر واحد منتحل عليهم بل هي محل اجماع علمائهم ومن الامور المعلومة بالضرورة في المذهب ، لذلك إذا وجدني أحد أنسب اليهم رأيا أو قولا ولم اشر الى المصدر فلهذا السبب لم اشر اليه وكل من أراد الاستيثاق من صحة ما أقول فما عليه إلا أن يأتي بكتاب السقيفة لمحمد رضا المظفر أو كتاب المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الموسوى وكتاب منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي او كتب التفسير والحديث والعقيدة المعتمدة لديهم.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت الى ما أصبو اليه والله أسأل أن يكتب له القبول وينفع به المسلمين انه ولي ذلك والقادر عليه.

9/ ذي الحجة من عام 1431هجرية

د. سالم احمد

التعريف بسقيفة بني ساعدة

السقيفة تعني الظلة ، وهي شبه البهو الواسع الطويل السقف . وكان لبني ساعدة بن كعب بن الخزرج ظلة يجلسون تحتها هي دار ندوتهم لفصل القضايا ، واشتهرت بسقيفة بني ساعدة ، وكان دار سعد بن عبادة قريبا من هذه الظلة وقد اجتمع فيها الانصار أوسهم وخزرجهم ليبايعوا سعد بن عبادة خليفة بعد وفاة النبي (α)[1]. فسمع المهاجرون بالخبر فلحقهم نفر منهم وهم ابوبكرالصديق وعمربن الخطاب وابو عبيدة عامر بن الجراح. وبعد اخذ ورد بين الطرفين انتهى الاجتماع بمبايعة ابي بكر الصديق(χ) خليفة للمسلمين.

اختلف السنة والشيعة في تقويم هذا الاجتماع فأهل السنة يعدّونه دليلا على أن تنصيب الامام أو الخليفة يكون عن طريق الامة لا عن طريق الوحي اي باختيار المسلمين لا بالنص عليه من الله او من الرسول، ويرونه دليلا على أن النبي مات ولم يوص لأحد بالخلافة ، بينماالشيعة يقولون ان الامامة أمر ديني شأنها شأن النبوة تكون بتعيين من الله أو من النبي أو من الامام، ولا يُوكَل اختيار الامام الى الناس، وأن علي بن أبي طالب هو الامام بعد رسول الله (△) بلا فصل بنص القرآن والسنة، وأن الرسول (△) قد أخذ البيعة له في غدير خم عشية رجوعه من حجة الوداع، وبذلك يكون اجتماع الصحابة في السقيفة خروجا على هذه النصوص ونكثا للبيعة وانقلابا على علي بن أبى طالب ويجعلون من هذا الاجتماع وسيلة للنيل من الصحابة واتهامهم بنقض العهد والانقلاب على الأعقاب بل وحتى الارتداد.

---

[1]. انظر كتاب السقيفة لمحمد رضا المظفر ص/88 منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

أي أن نظرة السنة و الشيعة الى هذا الاجتماع متناقضة تماما ، فالسنة كما قلنا يجعلون منه دليلا شرعيا على كيفية تنصيب الامام أو الخليفة ،أو على أقل تقدير دليلا على أن الرسول △ لم يُسمِّ احدا للخلافة، والشيعة يجعلون منه وسيلة للطعن في الصحابة وتجريحهم ، فأي الفريقين على الحق وأي النظرتين هي الصحيحة ؟ هذا ما سنبحثه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ماذا حدث في السقيفة

قبل ان نقوّم اجتماع الصحابة في السقيفة لا بد أن نذكر أولا كيفية حدوثه، والطرف الذي دعا اليه، و ما جرى فيه من مداولات بين الاطراف المتنازعة، وماذا نتج عنه ، لأن معرفة هذه الامور كفيلة بأن تحل لنا كثيرا من الاشكالات التي سوف نتحدث عنها بالتفصيل عند الحديث عن حيثيات السقيفة ، وساعتمد على مجموعة مصادر اهمها الطبري، واليعقوبي ومسند احمد والبخاري . ولكن قبل ان نناقش الاحداث يجب ان نناقش الروايات لانه ليس من المعقول ان نحلل قولا او موقفا لم يحدث اصلا فيجب اولا اثبات حدوث امر ما او ورود قول ما ثم مناقشته، كما يقول المثل : اثبت العرش ثم انقش عليه.

روايات الطبري ومناقشتها:

اورد الطبري خمس روايات ، احداها عن طريق الزهري عن ابن عباس توافق رواية البخاري ومسلم واحمد ، واخرى جاءت عن طريق هشام الكلبي عن ابي مخنف يحيى بن لوط فيها زيادات ليست في رواية الزهري، والخامسة عن طريق سيف بن عمر سنعرضها جميعا ثم نناقشها:

الرواية الاولى:

حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر زياد بن كليب عن أبي أيوب عن إبراهيم قال لما قبض النبي صلى الله عليه و سلم كان أبو بكر غائبا فجاء بعد ثلاث ولم يجترىء أحد أن يكشف عن وجهه حتى اربد بطنه فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه ثم قال بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا ثم خرج أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ثم قرأ "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين "(آل عمران/**144**) وكان عمر يقول لم يمت وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء ثم قال أبو بكر إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر أو أبا عبيدة إن النبي صلى الله عليه و سلم جاءه قوم فقالوا ابعث معنا أمينا فقال لأبعثن معكم أمينا حق أمين فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا أرضى لكم أبا عبيدة فقام عمر فقال أيكم تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه و سلم فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتا السيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه .

تعليق: سوف لن اعلق على سند هذه الرواية ولكن اتحدث عن متنها فقد كفانا علماء الجرح مؤونة البحث ولكن اعلق على المتن:

1. هذه الرواية فيها طعن في الرسول وفي الصحابة في آن واحد وهي مخالفة للعقل والمنطق حيث يقول ان جثمان الرسول بقي ثلاثا ولم يجرؤ احد على كشفه حتى اتى ابو بكر وان الرسول (α) اربد بطنه ، وهذا كلام لا يصدر عمن يوقر الرسول ! وهي مخالفة ايضا للروايات المتواترة التي تقول ان الصحابة اجتمعوا في المسجد في اليوم الذي توفي فيه رسول الله وانهم باشروا بغسله وتكفينه في اليوم نفسه الا ان دفنه (α) تاخر الى ما بعد اختيار الخليفة ، وان انشغال علي بتغسيل رسول الله كان وراء تخلفه عن السقيفة .

2. قول الراوي ان الانصار او بعض الانصار قالوا لا نبايع الا عليا سنناقشه فيما بعد عندما نتحدث عن حيثيات السقيفة.

3. مسألة ذهاب عمر الى بيت علي وتهديدهم بحرق الدار منافية للعقل والمنطق والروايات الصحيحة، وهي جدا مضطربة حيث جاءت بأساليب مختلفة و متضاربة ، فتارة تقول ان فاطمة هي التي فتحت الدار وحين سمعت تهديد عمر باحراق الدار دخلت الى البيت واخبرت الرجال بأن عمر جاد في تهديده فترك الرجال الدار من تلقاء انفسهم ولم يخرج اليهم احد متهددا ، ورواية تقول ان الزبير هو الذي توشح سيفه وخرج اليهم فصرعه محمد بن مسلمة وأخذ سيفه ، وفي رواية الطبري ان الزبير تعثر فسقط سيفه ، وفي رواية اليعقوبي ان عليا توشح سيفه وخرج اليهم فصرعه عمر فأخذ السيف منه ، وروايات شيعية تذكر ان عمر حصر فاطمة بين الباب والجدار فكسر ضلعها واسقطها جنينها ثم ساقوا عليا الى المسجد سوقا فبايع مضطرا، واخرى تقول انهم اقتادوه مشدودا بحبل وفاطمة والحسن والحسين يمشون خلفه يبكون ويولولون فربطوه بسارية المسجد حتى بايع ، الخ من الروايات التي اريد بها الطعن في عمر فإذا هي طعن بعلي ووصف له بالجبن والضعف وفقدان الغيرة والمروءة ..الخ

الرواية الثانية:

حدثنا زكريا بن يحيى الضرير قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا داود بن عبدالله الأودي عن حميد بن عبدالرحمن الحميري قال توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم وأبو بكر في طائفة من المدينة فجاء فكشف الثوب عن وجهه فقبله وقال فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا مات محمد ورب الكعبة قال ثم انطلق إلى المنبر فوجد عمر بن الخطاب قائما يوعد الناس ويقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم حي لم يمت وإنه خارج إلى من أرجف به وقاطع أيديهم وضارب أعناقهم وصالبهم قال فتكلم أبو بكر وقال أنصت قال فأبى عمر أن ينصت فتكلم أبو بكر وقال إن الله قال لنبيه صلى الله عليه و سلم: إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (2) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (3) حتى ختم الآية فمن

كان يعبد محمدا فقد مات إلهه الذي كان يعبده ومن كان يعبد الله لا شريك له فإن الله حي لا يموت قال فحلف رجال أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ما علما أن الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ إذ جاء رجل يسعى فقال هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة يبايعون رجلا منهم يقولون منا أمير ومن قريش أمير قال فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم فأراد عمر أن يتكلم فنهاه أبو بكر فقال لا أعصي خليفة النبي صلى الله عليه و سلم في يوم مرتين قال فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا نزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه و سلم من شأنهم إلا وذكره وقال ولقد علمتم أن رسول الله قال لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم قال فقال سعد صدقت فنحن الوزراء وأنتم الأمراء قال فقال عمر ابسط يدك يا أبا بكر فلأبايعك فقال أبو بكر بل أنت يا عمر فأنت أقوى لها مني قال وكان عمر أشد الرجلين قال وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ففتح عمر يد أبي بكر وقال إن لك قوتي مع قوتك قال فبايع الناس واستثبتوا للبيعة وتخلف علي والزبير واخترط الزبير سيفه وقال لا أغمده حتى يبايع علي فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقال عمر خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر قال فانطلق إليهم عمر فجاء بهما تعبا وقال لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا.

مناقشة الرواية:

1. حسب هذه الرواية فان سعد بن عبادة قد اقتنع بمقولة ابي بكر وبايع . وهذا الذي يتماشى مع مكانة سعد بين المسلمين وفي قومه ، فليس مثل سعد من يمتنع عن البيعة ثم لا يوافقه احد من عشيرته ولا من المسلمين . وعلى كل حال سواء بايع سعد ام لم يبايع فان الثابت عنه انه لم يحدث فتنة ولم يؤلب الناس على الخليفة وهذا بحد ذاته فضيلة كبيرة تليق بمثله في سابقته في الاسلام ورجاحة عقله.

2. بعض الروايات تذكر ان الزبير كان ميالا الى علي وداعيا الى مبايعته ، وهذه الروايات ان افترضنا صحتها فانها من باب ميل الانسان الى مثيله ، فعلي والزبير كانا محاربين جيدين

واذا استعرنا المصطلحات الحديثة قلنا انهما كانا ينتميان الى المؤسسة العسكرية بينما ابو بكر وعمر كانا ينتميان الى المؤسسة السياسية حيث كانا من مستشاري الرسول ووزرائه.

وان كنت استبعد ذلك من الزبير لانه لا يعقل ان يجهل مثله مكانة ابي بكر ومنزلته وهو ممن اسلم على يديه وكان زوجا لابنته ، وان موقفه المعارض لم يكن لاعتراضه على شخصية ابي بكر وانما لانه لم يكن يتوقع ان يؤخر عن المشورة ويُبت في الامر في غيابه و هو من السابقين الاولين ومن المبشرين بالجنة . نعم كان الزبير من مؤيدي بيعة علي بعد مقتل عثمان ولا استبعد ان يكون الرواة قد خلطوا بين موقف الزبير يوم توفي الرسول α وموقفه يوم قتل عثمان.

الرواية الثالثة:

روى الطبري تحت عنوان حديث السقيفة:

حدثني علي بن مسلم قال حدثنا عباد بن عباد قال حدثنا عباد بن راشد قال حدثنا الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال كنت أقرئ عبدالرحمن بن عوف القرآن قال فحج عمر وحججنا معه قال فإني لفي منزل بمنى إذ جاءني عبدالرحمن بن عوف فقال شهدت أمير المؤمنين اليوم وقام إليه رجل فقال إني سمعت فلانا يقول لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلانا قال فقال أمير المؤمنين إني لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم قال قلت يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وإنهم الذين يغلبون على مجسلك وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألا يعوها ولا يحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وأن يطيروا بها كل مطير ولكن أمهل حتى تقدم المدينة تقدم دار الهجرة والسنة وتخلص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فتقول ما قلت متمكنا فيعوا مقالتك ويضعوها على مواضعها فقال والله لأقومن بها في أول مقام أقومه بالمدينة قال فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة هجرت للحديث الذي حدثنيه عبدالرحمن فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير فجلست إلى جنبه عند المنبر ركبتي إلى ركبته فلما زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج فقلت لسعيد وهو مقبل ليقولن أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالة لم تقل قبله فغضب وقال فأي مقالة يقول لم تقل قبله

فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون فلما قضى المؤذن أذانه قام عمرفحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإني أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ومن لم يعها فإني لا أحل لأحد أن يكذب علي إن الله عز و جل بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله ورجمنا بعده وإني قد خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل والله ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وقد كنا نقول لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبو عن آبائكم ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدرا فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار قالا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنأتينهم قال فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة قال وإذا بين أظهرهم رجل مزمل قال قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما شأنه قالوا وجع فقام رجل منهم فحمد الله وقال أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة قال فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وكان هو أوقر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم قال على رسلك فكرهت أن أعصيه فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه وقال أما بعد يا معشر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلا إلا وأنتم له أهل وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب دارا ونسبا ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وإني والله ما كرهت من كلامه شيئا غير هذه الكلمة

إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم أحب إلي من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش قال فارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعدا وإنا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نتابعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون فساد[1].

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير قال إن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدي أخو بني العجلان فأما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم من الذين قال الله لهم فيه: رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين(التوبة/108) فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم نعم المرء منهم عويم بن ساعدة . وأما معن فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين توفاه الله وقالوا والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده فقال معن بن عدي والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا فقتل معن يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب .

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري قال حدثنا أنس بن مالك قال لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله فإن اعتصمتم به

---

[1]. روى مثله البخاري في الصحيح ، ج 8 ص: 168 و ما بعدها .

هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوا فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصبت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له وفي يده الدرة وما معه غيري قال وهو يحدث نفسه ويضرب وحشي قدمه بدرته قال إذ التفت علي فقال يابن عباس هل تدري ما حملني على مقالتي هذه التي قلت حين توفى الله رسوله قال قلت لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم قال والله إن حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الاية: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة/143) فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت قال أبو جعفر فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء وذلك الغد من وفاته صلى الله عليه و سلم وقال بعضهم إنما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام وقد مضى ذكر بعض قائلي ذلك .

الرواية الرابعة:

اوردها الطبري تحت عنوان : ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة:

حدثنا هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه و سلم لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة

فقالوا نولي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عبادة وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه إلا رجال قليل وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به حتى إذا اراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أثخن الله عز و جل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت ونوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضا ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده فقال طائفة منهم فإنا نقول إذا منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن وأتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه و سلم فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه و سلم فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلي فأرسل إليه إني مشتغل فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فقال أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لهم ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون فقالوا لا نفعل فجاءوا

وهم مجتمعون فقال عمر بن الخطاب أتيناهم وقد كنت زورت كلاما أردت أن أقوم به فيهم فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق فقال لي أبو بكر رويدا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت فنطق فقال عمر فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه فقال عبدالله بن عبدالرحمن فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ" ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله" (يونس/18) "وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى "(الزمر/3) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتانون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور قال فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ومتورط في هلكة فقام الحباب بن المنذر

فقال يامعشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة فقال عمر إذا يقتلك الله قال بل إياك يقتل فقال أبو عبيدة يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضا فإن الله ولي المنة علينا بذلك ألا إن محمدا △ من قريش وقومه أحق به وأولى وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم فقال أبو بكر هذا عمر وهذا ابو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك نبايعك فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد عقتك عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الإمارة فقال لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم قال هشام قال أبو مخنف فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا ابا بكر فكان عمر يقول ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر .

قال هشام عن أبي مخنف قال عبدالله بن عبدالرحمن فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدا لا

تطؤوه فقال عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك فأخذ سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق ها هنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يجحرك وأصحابك أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه في داره وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل وايم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد إنه قد لج وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

مناقشة الرواية:

هذه الرواية وغيرها من روايات ابي مخنف يضعفها العلماء لاتهامهم ابي مخنف بالضعف والرفض ، ولكني سأحملها على الصحة –جدلا– لانها تحتوى على المفاصل الرئيسية لواقعة السقيفة ولن تضر هذه التفاصيل بحثنا بل قد تفيدنا كما سترى اثناء البحث ان شاء الله . في نظري ان ابا مخنف يزيد اشياء الى اصل الامور ويستحدث حوارات من عنده كما يفعل كتاب السيناريوهات في يومنا هذا ، ولو قدر لأبي مخنف ان يعيش في عصرنا لعد من اكبر كتاب السيناريوهات ولنضرب بذلك مثلا واحدا: قصة مقتل الحسين◄ في كربلاء ، حين تقرأها برواية ابي مخنف يخيل اليك انك امام سجال ادبي بين اديبين لا في معركة حامية بين جيشين ، واني كلما اسمعها استحضر الفلم الكارتونى "كابتن ماجد" الذي يتحاور فيه اللاعبون اكثر مما يلعبون وان احدهم يضرب الكرة فتبقى لدقائق في الهواء وهم

يجرون وراءها ويتناقشون فيما بينهم وقد تستغرق اللعبة نصف ساعة وتنتهي ولم تركل الكرة سوى مرات قليلة واكثر اوقات اللاعبين يمضي في الحوارات وهم يجرون وراء الكرة.

الرواية الخامسة:

حدثنا عبيدالله بن سعد قال حدثنا عمي قال أخبرنا سيف بن عمر عن سهل وأبي عثمان عن الضحاك بن خليفة قال لما قام الحباب بن المنذر انتضى سيفه وقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أنا أبو شبل في عريسة الأسد يعزى إلى الأسد فحامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد وكانت فلتة كفلتات الجاهلية قام أبو بكر دونها وقال قائل حين أوطئ سعد قتلتم سعدا فقال عمر قتله الله إنه منافق واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه.

حدثنا عبيدالله بن سعيد قال حدثني عمي يعقوب قال حدثنا سيف عن مبشر عن جابر قال قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة فقالوا إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ولكنا أجبرنا على الجماعة فلا إقالة فيها لئن نزعت يدا من طاعة أو فرقت جماعة لنضربن الذي فيه عيناك.

مناقشة الرواية:

1. هذه الرواية فيها مبالغات ومغالطات كثيرة منافية للمنطق، منها:

اولا: ان الحباب انتضى سيفه فضربه عمر على يده واخذ السيف منه ثم وثب على سعد ووثب الناس على سعد ! هل يعقل أن يحصل كل هذا بين عمر والحباب ثم بين عمر وسعد بن عبادة ثم تمر الامور بسلام وتتم البيعة بتلك السرعة وبتلك السهولة ؟ عمر ومعه اثنان من الهاجرين يتجاوز على سيد الخزرج بين قومه و عشيرته ولا يقوم احد للدفاع عنه ؟ اي منطق يقبل هذا ؟ بل واكثر من ذلك عمر يثب على سعد ويثب الناس معه على سعد! من هم هؤلاء الذين وثبوا عليه اليسوا قومه وعشيرته ؟ هل يقتضي المنطق أن يثبوا على سعد مع عمر ام يوقفوا عمر عند حده ؟ ثم ماذا؟ يبايع سعد مع من يبايع!

2. هل كان عمر يجهل ان سعدا كان من السابقين الى الاسلام ومن اصحاب العقبة ومن النقباء حتى يقول عنه منافق؟

3. الرواية الاولى لسيف بن عمر تقول ان سعد بن عبادة بايع مع المبايعين يوم السقيفة بينما الرواية الثانية تقول على لسان سعد لابي بكر انكم وقومي اجبرتموني على البيعة ! اي ان البيعة اخذت منه بعد السقيفة لان ابا بكر لم يكن قادرا على اجبار احد على البيعة يوم السقيفة وليس معه سوى عمر وابي عبيدة وهم بين ظهراني الانصار! وهذا مناقض للرواية الاولى من وجهين : الاول في كيفية مبايعة سعد لابي بكر والثاني في وقت البيعة.

4. نسب الى ابي بكر كلاما لا يتفق وشخصية ابي بكر وطبيعته، حيث نسب اليه قوله لسعد لئن نزعت يدا من طاعة أو فرقت جماعة لنضربن الذي فيه عيناك. وهذا الكلام اضافة الى تعارضه مع طبيعة ابي بكر فانه مناقض لكلامه لعمر بحق سعد على رسلك با عمر الرفق ها هنا ابلغ .

5. وردت عبارة فوثبوا او وثبنا على سعد او نزوا او نزونا على سعد في جميع الروايات رغم ان سعدا لم يتحدث وانه كان مريضا ومزملا مما يدل على انه كان وراء الدعوة الى اجتماع السقيفة ان صحت الروايات.

يقول الاستاذ خالد كبير علال في كتابه القيم " تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الاسلام" ص 134 بعد سرد الروايات السنية: " و بذلك يتبين– من الرواية السنية عن حادثة السقيفة – أن الصحابة اختلفوا فيما بينهم حول : من يتولى منهم الخلافة ، و لم يختلفوا في موقفهم منها : فهل هي بالتعيين و الوصية و الوراثة ، أم هي بالشورى و الرضا و الاختيار؟ . فالأمر كان عندهم واضحا محسوما ، بأنها شورى بينهم . فكان اختلافهم هذا تطبيقا عمليا لذلك المبدأ ، انتهى في النهاية باختيار أبي بكر الصديق خليفة بالإجماع ، من دون أية معارضة، و لا سب و لا قتال ، و لا تآمر و لا مواجهات .

موقف علي بن ابي طالب من السقيفة وبيعة ابي بكر

اما بخصوص علي بن ابي طالب χ هل بايع او لا، ومتى بايع ، فقد اورد الطبري عدة روايات، بعضها تقول انه بايع من اول يوم بويع فيه لأبي بكر ، وبعضها تقول انه بايع بعد ستة اشهر بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)، واليك نص ما اورده الطبري :

1. حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال: اخبرنا عمي يعقوب بن ابراهيم قال: اخبرني سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن ابي ظبية البجلي، قال: حدثنا الوليد بن جميع الزهري، قال: عمرو بن حريث لسعيد بن زيد : اشهدت وفاة رسول الله (α) ؟ قال نعم، قال فمتى بويع ابوبكر؟ قال: يوم مات رسول الله (α) كرهوا أن يبقوا يوما أو بعض يوم وليسوا في جماعة . قال : فخالف عليه أحد؟ قال: لا إلاّ مرتد أو من قد كاد أن يرتد، لولا ان الله عزوجل ينقذهم من الانصار. قال: فهل قعد احد من المهاجرين؟ قال : لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير ان يدعوهم.

2. حدثنا عبيد الله بن سعيد، قال: اخبرني عمي ، قال اخبرني سيف ، عن عبدالعزيز بن سياه، عن حبيب بن ابي ثابت ، قال: كان علي في بيته اذ أُتي فقيل له: قد جلس ابو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه ازار ولا رداء ، عجلا، كراهية ان يُبطيء عنها، حتى بايعه. ثم جلس اليه وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه.

في الرواية الاولى الحديث عام عن بيعة المهاجرين والانصار والثانية خاصة بعلي تؤكد بأنه بايع في اليوم التالي للسقيفة حيث جلس ابو بكر للبيعة والتى تسمى البيعة العامة.

3. رواية اخرى يرويها الطبري تقول أن عليا بايع بعد وفاة فاطمة (ϖ) أى بعد ستة اشهر من تولي ابي بكر للخلافة:

حدثنا ابو صالح الضراري قال: حدثنا عبد الرزاق بن همّام، عن معمر، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله (α)، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر، فقال لهما ابو بكر: أما أني سمعت رسول الله (α) يقول: لانورث ، ما تركناه فهو صدقة، انما يأكل آل محمد من هذا المال . واني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله (α) يصنعه الاّ صنعته . قال: فهجرته فاطمة

فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها ابا بكر . وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي، فمكثت فاطمة ستة اشهر بعد رسول الله (α)، ثم توفيت.

قال معمر: فقال رجل للزهري: أفلم يبايعه علي ستة اشهر ! قال: لا، ولا احد من بني هاشم حتى بايعه علي. فلما راى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع الى مصالحة ابي بكر ، فأرسل الى ابي بكر :أن ائتنا ولا يأتين معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك، فقال ابو بكر : والله لآتينهم وحدي ، وما عسى ان يصنعوا بي ! قال: فانطلق ابو بكر ، فدخل على علي ، وقد جمع بني هاشم عنده ، فقام علي فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، ثم قال : اما بعد ، فانه لم يمنعنا من ان نبايعك يا ابابكر انكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك، ولكنا كنا نرى ان لنا في هذا الامر حقا فاستبددتم به علينا .ثم ذكر قرابته من رسول لله (α) وحقهم ، فلم يزل علي يقول ذلك حتى بكى ابو بكر .

فلما صمت علي تشهد ابو بكر فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ، ثم قال : اما بعد، فوالله لقرابة رسول لله (α) احب الي ان اصل من قرابتي ، واني والله ما ألوت في هذه الاموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير ، ولكني سمعت رسول لله (α) يقول:" لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة، وانما ياكل آل محمد في هذا المال " واني اعوذ بالله لا اذكر امرا صنعه رسول الله (α) الا صنعته فيه انشاءالله.

ثم قال علي : موعدك العشية للبيعة، فلما صلى ابو بكر الظهر اقبل على الناس ، ثم عذر عليا ببعض ماعتذر ، ثم قام علي فعظم من حق ابي بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى الى ابي بكر فبايعه .قالت : فاقبل الناس الى علي فقالوا : اصبت واحسنت.

ويقول علي البحراني في منار الهدى (ولما رأى ذلك تقدم إلى الصديق ، وبايعه المهاجرون والأنصار ، والكلام من فيه وهو يومئذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، لا يتقي الناس ، ولا يظهر إلا ما يبطنه لعدم دواعي التقية ، وهو يذكر الأحداث الماضية فيقول : (فمشيت

عند ذلك إلى أبي بكر ، فبايعته ، ونهضت في تلك الأحداث ... فتولى أبو بكر تلك الأمور فسدد ويسر وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله جاهدا)[1].

وكان علي رضي الله عنه . كما ذكر . مطيعا لأبي بكر ممتثلاً لأوامره فقد حدث أن وفداً من الكفار جاءوا إلى المدينة المنورة ، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة ، فأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين (فأمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش ، وأمر عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحرائر ، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم)[2].

والذي أراه و يتوافق مع المنطق هو ان عليا قد بايع في اليوم الثانى من تولي ابي بكر للخلافة بدليل انه شارك في حروب الردة فلو لم يكن قد بايع لما خرج لقتال المرتدين ولفعل مثل ما فعل سعد بن عبادة ، ولكن يبدو انه قاطع القوم بعد ما حدث بين ابي بكر وفاطمة (ϖ) في شأن فدك ، او ربما لانشغاله بتمريض فاطمة ظن الناس انه مقاطع للقوم ، فلما توفيت فاطمة رجع وصالح ابا بكر وجدد بيعته . وأيا كان، فإن لبيعة علي دلالة كبيرة سواء بايع في اليوم الثانى من تولية ابي بكر او بعد ستة أشهر فإنه لا يفرق كثيرا كما سنبين ذلك فيما بعد، بل مبايعته بعد ستة اشهر اكثر دلالة على استقامة ابي بكر وحسن سياسته بحيث لم يبق لاحد حجة في مقاطعته او معارضته .

موقف ابي سفيان من اختيار ابي بكر

أوردت المصادر السنية و الشيعية معا ، بأنه عندما بايع الناس أبا بكر، جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب و قال له–حسب الرواية السنية– : ((ما بال هذا الأمر في أقل

[1]. منار الهدى / لعلي البحراني ص 373 ، وأيضا ناسخ التواريخ ج3 ص532 .

[2]. شرح نهج البلاغة / ج 4 ص 228 ط تبريز ، الشيعة وآل البيت/ إحسان إلهي ظهير/ص71

قريش قلة و أذلها يعني أبا بكر، و الله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا و رجالا . فقال علي : لطالما عاديت الإسلام و أهله يا أبا سفيان فلم يضره شيء ، إنا وجدنا أبا بكر أهلا)) [1] .

و في الرواية الشيعية أنه قال لعلي: ((وليتم على هذا الأمر أذل بيت قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبي فصيل خيلا و رجلا)). فقال علي : ((طالما غششت الإسلام وأهله، فما ضررتهم شيئا، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك، لولا انأ رأينا أبا بكر لها أهلا لما تركناه)) [2] .

والطبري أيضا يروي لنا بعض الروايات عن موقف ابي سفيان حين سمع بمبايعة ابي بكر بالخلافة منها:

1. **حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي قال: حدثنا ابو قتيبة ، قال : حدثنا مالك – يعني ابن مغول–عن ابن الحرقال: قال ابو سفيان لعلي: مابال هذا الامر في اقل حي من قريش ! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا! فقال علي : يا ابا سفيان ،لطالما عاديت الاسلام واهله فلم تضره بذاك شيئا ! انا وجدنا ابابكر لها اهلا.**
2. **حدثني محمد بن عثمان الثقفي قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت قال لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان مالنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف قال فقيل له إنه قد ولى ابنك قال وصلته رحم .**
3. **حُدثت عن هشام ، قال حدثني عوانة ، قال: لما اجتمع الناس على بيعة ابي بكر ، اقبل ابو سفيان وهو يقول: والله اني لأرى عجاجة لا يطفئها الاّ دم ! يا آل عبد مناف فيم**

---

[1]. الحديث صححه الذهبي في تعليقه على المستدرك للحاكم ، ج 3 ص: 83 .

[2] . أبو بكر الجوهري: السقيفة و فدك ، ط1 ، شركة الكتبي للطباعة و النشر ، بيروت ، 1980 ، ج1 ص: 49 .
و ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج 1 ص: 72 . و محمد بن عقيل العلوي: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، ط 1 ، دار الثقافة ، إيران ، 1412 ، ص: 120 .

ابو بكر من اموركم ! اين المستضعفان! اين الاذلاّن علي والعباس!وقال ابا حسن ! ابسط يدك حتى ابايعك فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمس:[1]

ولن يقيم على خسفٍ يُراد بـه الاّ الأذلاّن عيرُ الحيّ والوتدُ

هذا على الخسف معكوس برمّته وذا يُشج فلا يبكي له احدُ

وقال: فزجره علي وقال: انك والله ما اردت بهذا الاّ الفتنة ، وانك والله طالما بغيت الاسلام شرا . لاحاجة لنا في نصيحتك.

مناقشة الروايات:

1. يقول الطبري في احدى رواياته ان أبا سفيان عندما عارض استخلاف أبي بكر قالوا له إنه ولّى ابنك فقال وصلته رحم وسكت بعدها ، وهذا يكذبه الواقع لأن تولية ابنه لم يأت الاّ في السنة الثانية من تولي ابي بكر للخلافة بعد القضاء على فتنة المرتدين ومانعي الزكاة و فتح العراق ، واعتراض ابي سفيان كان بعد السقيفة مباشرة وقبل استتباب الامر للخليفة . والصحيح انه قالها في عمر عندما ولى معاوية مكان اخيه يزيد بعد وفاة الاخير .

2.ينسب الشيعة الى ابي سفيان انه قال : تلقفوها يا بني امية تلقف الكرة فوالذي يقسم به ابو سفيان ستكون وراثة فيكم فليس هناك جنة ولا نار!

يقول راوى هذا القول ان ابا سفيان قاله بعد مبايعة عثمان بالخلافة وان عثمان نهره . وهذا ايضا يكذبه التاريخ والمنطق، ولنا ان نسأل:

أ. من اين عرف ابو سفيان بانها ستكون وراثة في بني امية؟ هل اوتي علم الغيب؟

ب. لم يكن حينذاك فوضى او فراغ سياسي او اضطراب بين المسلمين حتى يقول ابو سفيان تلقفوها يا بني امية .

3. الروايات الشيعية لها دلالات مهمة جدا ، فهي:

اولا : تثبت ان عليا كان يرى ابابكر أهلا للخلافة .

---

[1] هو جرير بن عبد العزى ، شاعر جاهلي من اهل البحرين . مات سنة 50 قبل الهجرة .

ثانيا: انه لم يكن ليسكت لو علم ان ابابكر ليس اهلا للخلافة ، فإن كان لايسكت على مثل هذا الامر فكيف يسكت على تبديل دين الله ونقض البيعة ورد النصوص؟

ثالثا: أنه لم يعدم الاعوان لو اراد ان يقف في وجه ابي بكر وعمر ، فزعيم بني امية وزعيم بني هاشم والانصار كلهم كانوا سيقفون معه لو أراد ذلك.

الروايات الشيعية:

رواية اليعقوبي :

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، يوم توفي رسول الله... يغسل، فأجلست سعد بن عبادة الخزرجي، وعصبته بعصابة، وثنت له وسادة. وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين، فأتوا مسرعين، فنحوا الناس عن سعد، وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: يا معاشر الأنصار! منا رسول الله، فنحن أحق بمقامه. وقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير! فقال أبو بكر: منا الأمراء وأنتم الوزراء. فقام ثابت بن قيس ابن شماس، وهو خطيب الأنصار، فتكلم وذكر فضلهم. فقال أبو بكر: ما ندفعهم عن الفضل، وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل، ولكن قريش أولى بمحمد منكم، وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله: اللهم أعز الدين به! وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله: أمين هذه الأمة، فبايعوا أيهما شئتم! فأبيا عليه وقالا: والله ما كنا لنتقدمك، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين. فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر، وثنى عمر، ثم بايع من كان معه من قريش.

ثم نادى أبو عبيدة: يا معشر الأنصار! إنكم كنتم أول من نصر، فلا تكونوا أول من غير وبدل. وقام عبد الرحمن بن عوف فتكلم فقال: يا معشر الأنصار، إنكم، وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي، وقام المنذر بن أرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد، يعني علي بن أبي طالب.

فوثب بشير بن سعد من الخزرج، فكان أول من بايعه من الأنصار، وأسيد بن حضير الخزرجي، وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعداً. وقال عمر: اقتلوا سعدا، قتل الله سعداً.

وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم، بويع أبو بكر. فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد. فقال العباس: فعلوها، ورب الكعبة.

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي، فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، أنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم. وقام عتبة بن أبي لهب فقال:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

عن أول الناس إيماناً وسابقة .... وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبي، ومن ..... جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به .... وليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه علي فنهاه. وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي، إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين وليا، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين، فاختاروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا، فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وَهَنا، ولا حيرة،

ولا جُبنا، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين، يتخذكم لجأ، فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع. فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك، ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك... عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: إي والله وأخرى، إنا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهاً أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبيا وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق، لا مائلين بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله فحقاً أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرضاً، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين. ما أبعد قولك من انهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولك خلى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي، فإن كان حقاً للمؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده. وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب، وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ وقال لعلي بن أبي طالب: امدد يدك أبايعك، وعلي معه قصي، وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم، .... وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن، فاشدد بها كف حازم، ..... فإنك بالأمر الذي يرتجي ملي

وإن امرأ يرمى قصي وراءه ... عزيز الحمى، والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائباً، فقدم فأتى علياً فقال: هلم أبايعك، فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك. واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: اغدوا على هذا محلقين الرءوس. فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر.

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله! فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أياماً. ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع، ولم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً.

مناقشة هذه الرواية:

1. **اورد اليعقوبي اسمين وعزا اليهما اقوالا في السقيفة اولهما عبد الرحمن بن عوف الذي لم يكن حاضرا في السقيفة وثانيهما المنذر بن ارقم وهو غير موجود اصلا ولا يوجد صحابي بهذا الاسم !**
2. **اورد اسم عتبة بن ابي لهب ضمن الذين اعترضوا على مبايعة ابي بكر ونسب اليه شعرا وهو لم يكن في المدينة يومئذ بل كان في مكة ولم يهاجر اليها وكان ممن فر من مكة هو واخوه معتب عندما دخل النبي مكة فاتحا فارسل النبي عمه العباس خلفهما فرجعا الى مكة واسلما وبقيا فيها، والشعر ليس لعتبة وانما لحفيده الشاعر الفضل بن العباس بن عتبة المتوفى في خلافة الوليد سنة 95 للهجرة .ثم من هم ابناء ابي لهب حتى تكون لهم كلمة في الخلافة ومن يستمع اليهم ؟**
3. **اورد حادثة تعد اهانة لعلي ولا يرتضيها الشيعة حيث يقول ان عليا خرج على عمر بسيفه فتصارعا فصرعه عمر وأخذ سيفه منه وكسره!**
4. **الحوار الذي اورده بخصوص ذهاب وفد برئاسة ابي بكر الى العباس بن عبد المطلب لا اصل له ولم يورده احد غيره وهو من نسج خياله!**

5. أخطأ في اسم أسيد بن حضير فهو أوسي وليس خزرجيا .
6. يكثر من نسبة الشعر الى الناس وكأن كل الناس شعراء .
7. اخباره غير مسندة.

رواية الطبرسي :

((عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة ، قال : ... ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة وجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة ، فلما سمع بذلك عمر اخبر بذلك أبا بكر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح، وفي السقيفة خلق كثير من الأنصار وسعد بن عبادة بينهم مريض فتنازعوا الأمر بينهم فآل الأمر إلى أن قال أبو بكر في آخر كلامه للأنصار: إنما ادعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح أو عمر وكلاهما قد رضيت لهذا الأمر وكلاهما أراهما له أهلا. فقال عمر و أبو عبيدة: ما ينبغي لنا أن نتقدمك يا أبا بكر و أنت أقدمنا إسلاما و أنت صاحب الغار وثاني اثنين فأنت أحق بهذا الأمر و أولى به فقال الأنصار: نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا و لا منكم، فنجعل منا أميرا ومنكم أميرا ونرضى به على أنه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار . فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين: وانتم يا معشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصارا لدينه وكهفا لرسوله وجعل إليكم مهاجرته و فيكم محل أزواجه، فليس احد من الناس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم، فهم الأمراء وانتم الوزراء. فقال الحباب بن المنذر الأنصاري: يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم، ولن يجترئ مجتر على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم. و أثنى على الأنصار ثم قال: فان أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ولا نقنع بدون أن يكون منا أمير ومنهم أمير. فقام عمر بن الخطاب فقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد، انه لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وأُلو الأمر منهم، ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة والسلطان البين، من ذا ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل

بباطل أو متجانف بإثم أو متورط في الهلكة محب للفتنة. فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال: يا معشر الأنصار امسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقال هذا الجاهل[1] و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر و إن أبوا أن يكون منا أمير ومنهم أمير فاجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم، فأنتم والله أحق به منهم، فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها و أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، والله لئن احد رد قولي لأحطمن انفه بالسيف. قال عمر بن الخطاب: فلما كان الحباب هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام، فانه جرت بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله– صلى الله عليه واله– فنهاني رسول الله– صلى الله عليه واله– عن مهاترته فحلفت أن لا اكلمه أبدا[2]. قال عمر لأبي عبيدة: تكلم. فقام أبو عبيدة بن الجراح وتكلم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار، و كان بشير بن سعد سيدا من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عبادة لتأميره حسده [3]وسعى في إفساد الأمر عليه وتكلم في ذلك و رضي بتأمير قريش وحث الناس كلهم لاسيما الأنصار على الرضا، بما يفعله المهاجرون. فقال أبو بكر: هذا عمر و أبو عبيدة شيخان من قريش فبايعوا أيهما شئتم فقال عمر و أبو عبيدة: ما نتولى هذا الأمر عليك امدد يدك نبايعك. فقال بشير بن سعد: و أنا ثالثكما، وكان سيد الأوس[4] و سعد بن

---

[1]. هذه الكلمة النابية من اضافات الراوي رغبة منه للنيل من عمر على لسان الحباب وأستبعدُ أن يجرأ الحباب على التلفظ بها لعلمه بمكانة عمر اولا ولمهابة عمر في نفوس الصحابة ثانيا.

[2]. لم أجد حادثة منازعة عمر والحباب في المصادر التي اطلعت عليها وارجح أنها من اختلاق الراوي حتى يريح نفسه عناء تأليف سيناريو طويل من الحوار بين عمر والحباب ! وفي حال إذا كانت صحيحة فهي تدل على طاعة عمر للرسول صلى الله عليه وسلم ، فرغم تجاوز الحباب عليه ونعته اياه بالجهل فقد التزم الصمت امتثالا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

[3]. لقد نفى بشير هذه التهمة عن نفسه وبين سبب مبايعته لأبي بكر ، فلست أدري كيف يجرؤ الراوي الصاقها به.

[4]. وهذا من أخطاء الطبرسي لأن بشير أصلاً لم يكن أوسياً حتى يكون من ساداتهم ، بل كان خزرجيا ولذلك قال له الحباب أنفست على ابن عمك الامارة !

عبادة سيد الخزرج، فلما رأت الأوس صنيع سيدها بشير وما دعت إليه الخزرج من تأمير سعد اكبوا على أبي بكر بالبيعة و تكاثروا على ذلك وتزاحموا، فجعلوا يطأون سعدا من شدة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض. فقال: قتلتموني، قال عمر: أقتلوا سعدا قتله الله، فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحية عمر و قال: والله يا ابن صهاك الجبان في الحرب والفرار الليث في الملأ و الأمن[1] لو حركت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة . فقال أبو بكر مهلا يا عمر مهلا فان الرفق ابلغ و أفضل. فقال سعد: يا ابن صهاك – وكانت جدة عمر – الحبشية أما والله لو أن لي قوة على النهوض لسمعتها مني في سككها زئيرا أزعجك وأصحابك منها ولألحقنكما بقوم كنتما فيهم إذنابا أذلاء تابعين غير متبوعين لقد اجترأتما. ثم قال للخزرج: احملوني من مكان الفتنة، فحملوه وادخلوه منزله، فلما كان بعد ذلك بعث إليه أبو بكر أن قد بايع الناس فبايع. فقال: لا والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي و أخضب منكم سنان رمحي و أضربكم بسيفي ما أقلت يدي فأقاتلكم بمن تبعني من أهل بيتي وعشيرتي، ثم وأيم الله لو اجتمع الجن والإنس علي لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى اعرض على ربي واعلم ما حسابي. ... قال: وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم، وعلي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله– صلى الله عليه واله–، فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي –صلى الله عليه واله– والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد، فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام، واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر و أبو عبيدة بن الجراح فقالوا: مالنا نراكم خلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا، وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي ... ومعهم الزبير. قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم أسيد بن حصين و سلمة بن سلامة فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر: عليكم

---

[1]. هذا أيضا من اضافات الطبرسي الذي يسعى الى صب جام حقده على عمر على لسان الانصار !

بالكلب العقور فاكفونا شره، فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، و أحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلما حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، و أيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف. فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب، فقالوا له بايع أبا بكر. فقال علي ...: أنا أحق بهذا الأمر منه وانتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله– صلى الله عليه واله– فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة، و أنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حيا و ميتا، و أنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، و أنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه، و أحسنكم بلاءا في جهاد المشركين و أعرفكم بالكتاب والسنة وأفقهكم في الدين و أعلمكم بعواقب الأمور، واذربكم لسانا و أثبتكم جنانا، فعلام تنازعونا هذا الأمر ؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، و إلا فبؤوا بالظلم والعدوان وانتم تعلمون[1]. فقال عمر: يا علي أما لك بأهل بيتك أسوة ؟ فقال علي ...: سلوهم عن ذلك، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا: والله ما بيعتنا

---

[1]. هذه الفقرة شرح من الطبرسي لمقولة علي المختصرة حين أخبروه بما جرى في السقيفة بين المهاجرين والانصار واستمع الى حجة كل طرف فقال بحق المهاجرين احتجوا بالشجر وتركوا الثمر ، وهي حتى ولو كانت صحيحة ففيها دليل قاطع على ان الخلافة ليست بالنص وانه لم تكن هناك بيعة في اعناق الناس له وإلاّ لأشار اليها وذكّرهم بها ، ولكن كما ترى احتج عليهم بمثل ما احتجوا به على الانصار وتحدث عن أحقيته بالخلافة لقرابته من رسول الله ولفضله وعلمه وبلائه ولم يشر لا الى البيعة ولا الى النصوص ، فلو أشار اليها لكانت ألزم لهم في الحجة ، ولا يجوز أن يقال انه ألزمهم بالمنطق الذي تكلموا به لأن حجة النص والبيعة اقوى وألزم وليس من الحكمة ترك الحجة القوية القاطعة لما هو أدنى منها قوة ودلالة ! ثم ان كل هذه التزكية للنفس لا تليق بسيدنا علي وهي مخالفة لصريح القرآن الذي يقول " ولا تزكوا أنفسكم " !

لكم بحجة على علي، ومعاذ الله أن نقول أنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله– صلى الله عليه واله–. فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع طوعا أو كرها. فقال علي: احلب حلبا لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غدا، إذا والله لا اقبل قولك ولا احفل بمقامك ولا أبايع. فقال أبو بكر: مهلا يا أبا الحسن ما نشك فيك و لا نكرهك فقام أبو عبيدة إلى علي ...فقال: يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك و لا علمك ولا نصرتك، ولكنك حدث السن – وكان لعلي... يومئذ ثلاث وثلاثون سنة –و أبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو احمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فان عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك. فقال أمير المؤمنين ....: يا معاشر المهاجرين و الأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس. فوالله معاشر الجمع أن الله قضى وحكم ونبيه أعلم وانتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله انه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم. فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر و قالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان [1]. فقال علي ....: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه واخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحدا يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أن رسول الله –صلى الله عليه واله– ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالا، فأنشد الله رجلا سمع النبي يوم غدير خم يقول: " من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره

[1]. ان كان هذا القول صحيحا فإنه يدل على أن الناس لم يكونوا يعرفون من قبل أن علياً منصوص عليه من الله ومن الرسول وأن الناس ما فهموا من حادثة الغدير خلافة النبي.

وخذل من خذله " أن يشهد الآن بما سمع. قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدريا بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله– صلى الله عليه واله فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا عليَّ عليٌ فذهب بصري[1]. قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت و خشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي ... ففسح المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك [2] .

وفي رواية ثانية للطبرسي أيضا ، مفادها : عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله–صلى الله عليه واله– أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله– صلى الله عليه واله– ؟ قال:" نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنى عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية و سلمان الفارسي ، و أبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، و عمار بن ياسر ، و بريدة الأسلمي ، و من الأنصار : أبو الهشيم بن التيهان ، و سهل وعثمان ابنا حنيف ، و خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأُبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري. قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه و لننزلنه عن منبر رسول الله– صلى الله عليه واله–، وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على

---

[1]. هذا حدث في رحبة الكوفة ايام خلافة علي وليس في السقيفة، وصيغة استفسار علي يدل على أنه قد مر عليه زمن طويل فلو كان قاله بعد السقيفة مباشرة لقاله بصيغة اخرى تدل على قرب حدوثها ، كأن يقول ألم يقل الرسول قبل ثلاثة أشهرفي غدير خم أمامكم جميعا من كنت مولاه فعلي مولاه، وكذلك قول زيد وكنت ممن سمعه فكتمته فدعا علي علي يكذبه التأريخ لأن زيدا لم يفقد بصره بعد السقيفة وكانت له مواقف كثيرة في أيام الخلفاء الثلاثة منها ترؤسه للجنة جمع القرآن في عهد ابي بكر وعهد عثمان ، ويدل أيضا على أنه كان من القلائل الذين كانوا قد سمعوا الحديث من الرسول مما يعني أن أغلب الحاضرين لم يكونوا ممن شهد غدير خم ! ثم إن هناك روايات تقول بأنه قام كل من شهد تلك الحادثة إلاّ ثلاثة أو أربعة فدعا عليهم علي فأصابتهم دعوته ، وهذا لا يمكن أن يكون إلاّ بعد مرور مدة طويلة على هذه الحادثة وليس بعد السقيفة مباشرة .

[2]. أبو منصور الطبرسي : الاحتجاج ، ج 1 ص: 162 و ما بعدها .

أنفسكم فقد قال الله عز و جل: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين–أي علي– ... لنستشيره ونستطلع رأيه. فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا امير المؤمنين تركت حقا أنت أحق به و أولى به من غيرك، لانا سمعنا رسول الله يقول " علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف ما مال " ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله– صلى الله عليه واله–، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا ؟ فقال امير المؤمنين: و أيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حربا، ولكنكم كالملح في الزاد ، وكالكحل في العين، و أيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال وإذا لأتوني فقالوا لي بايع و إلا قتلناك، فلابد لي من ادفع القوم عن نفسي " علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف ما مال " ، وذلك أن رسول الله– صلى الله عليه واله– أوعز إلي قبل وفاته وقال لي: " يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وانك مني بمنزلة هارون من موسى وأن الأمة من بعدي كهارون و من اتبعه و السامري ومن اتبعه " فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك ؟ فقال: إذا وجدت أعوانا فبادر إليهم وجاهدهم، وان لم تجد أعوانا كف يدك واحقن دمك حتى تلحقني مظلوما. فلما توفى رسول الله صلى الله عليه واله اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ثم آليت على نفسي يمينا أن لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى اجمع القرآن، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر و أهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة رهط سلمان وعمار و أبو ذر والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم ليكون ذلك أوكد للحجة وابلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله –صلى الله عليه واله– إذا وردوا عليه. ...))[1] .

---

[1] الطبرسي/ الاحتجاج ، ج 1 ص: 168 و ما بعدها . وقد ناقش الدكتور علال كل هذه الروايات فمن أراد أن يطلع عليها يمكنه اخراج الكتاب في موقع " صيد الفوائد".

رواية الكليني :

عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر–الباقر– قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي –صلى الله عليه وآله– إلا ثلاثة ، فقلت: ومن الثلاثة ؟ فقال: المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير . و قال :" هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى و أبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع "[1] .

القاسم المشترك بين الروايات السنية والشيعية:

واخيرا ،فالذي يهمنا من هذه الروايات مجموعة من الامور المتفق عليها، والتي هي مدار بحثنا وهي :

متن هذه الرواية مضطرب ويكذب نفسه بنفسه ، ولست أدري هل كان الراوي يعي ما يقول ام أن عقله كان مغيبا حين روى هذه الرواية لانها تقول بأن عددا من الصحابة ذهبوا الى علي في اليوم الثاني من السقيفة وإذا بعلي يتحدث عن أيام بعد السقيفة بقوله: فلما توفي رسول الله اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه (علما أن الرسول لم يُدفن بعد!) ثم آليت على نفسي يمينا أن لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى اجمع القرآن، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر و أهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة رهط سلمان وعمار و أبو ذر والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم ليكون ذلك أوكد للحجة وابلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله –صلى الله عليه واله– إذا وردوا عليه... !

[1] الكليني: الكافي ، ج 8 ص: 10-11 .

روايات الطبرسي والكليني نقلتها من كتاب تناقض الروايات السنية والشيعية للاستاذخالد كبير علال، وقد ناقش جميع هذه الروايات من حيث المتن والسند ولولا طولها لاوردتها هنا ولكن اوصي القاريء بالعودة الى ذلك الكتاب القيم لمعرفة ذلك وهو منشور في موقع صيد الفوائد.

اولا: ان الصحابة اجتمعوا بعد وفاة رسول الله △ في سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة للرسول α .

ثانيا: ان الانصار هم الذين دعوا الى الاجتماع بادىء ذي بدىء وان المهاجرين لم يكونوا على علم باجتماعهم حتى أُخبروا به.

ثالثا: ان الانصار كانوا مزمعين على اختيار سعد بن عبادة ومبايعته.

رابعا: انه حدث خلاف بين المهاجرين والانصار في اول الامر –على خلاف بين المؤرخين حول طبيعة وحدة الخلاف– ثم انتهى بمبايعة ابي بكر.

خامسا: أنه لم يرد الاشارة الى النص والبيعة في اجتماع السقيفة ، لا فيما بين الانصار انفسهم ولا فيما بينهم وبين المهاجرين!

سادسا: ان على بن ابي طالب تخلف ذلك اليوم عن السقيفة لانشغاله بغسل رسول الله α .

سابعا: ان الذى اتى بالخبر اخبر عمر ولم يخبر عليا او غيره ، ثم اخبر عمر بدوره ابا بكر ولم يخبر غيره .

ثامنا: بعض الناس احتجوا على اختيار ابي بكر كأبي سفيان وغيره وذهبوا الى علي ليبايعوه فردهم .

تاسعا : لقد بايع جميع الصحابة بمن فيهم علي ما عدا سعدا في بعض الروايات الاّ أن المتفق عليه أنه(اي سعد) لم يحدث اي مشكلة للخليفة والخلافة .

ما الذي دعا الانصار الى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة؟

تساؤل يرد على الذهن تلقائيا: لماذا سارع الانصار الى الاجتماع في السقيفة ولم يجتمعوا حول جثمان الرسول (α) كما فعل المهاجرون ؟ الم يكن لموت الرسول وقع عليهم كما كان على المهاجرين ؟

لقد وقفت امام هذا الامر طويلا و فكرت فيه مليا واستعرضت جميع الاحتمالات وناقشتها مع نفسي ومع عدد من المعنيين بدراسة التاريخ الاسلامي واطلعت على مجمل

اقوال وآراء الشيعة في هذا الامر فاهتديت في النهاية ، بناء على قرائن عديدة ، الى نتيجة سأذكرها فيما بعد، ولكن قبل ذلك سأُورد كل تلك الاحتمالات التي ترد على الذهن او اوردها بعض الناس واناقشها بشيء من التفصيل :

1. حب الانصار للدنيا وتنافسهم على الزعامة لاسيما زعيم الخزرج سعد بن عبادة.
2. خوف الانصار من استبداد المهاجرين بالامر دونهم .
3. خوف الانصار من انتقام القريشيين خاصة والعرب عامة لاسيما الذين اسلموا بعد الفتح لما فعلوا بهم طوال السنين الماضية .
4. اعتقاد الانصار ان المهاجرين اقوى منهم حجة ويوجد بينهم رجال اكفاء كانوا مقربين جدا من الرسول α كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابي عبيدة وغيرهم ، فلو اخروا الامر واجتمعوا سوية لبحث الامر لما اختار الناس غيرهم.
5. اعتقاد الانصار انهم احق بالامر من غيرهم لما بذلوه من تضحيات دفاعا عن الرسول والاسلام، فانتشار الاسلام وتمكنه في الجزيرة وما حولها كان بسبب ايوائهم للرسولα والدفاع عنه باموالهم وانفسهم.
6. اعتقاد الانصار ان المدينة المنورة هي عاصمة دولة الاسلام وان الناس ينقادون لها دون غيرها وبما انهم هم اهل المدينة فلهم الاولوية في تشكيل الحكومة.
7. احساس الانصار بالمسؤولية لكونهم من اهل المدينة وان الاسلام انتشر وتمكن بجهودهم فالحفاظ على هذا الكيان يقع على عاتقهم .

هذه هي الاحتمالات التي ترد على الذهن من اول وهلة حين يبحث المرء مسألة السقيفة ويرى اسراع الانصار الى الاجتماع لبحث مسألة الخلافة ، ولكن كيف نختار الاسباب الصحيحة والدوافع المناسبة لهذا الاسراع ؟ أَنُطلقُ العنان لخيالنا يذهب بنا حيثما شاء ونقول بحقهم كل ما طرأ على بالنا ام نعتمد على قواعد علمية فلا نقول بحقهم الا ما يليق بهم وبمكانتهم ويتماشى مع ماضيهم وحسن بلائهم في الاسلام؟

الذي يقتضيه العقل والمنطق هو ان نحكم على تصرفهم ذلك من خلال ماضيهم وسابقتهم في الاسلام ، وهذا ما يفعله المنصفون ازاء كل انسان صدر منه فعل ما ، فالذي

اراه بناءً على هذه القاعدة ان جميع الاحتمالات واردة ما عدا الاحتمال الاول وهو حب الدنيا والرياسة ، واهمها عندي أمران :

الاول: الاحساس العميق بالمسؤولية من قبل الانصار هو الذي دفعهم الى الاجتماع في السقيفة بتلك السرعة لاختيار خليفة للرسول(α) ليضبط الامور ويدير شؤون الناس لان مدينتهم كانت عاصمة دولة الاسلام والناس ينتظرون الحلول من العاصمة كما هو الحال في كل العصور وكل البلدان ، فمن الطبيعي اذاً ان يتسارع اهل العاصمة لا سيما السكان الاصليون الذين كان لهم الدور الرئيس في انتصار وانتشار الاسلام كما جاء ذلك واضحا في خطبة زعيم الانصار سعد بن عبادة ، الى الاجتماع لسد الفراغ الذي اوجده موت الرسول (α) .

الثاني: احساس الانصار واعتقادهم بأنهم أحق بالخلافة من غيرهم وان فيهم من هو اهل لذلك.

والذي يؤيد هذا الرأي عدة امور :

1- لو كان الامر حب الزعامة وشهوة الرئاسة لما تنازلوا عن رأيهم ذلك بتلك السرعة ولتمسكوا به رغم كل محاولات المهاجرين لثنيهم عنه فصاحب الشهوة وخاصة الزعامة لا يتنازل عنها بسهولة .

2- ان علاقة المهاجرين بالانصار كانت اقوى بكثير من علاقتهم بالقرشيين الذين اسلموا فيما بعد ، وهذا بنص القرآن ولا يمكن ان نكذب ربنا لقول فلان او علان . فالله سبحانه وتعالى يقول : "وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ."الحشر/9 .

ويقول ايضا:" وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)"(الانفال) .

ما هي دلالات اجتماع الانصار في السقيفة

قلنا ان الشيعة يقولون ان النبي α قد عهد بالخلافة من بعده الى علي(χ) واخذ له البيعة في موقع يقال له غدير خم الواقع بين مكة والمدينة غداة عودتهم من الحج وحضر مراسيم البيعة مالايقل عن مائة الف من الصحابة[1] ويقولون ان الرسول α امر بنصب خيمتين واحدة له واخرى لعلي وظل ياخذ البيعة لعلي لمدة ثلاثة ايام وقد بايع جميع المتواجدين في ذلك المكان من الرجال والنساء ، بمن فيهم ابوبكر وعمر وليس هذا فحسب بل يؤكدون على قول عمر لعلي هنيئا لك يا ابن ابي طالب لقد اصبحت وامسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وكانت بيعة النساء عن طريق طست فيه ماء يغمس علي يده في احد طرفيه وتغمس المرأة يدها في الطرف الثاني منه وبعض رواتهم يفصل فيه اكثر فيقول ان النبي α كان سعيدا جدا بذلك الانجاز وهو يرى الناس يتوافدون على بيعة علي وقرت بذلك عينه ويذكرون ايضا ان الحرث بن النعمان الفهري جاء الى النبي (α) فقال معترضا على ولاية علي : يا محمد ، انك أمرتنا أن نشهد أن لاإله الاّ الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أو من الله ؟ فقال رسول الله α وقد احمرت عيناه ، والله الذي لا اله الاّ هو إنه من الله وليس مني ، قالها ثلاثا. فولى الحارث وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم. فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله ، فنزلت :"سأل سائل بعذاب واقع.للكافرين ليس له دافع"[2] ،ويروون حديث "من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

---

[1]. في الواقع هذا العدد غير صحيح لأن الذين حضروا هذا المكان لم يكونوا كل الحجيج بل كانوا فقط اهل المدينة وما حولها لأن الحجيج انفضوا بعد اداء مناسك الحج وكل رجع الى بلده ، وسيأتي الحديث عن هذاالحديث ومناسبة وروده ان شاء الله تعالى.

[2]. ومن الجدير بالذكر ان هذه الحادثة وقعت في السنة العاشرة للهجرة ، بينما السورة بكاملها مكية ونزلت قبل الهجرة فكيف فاتهم هذا ؟

وادر الحق معه حيث دار" الى آخره من الاقوال والاحاديث التي رووها حول هذه الحادثة ولو جئنا على ذكرها كلها لطال بنا الحديث والذي ذكرناه يشكل خلاصة أقوالهم وآرائهم وكما قلت لقد كتبوا حولها كتبا كثيرة وبحوثا جمة ، ويقولون ان الصحابة باجتماعهم في السقيفة أداروا ظهورهم لهذه الوصية ونقضوا تلك البيعة وتآمروا على علي واغتصبوا حقه!.

فلننظر ، هل اجتماع الصحابة ، او الاصح الانصار، في السقيفة هو حقا مؤامرة ضد علي ونكث للعهد ونقض للبيعة ، ام ان له دلالات اخرى تناقض ما يقوله الشيعة وتنقض عقيدتهم في التعيين والوصية وتهدمها .

سبب انصياع الانصار لابي بكر ومتابعة بقية المسلمين لهم

قبل الشروع في ذكر دلالات السقيفة نود ان نتساءل: ما معنى ان يجتمع الانصار في السقيفة ليختاروا واحدا منهم للخلافة ثم يأتي ابو بكر ومعه اثنان فقط من المهاجرين وبعد اخذ ورد يسيرين يسارع المجتمعون الى مبايعة ابي بكر ثم لا يقوم احد لا في المدينة ولا في مكة ولا في اي بقعة من ارض الاسلام من المائة الف[1] الذين حضروا وشهدوا بيعة الغدير ومن غيرهم ليذكّر الناس بتلك البيعة ويقول : ايها الناس كيف تفعلون هذا وفي اعناقكم بيعة لعلي بن ابي طالب ، وليس هذا فحسب بل حتى علي نفسه حين سمع بالخبر لم يقل ايها الناس أليس في اعناقكم بيعة لي ؟ الم تبايعوني في غدير خم يوم كذا ؟ الم يوصِ رسول الله بالخلافة لي ، الم ينزل بشأني كل هذه الآيات التى تدل على امامتي ؟ ألا تدرون ان الامامة امر الهي وليس شأنا بشريا وانكم باجتماعكم هذا خالفتم امر ربكم ونقضتم وصية رسولكم ونكثتم البيعة التي في اعناقكم؟ ثم ليس علي فحسب بل حتى الذين كانوا

---

[1]. هذا في زعم الشيعة وإلاّ فالعدد اقل من ذلك بكثير ! وسواء كانوا مائة الف او اقل فالنتيجة واحدة وهي ان احدا من هؤلاء لم يشر الى هذه الحادثة ولم يحتج بها ولم يجعل منها وسيلة للطعن في اجتماع السقيفة واختيار ابي بكر ، بل بالعكس كلما كان العدد اكثر كانت الحجة على الشيعة اقوى ولكن الحق احق ان يُقر وهو ان العدد اقل بكثير مما يدعيه الشيعة.

يؤيدونه من اهل البيت والصحابة كابن عباس وعمار والمقداد وابي ذر الناطق بالحق وصاحب اللهجة الصادقة كما يصفه الرسول (α) [1] لم ينطقوا ببنت شفة ولم يذكر احد منهم تلك البيعة. ماذا جرى للناس ؟! هل عقد الخوف لسانهم ؟ وممّ الخوف ولم يكتمل بعد لابي بكر وعمر اسباب القوة والهيمنة وهما من اصغر بطون قريش ؟ ولو سكت كل الناس لما سكت ابوذر : الصحابي الثائر المعروف بمواقفه الصارمة والذي اقام الدنيا ولم يقعدها على ما هو اقل شأنا بكثير من نكث عهد رسول الله ومخالفة كتاب الله .

لو افترضنا جدلاً ان اهل المدينة لم يجرؤوا على ذكر الحقيقة، فما بال اهل مكة وفيها بنو هاشم وبنو امية وهما من اكبر قبائل قريش ، وكانا معارضين لامارة ابي بكر، يسكتون عن مثل هذه المخالفة الكبيرة لامر الله وامر رسوله؟ ثم مابال مانعي الزكاة هل كانوا ايضا خائفين من النطق بالحقيقة ؟ الم يكن انفع لهم ان يخرجوا على ابي بكر بحجة نقضه لعهد رسول الله بدلا من امتناعهم عن دفع الزكاة ؟

انني كلما افكر في هذه المسالة تأخذني الدهشة واقول كيف يقنع الشيعة انفسهم بأن الناس كلهم انقلبوا على علي وتواطئوا على كتمان قصة مبايعته في غدير خم؟ الم يكن علي من اشجع الناس ؟ الم يكن معه بنوهاشم ؟ الم يعده ابوسفيان بان يدعمه بعشيرته وان يملأ عليهم الارض خيلا ورجالا إن أذِنَ علي بذلك؟ ألم يجرؤ الناس على الامتناع عن دفع الزكاة لأبي بكر ؟ الم يرتد كثير من العرب عن الاسلام ؟ إذا تجرأ الناس على كل ذلك فما بالهم لايتجرأون على ذكر وصية رسول الله α لعلي وبيعة الناس له في غدير خم؟ أيكون ابو بكر وعمر قد اسسا دولة بوليسية قبل وصولهم الى الحكم وأمسكوا بزمام الامور بقبضة من حديد بحيث كمموا الافواه؟ التاريخ لايقول بذلك بل يقول لنا أن الامور لم تستتب لأبي بكر الاّ بعد شهور وان كثيرا من القبائل وقفوا في وجهه وعارضوه.

ومن اغرب ما قرأت لتبرير هذا الامر ما كتبه محمد التيجاني التونسي ولا اذكر من اين اخذ استنتاجه هذا وذلك باختزال المشاركين المائة الف بالف ثم بمائة ثم بعشرة ليبرر

---

[1]. "ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء اصدق لهجة من ابي ذر" وستكون لنا وقفة طويلة مع مواقف ابي ذر لما لها من دلالات مهمة في هذا المجال.

امكانية اجتماع العشـرة على امر ما ![1] وهذا من اعجب ما رأيته من التبريرات والاستدلالات التي لا يستسيغها الا من اعمى التعصب بصره وطمس الهوى بصيرته.

اما لماذا انصاع الانصار لأبي بكر بهذه السرعة فذلك يعود الى عدة اسباب منها:

1. صحة ما قلناه من ان احد اسباب اجتماع الانصار كان خوفهم على مصيرهم ومستقبلهم من تفرد المهاجرين بالامر والاستبداد بالحكم دونهم ، ولكن بمجرد تأكيد ابي بكر على حفظ مكانتهم ووعده اياهم بان لايقطع امرا دون مشورتهم زالت تلك المخاوف كلها لذا تخلَّوا عن سعد وسارعوا الى مبايعة ابي بكر لأنهم يعلمون ان ابا بكر افضل لهم وللاسلام من سعد .

2. سرعة انصياع الصحابة للحق بعد ظهوره لهم . وهناك مواقف اخرى للصحابة تدل على هذه الحقيقة منها ترك الزبير للمعركة وتخليه عن جيش عائشة حين ذكّره علي بحديث لرسول الله △ قاله للزبير في حينه وهو انه يقاتل عليا وهو له ظالم ! فما أن سمعه الزبير من علي وتَذَكّره حتى ترك ساحة المعركة دون ادنى تردد ودون ان يقول وماذا اقول للذين حرضتهم للقتال وجاؤوا بدعوة مني؟ او ماذا اقول للذين قُتلوا في هذا السبيل؟ الخ من الاسئلة التي قد ترد على الذهن وتكفي لأقناع المرء على المضي في طريقه . كذلك طلحة بن عبيد الله حين قال له علي : بم تجيب رسول الله لو قال لك أتركت ازواجك في بيتك وجئت بزوجة رسول الله الى ساحات القتال ؟ فعرف طلحة بأن الموقف سيكون صعبا لذلك انسحب هو الآخر من ساحة المعركة فورا.ألا تدل هذه على طاعة الصحابة للرسول وتوقيرهم اياه ويقينهم بلقاء الله ورسوله، وعلى سرعة رجوعهم الى الحق وانصياعهم له؟

3. شجاعة ابي بكر وعمر وشعورهم بالمسؤولية وثقتهم بانفسهم وبالانصار، ثم عبقرية ابي بكر وقابليته على معالجة هذا الامر الخطير بهذه السرعة وبهذه السهولة ، ومن هذا الموقف وغيره من المواقف يتبين ان ابابكر كان بحق رجل المواقف الصعبة ، وانه كان من اعظم الصحابة واجلهم واكفئهم .

---

[1] .لأكون من الصادقين /محمد التيجاني السماوي.

4. معرفة الصحابة لفضل ابي بكر ومكانته ، ولو ان احدا غيره حضر هذا الاجتماع لما تأتّى له ما تأتّى لأبي بكر من انصياع الانصار له ومبايعتهم اياه بهذه السرعة وبهذه السهولة ، ولكن ابابكر لسنِّه ومكانته من رسول الله ، وكونه نائبا له على المسلمين في الصلاة وفي الحج انصاع الصحابة له خلال دقائق وبايعه الجميع عدا سعدا!.

5. عدم وجود نص على احد بالخلافة وعدم وجود بيعة في اعناق الناس لأحد. والسقيفة تدل على هذه الحقيقة من جهتين: من جهة اسراع الانصار الى الاجتماع في السقيفة لاختيار الخليفة ، ومن جهة اسراعهم الى مبايعة ابي بكر بعد تلك المداولة القصيرة حول الخلافة.

اما دلالة السقيفة على عدم وجود نص أو بيعة ،أو كليهما ، وعدم وجود نائب للرسول فواضح ، لأنه لو كان هناك شيء من ذلك القبيل لما اجتمع الناس في السقيفة بل اجتمعوا حول علي مباشرة وانتظروا اوامره وتعليماته ، ولما انشغلوا بالبحث عمن يولونه أمرهم . هذا ما يقتضيه العقل والمنطق ، وهذا الذي كان يحدث في الماضي ويحدث في الحاضر وفي المستقبل ، فعند موت رئيسس، أي رئيس ، سواءا كان رئيس دولة أو رئيس قبيلة ، ووجود نائب معين له ، لا يذهب الناس الى بحث مسألة الرئاسة بل يلتفون حول نائبه ويسلمون له القياد وفق دساتير البلاد وأعراف القبيلة ولا يجرؤ احد على الخروج على تلك الدساتير أو الاعراف والتقاليد إلاّ إذا قلنا أن مجتمع الرسول كان فوضى لا يحكمه لا دستور ولا قانون ولا أعراف ، وانه كان أقل شأنا وأقل تنظيما حتى من أشد التجمعات البشرية بداوة ! ولكن الواقع لا يقول بذلك، بل يقول بعكسه تماما ، وهو أن الرسول △ أنشأ مجتمعا حضاريا راقيا مدركا اشد الادراك لمعاني العقود الاجتماعية والسياسية ولمعاني البيعة والطاعة ولمعنى ولي الامر والامير ..الخ ، وقد احدث نقلة نوعية في ذلك المجتمع ورفعه ليس على المجتمع العربي المحيط به، بل وعلى كل المجتمعات السائدة في ذلك العصر بما فيها الفرس والروم صاحبتي الحضارة والامبراطورية ، وجعل منهم اساتذة الانسانية ، ليس لذلك العصر فحسب بل لما تلتها من العصور ، وكان هذا وراء اسراع الامم الى اعتناق الاسلام بمجرد دخول الاسلام الى بلدانهم .

إذاً فاسراع الانصار الى الاجتماع في السقيفة كان سببه عدم وجود نائب معين من قبل الرسول ، ولو كان هنالك شيء من ذلك لما فعلوا ما فعلوه.

هذه بعض دلالات اسراع الانصار الى الاجتماع في السقيفة ومن ثم مبايعة ابي بكر ، فكلها كما رأيت امور مهمة تعطي صورة مضيئة لذلك المجتمع الذي انشأه رسول الله (α)، ولنتحدث بقليل من التفصيل عن هذا الامر:

قلنا ان الانصار اجتمعوا في السقيفة ، فما كادوا يشرعون في مبايعة سعد بن عبادة حتى وصل الخبر الى ابي بكر وعمر، فسارعا الى السقيفة وليس معهما من المهاجرين سوى ابي عبيدة بن الجراح ، ودون اخبار بقية المهاجرين ومن غير خوف من عواقب ذهابهم الى مكان الاجتماع بمفردهم . وقد لقيهم في الطريق اثنان من الانصار فأشارا عليهم بعدم الذهاب الى السقيفة وابرام الامر مع المهاجرين خشية حدوث فتنة بينهم ، ولكنهم اصروا على الذهاب بمفردهم، ودون خوف من عواقب ذلك او الخوف من نكال الانصار بهم ، وهذا يدل على ثقتهم بأنفسهم وبالانصار ايضا وبايمانهم بمشروعية عملهم ، اضافة الى دلالته على شجاعتهم وربما على علمهم بمعرفة الانصار لفضلهم ومكانتهم من الاسلام ومن رسول الله (α).

يجب الوقوف امام هذا الموقف والتفكر فيه مليا : ماذا كان سيحدث لو أُخبر بقية المهاجرين بهذا الاجتماع ؟ او ذهب جميع المهاجرين الى محل الحادث؟ او دار النقاش بين جميع الانصار من جهة وجميع المهاجرين من جهة اخرى، وكيف كان سيحسم الامر لو ترشح للخلافة اكثر من واحد من المهاجرين؟ هذه الامور لم تحدث لذلك لا نستطيع الجزم بشيء ولكن يمكن التكهن –بناءا على القرائن الكثيرة– بان الناس لم يكونوا ليعدلوا بأبي بكر احدا ، صحيح انها كانت ستكون الزم في الحجة واقطع لحجة الشيعة ولكن الامر لم يكن يحتمل التأخير ليبلغ جميع المهاجرين واللوم يقع على الانصار الذين نظموا ذلك الاجتماع بتلك السرعة ولم ينتظروا فراغ المسلمين من غسل ودفن الرسول (α) والله سبحانه وتعالى قدّر ان تتم على هذه الصورة و قدّر الله وما شاء فعل.

وهناك سؤال آخر يرد على الذهن : لماذا امر رسول الله ان يتولى غسلَه رجال من اهل بيته ؟ ألعلمه بانه سيكون هناك خلاف حول الخلافة بعد موته فأراد ان ينشغل اهلُ بيته بغسله وتكفينه ليصرف عنهم الخلافة ؟ لا أرى بأسا من تبني هذا الرأي اذا اصر الشيعة على القول بأن الرسول (α) اراد ببعثة اسامة ابعاد كبار الصحابة عن المدينة لأخلاء الجو لعلي (χ) فهذا من ذاك ، ولا فرق بينهما ، فاما ان نرفضهما جميعا او نقبلهما جميعا ولا مرجح لأحدهما على الاخر .

لقد ظهرت عبقرية ابي بكر بجلاء في حادثة السقيفة كما ظهرت عليه آثار التربية النبوية فاستطاع بصدق لهجته وقوة حجته ان يبدد تلك المخاوف في كلمة قصيرة صادقة ألقاها على مسامع الانصار ، فما لبثوا بعدها ان سارعوا الى مبايعته لما لمسوه من صدق لهجته وقوة دليله ولثقتهم بأنه الصدّيق الذي لايخلف وعده. لقد غلب ابو بكر سعدا بمنطقه الايماني لا بعشيرته ولا بأتباعه فهو كما قلنا لم يكن معه في ذلك المجلس سوى عمر وابي عبيدة .

نعم هنا تجلت عبقربة وكفاءة ابي بكر ، وهذا يُعدّ بحق من اعظم مواقفه التى وقفها في نصرة الاسلام اضافة الى مواقفه الاخرى التي تعد كل واحدة منها مفخرة من مفاخره : فوقوفه الى جانب الرسول α في مكة و تصديقه اياه حين كذّبه قومه ثم هجرته معه و تكريسه لماله و اهله لخدمة الرسول ثم وقوفه في الناس خطيبا بعد وفاة الرسول يبين لهم الحقيقة و مقولته المشهورة (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات و من كان يعبد الله فأن الله حيٌّ لا يموت) ثم وقوفه في وجه المرتدين، و تجهيزه لجيش اسامة ، وشروعه في الفتوحات الاسلاميه ،و نشره للاسلام ثم جمعه للقران الكريم و اخيرا توليه لعمر بن الخطاب الفاروق الزاهد العابد العادل ، كل هذه تعد من مفاخره ومن أفضاله على هذه الامة رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه ورفع درجته في اعلى عِلّيين.

لقد كان اسلوب ابي بكر في حل النزاع في السقيفة من احكم و اروع الاساليب التي يجب على القادة ان يتبعوها ، فهو بعد ان تفهّم دوافع الانصار في الاسراع الى هذا

الاجتماع بدأ يتحدث اليهم بأسلوب الطبيب الحاذق الماهر الذي يشخص الداء ثم يصف له الدواء الناجع.

لقد بدأ ابو بكر حديثه بالاقرار بفضائل الانصار ومواقفهم ، وما قدموه للاسلام من تضحيات ، وما كان لهم من مكانة في قلب النبي (α) واقرّ لهم بكل مزاياهم ، ثم ذكر المهاجرين وفضلهم ومواقفهم وما تحملوه في سبيل الله وما لاقوه من قريش ، ثم ذكر ثقل مكة في الجزيرة العربية ومكانة قريش بين العرب وسهولة انصياع الناس لهم، ثم أكّد لهم بأنهم لن يقضوا امرا دونهم . هنالك انتبه الانصار واطمأنوا بأن مكانتهم ستبقى محفوظة وحقوقهم تبقى مضمونة وانه سيكون لهم دور مستقبلي لا يقل عما كان عليه في عهد الرسول (α) لذلك رضوا بامامة ابي بكر وسارعوا الى مبايعته!.

بهذا الاسلوب الرائع الصادق النابع من القلب والذي لامس شغاف القلوب خاطب ابوبكر الانصار واستطاع ان يحسم ذلك الخلاف وان يُجنِّب المسلمين مخاطر فتنة كانت على وشك الحدوث والتي ما كان يعلم مداها الاّ الله سبحانه وتعالى . ولك ان تتخيل لو ان تلك المشكلة لم تحل بتلك السرعة والعرب حديثو عهد بالاسلام وقد ارتد اكثرهم فيما بعد ، كيف كان سيكون حال المسلمين ؟. الا يدعوك هذا الى القول بان ابابكر كان من نعم الله على هذه الامة وانه كان قدرا من اقدار الله حفظ الله به وحدة المسلمين وحافظ به على دينه .

رد شبهة:

قد يقول قائل ان ابابكر استفاد من اختلاف الاوس والخزرج ، وان الاوس ارادوا تفويت الفرصة على الخزرج بمبايعتهم لابي بكر[1] . وهذا يكذبه امور:

اولا: استجابة الاوس لدعوة الخزرج للاجتماع في السقيفة وعدم حدوث نزاع بينهم على الخلافة قبل وصول المهاجرين وعدم اعتراضهم على مبايعة سعد بن عبادة .

[1]. ذكرها الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه " السقيفة".

كان بامكان الاوس ان يبرموا اتفاقا مع الخزرج على تداول السلطة فيما بينهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك مما يدل على انه لم يكن بينهم من يرونه اهلا للخلافة بعكس الخزرج الذين برز فيهم سعد بن عبادة .

ثانيا: واهم من ذلك أن الذي أفسد الامر على سعد بن عبادة كان خزرجيا ولم يكن أَوسيا، وهو بشير بن سعد الخزرجي، وان الدافع كان دينيا وليس دنيويا وقد ظهر ذلك جليا في جواب بشير بن سعد للحباب بن المنذر حين قال له حباب انفست على ابن عمك الخلافة ؟ قال بشير: لا والله، ولكني رأيت هؤلاء لها اهلا فلم أُرد ان أُنازع القومَ حقَّهم.

ثالثا: متابعة الخزرج للاوس في مبايعة ابي بكر ، فلو كان ما يقوله الشيعة صحيحاَ من ان الاوس ارادوا تفويت الفرصة على الخزرج لأحدث ذلك ردة فعل عند الخزرج ولدفعهم الى مخالفة الاوس والبحث عن رجل آخر لمبايعته . هذا هو طبع البشر ولكن متابعة الخزرج للاوس لمبايعة ابي بكر يدل على ان الامر لم يكن بالشكل الذي يصوره الشيعة.

ولو كان ما يزعمه الشيعة ، من وجود نزاع بين الاوس والخزرج ، صحيحا لعُدّ هذا دليلا قويا على عدم وجود مرشحين آخرين للخلافة فضلا عن وجود النص والبيعة . فليس وجود النص والبيعة وانما مجرد وجود اشخاص آخرين مرشحين للخلافة او مؤهلين اكثر من ابي بكر لكان كافيا لحمل الخزرج على الامتناع عن متابعة الاوس في مبايعة ابي بكر.

اما ما قاله اسيد بن حضير فكان بعد مبادرة بشير بن سعد الخزرجي وبعد اقتناعهم بمنطق ابي بكر وحجته فلم يريدوا ادامة الخلاف ورأوا ان ابابكر افضل لهم من سعد واولى بها منه .

انني اجزم بان ما حدث في السقيفة كان بتقدير الله ومن ألطافه بهذه الامة التي قال عنها" كنتم خير امة اخرجت للناس" لتقوم باداء رسالتها على خير وجه وقد ادرك ابو هريرة هذه الحقيقة لذلك اقسم ثلاث مرات انه لولا أَبُو بَكْرٍ لَهَلَكَتْ أُمّةُ مُحَمّدٍ عَلَيْهِ السّلامُ بَعْدَ نبيهَا. .

ان اجتماع المسلمين على ابي بكر بهذه السرعة وسكوت الاصوات المعارضة يدل على عدة امور ، منها:

اولا: عدم وجود نص على احد ولا بيعة في عنق احد. اذ لو كان هناك نص على احد او بيعة في اعناق الناس لاحد لما هدأت هذه الاصوات المعارضة بهذه السرعة ولما سكت صاحب هذا الحق بهذه السهولة .فان كان سعد بن عبادة قد رشحه قومه لهذا المنصب لم يسكت بسهولة وظل ممتنعا عن مبايعة ابي بكر وعمر وامتنع عن الصلاة خلفهم والحج معهم ،كيف يسكت من رشحه الله ورسوله لمنصب الخلافة وقد اخذ امره بُعداً دينيا ؟

ثانيا: يدل على نضج هذا المجتمع وتشبعه بتعاليم الاسلام ورضوخه لمنطق الحق وايثاره لمصلحة الاسلام على المصالح الشخصية والقبلية والوطنية. وهذه النقطة سنتحدث عنها بشيء من التفصيل فيما بعد.

ثالثا: يدل على مكانة ابي بكر وفضله ، فلو لم يتمتع ابوبكر بتلك المنزلة والمكانة لما انقاد الناس له بتلك السهولة ولا سيما اذا عرفنا انه كان من اصغر بيوتات قريش كما عبر عن ذلك ابو سفيان عشية سماعه خبر استخلاف ابي بكر.

دلالات السقيفة مع افتراض وجود النص والبيعة

اما اذا افترضنا أن الامامة شأن إلهي وانه أُنزل فيها نصوص قرآنية وأنه كانت هناك وصية من رسول الله (△) لعلي وبيعة في اعناق الناس له لأصبح لاجتماع الصحابة في السقيفة دلالات اخرى كثيرة مغايرة للتي ذكرناها، منها:

1- ضعف ايمان الصحابة وقلة تقواهم وتهاونهم في امور الدين وحبهم للدنيا وتنافسهم عليها ومخالفتهم لله والرسول، والشيعة يذهبون الى ابعد من ذلك فيرمونهم بالارتداد والنفاق ، فلو كانوا مؤمنين حقا واتقياء لما عصوا الله ورسوله ولما ظلموا عليا و تآمروا عليه واغتصبوا حقه ، ولما اجتهدوا في مسألة دينية فيها نص ولما نقضوا البيعة التي اعطوها لعلي في غدير خم .

2- ضعف الرسول وعدم هيمنته على اصحابه ومجتمعه (حاشاه)، اذ لو كان مهيمنا عليهم لنصب عليا قبل موته ولأعلنه ايام مرضه ولجمع الناس في المسجد واعلن ذلك على

الملأ رغم انف المعارضين، ولم يكن بحاجة الى التحايل على الصحابة بزجهم في جيش اسامة ليبعدهم عن المدينة ليخلو الجو لعلي بعد وفاته فيعود هؤلاء وقد أُبرم الامر لعلي واسقط في أيديهم [1]، ويدل ايضا على ان ابا بكر وعمر كانا اقوى منه حين ابرما الامر لمن خلفهما دون الخشية من احد. ولا اظن ان منصفا سيماري في هذه المسالة ويقول بأن لجوء الرسول الى هذه الوسيلة ثم نقض الصحابة لعهده ليس دليلا على ضعفه ، وان سبب عدم اتخاذه تلك الاجراءات التي ذكرناها هو مرضه ، فالمرض لا يقلل من هيمنة القادة الاقوياء المطاعين . ألا ترى ان كثيرا من الخلفاء قد عهدوا الى غيرهم في حال مرضهم وقبل موتهم وان ذلك لم يكن مانعا من تنفيذ وصاياهم وابرام عهودهم.

اذاً، لو كان الرسول (△) قويا ومهيمنا على مجتمعه ومطاعا فيهم لما استطاع احد ان ينقض عهده او يردّ امره . وهذا الطعن في الرسول (△) من الخطورة ما تعلم ومناف للحقيقة كما سنبينه فيما بعد.

3– فشله (حاشاه △) في التأثير على الناس وتغييرهم وتزكيتهم وتربيتهم ! وهذا هو مقتضى قول الشيعة ان الصحابة كلهم ارتدوا بعد وفاة رسول الله الاّ ثلاثة – او سبعة في احسن الاحوال – اذ لو كان الرسول قد نجح في التأثير على الناس ونجح في تغييرهم لما تواطئوا جميعهم على كتمان النص ونقض العهد والانقلاب على من ارتضاه الله ورسوله ليكون أميرا عليهم ولرضوا بما رضيه الله ورسوله لهم لا سيما الذين صاحبوه منذ البداية لان الله يقول :" وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة" ، ويقول : "ماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم" ويقول ايضا: "انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أنْ يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون " النور/51

---

[1]. هذا هو تحليل الشيعة لبعثة اسامة وسوف نتحدث عنه فيما بعد بالتفصيل وانظر الى كتاب السقيفة لمحمد رضا المظفر والمراجعات لشرف الدين عبد الحسين الموسوي موضوع بعثة اسامة

لو كان هناك مجموعة كافية من الاتقياء وممن تشبعوا بتعاليم الاسلام لوقفوا في وجه من يريد ان يخالف امر الله في مسألة دينية مهمة ويريد أن يصرف الحق عن اهله ويجتهد في معرض النص . فكما انه لم يستطع احد ان يجتهد في شأن الخمر ويحلّه ولو فعله لوقف الناس كلهم في وجهه، كذلك لما استطاع احد ان يبدّل امرا دينيا مهما وخطيرا كالامامة التى يزعم الشيعة انها ركن من اركان الايمان . فلو كانت الامامة بهذه الاهمية فكيف لم يعترض المؤمنون على من اعتدى عليها وجعلها امرا دنيويا وغصبها من صاحبها؟ انك ترى اليوم حربا شعواء بين الاسلاميين الذين يدعون الى تحكيم شريعة الله والعلمانيين الذين يدعون الى تنحية شرع الله و تحكيم القوانين الوضعية ، فهل كان الصحابة الذين رباهم رسول الله △ أقلّ غيرة على الاسلام ممن جاؤوا بعدهم بألف واربعمائة سنة؟. ان اجتماع الانصار في السقيفة ثم لحاق المهاجرين بهم وبحث مسألة الخلافة مع وجود النص والبيعة ثم مبايعة ابي بكر بالخلافة ورضوخ الصحابة لهذا الامر، الا قليلا منهم، يدل على رضى الصحابة بتبديل شرع الله ، وعدم ظهور معارضة ، لاشديدة ولا ضعيفة ، يدل على تواطئهم على مخالفة النص ونقض البيعة ، وهذا لعمري –لو صح – لعُدّ اكبر دليل على فشل الرسول (△) في مهمته وعدم تمكنه من تكوين مجموعة صالحة يعتمد عليهم في نشر دينه وتبليغ رسالته.

ألم تكن مهمة الرسول △ تعليم المؤمنين الكتاب والحكمة وتزكيتهم كما أخبر الله تعالى في مواطن عديدة من كتابه؟ [1] فهل نجح في تحقيق هذا المهام ام لا؟ هذا يجيب عليه

---

[1]. (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة/2
(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة/151
(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران /164
(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة/ 129

القرآن والتاريخ والمنطق. فالقرآن يثني عليهم في مواقع كثيرة وباسلوب واضح صريح لا يدع مجالا للشك ، ويذكر لنا أن الله قد رضي عنهم ووعدهم جنات تجري من تحتها الانهار وليس جنة واحدة وأمر من يأتي بعدهم باتباعهم ، والتاريخ يذكر لنا انهم وقفوا في وجه المرتدين وردوهم الى حظيرة الاسلام وجمعوا القرآن وفتحوا البلدان ونشروا الاسلام ونقلوا نور الاسلام وتعاليمه الى العالم ، والمنطق يقضي بكونهم من خيرة البشر لأن استاذهم ومربيهم هو الرسول △ ومنهجهم هو كتاب الله ينزل عليهم غضا طريا ويوجههم خطوة خطوة .

4- جهل الرسول △ (حاشاه) باصحابه وعدم تمييزه بين صالحهم وطالحهم وعدم معرفته المؤمنين الحقيقيين من غير الحقيقيين وعدم تمييزه بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة ، لذلك لم يكن يعرف من يُقدّم منهم ومن يُؤخر، ومن يُقرّب ومن يُبعّد، وعلى من يعتمد وعلى من لايعتمد، لانه كما هو معلوم ان اقرب الناس اليه كان ابا بكر ثم عمر ثم عثمان مع علي طبعا وقد صاهرهم جميعا فتزوج من بنات اثنين منهم وزوج الآخَرين بناته وليس هذا فحسب فانه زوج عثمان احدى بناته وظل لا يعرف حقيقته طوال الفترة التي قضاها مع رقية فزوجه الثانية [1] ، فكان هؤلاء الاربعة من اقرب الناس اليه والى مجلسه، وربما يقول

[1]. بعض علماء الشيعة يحاولون انكار كون رقية وام كلثوم وزينب من بنات الرسول ومن صلبه وهم مع ذلك ليسوا على قول واحد فمنهم من يقول انهن كن بنات خديجة من زوجها الاول وبعضهم يقول انهن كن بنات هالة اخت خديجة وكن في ذمة خديجة! وهذا يشبه قول بعضهم ان الذي كان مع النبي في الغار لم يكن ابابكر الصديق ! والتكلف في كلتا الحالتين واضح وهو مخالف لما اجمع عليه اهل السير . وهذا يدل على ان الشيعة لا يسعون الى الوحدة والتقارب مع السنة لذلك يعمدون الى كل ما هو متفق عليه بينهم يغيرونه ويبدلونه !

الشيعة انه كان يعرفهم ولكنه صاهرهم ليأمن شرهم ويتحاشى مكرهم[1] ، وهذا اتهام له بالضعف وعدم الهيمنة على مجتمعه وعدم رضوخ الناس له وهذا لعمري أشنع من الاول .

5- ضعف علي ◀ وجبنه(حاشاه) ، لان الاقوياء لا احد يجرؤ على الاعتداء عليهم وسلب حقوقهم وان كانوا مكروهين من قبل الناس، فان اغلب الاشداء مكروهون من قبل الناس الا من كانت شدته على الاعداء لا على الاصحاب والاتباع ، وفي الحق لا في الباطل. فلو كان علي (◀)قويا وشجاعا لما استطاع احد ان يفكر ، مجرد التفكير، في الخلافة ناهيك عن انتزاعها منه أو صرفها عنه . ولكن عليا لم يكن لا جبانا ولا ضعيفا بل كان من اشجع الفرسان واقوى الابطال وكان من عشيرة بني هاشم ومن اهل بيت النبي△ وهذه الامور تزيده قوة الى قوته وتعزز موقفه وموقعه .

6- ويدل أيضاً على أن عليا علاوة على ضعفه وجبنه كان مكروها من قبل الناس ، لذا لم يرحب احد بخلافته وتواطئوا جميعا على خلعه وتنصيب غيره لانه لو كان محبوبا من الناس لما تواطئوا على خلعه ولما احجم كل الناس عن التذكير بحقه في الخلافة، فقد يكون الانسان ضعيفا ولكن الناس يقبلونه اميرا لحبهم له.

هذه ست دلالات على اجتماع الصحابة في السقيفة فيما لو كان هناك نص وبيعة اردت ان اثبتها اولا ثم آتي الى مناقشتها فيما بعد ، وهي كما ترى مترابطة ومتداخلة ولا يمكن فصلها عن بعضها ، فهي طعن في الرسول والصحابة وعلي في آن واحد. فقلة ايمان الصحابة لا تؤثر شيئا لو كان الرسول قويا ومهيمنا عليهم او كان علي شجاعا وقويا ومهابا ، فلا يمكن الاقتصار على امر دون آخر فكلها دلالات حتمية لاجتماع السقيفة فيما لو كان هناك نص او بيعة فما بالك بالنص والبيعة معا ، فوجود واحد منهما- اي النص والبيعة- يكفي للقول بهذه الدلالات الستة فكيف بهما جميعا .

---

[1]. مثل هذه التبريرات الباردة التي تدل على عدم احترام عقول الناس جاهزة عندهم في مثل هذه المواقف ، مثلا في سبب اصطحاب ابي بكر في الهجرة يقولون انه اصطحبه لكي لا يخبر عنه ، وفي سبب سكوت علي على ضرب فاطمة يقولون انه سكت ولم يدافع عنها لان النبي امره ان يصبر ولا يدافع عنها ، وهكذا الخ .

والآن نأتي الى مناقشة هذه الامور ونرى مدى صحتها ، فاذا اثبتنا صحتها فحينئذ نسلم بوجود النص والبيعة ، اما اذا اثبتنا خطأها وفسادها فعندئذ يسقط القول بوجود النص او البيعة وتسقط هذه الفرضية وبذلك يكون اجتماع السقيفة دليلا على صحة ما فعله الصحابة ودليلا على ان اختيار الخليفة موكول الى الامة وليس امرا الهيا.

وقبل البدء بدراسة هذه الدلالات يجب ان نقر بان الشيعة يقولون باثنتين منها : اولهما القول بان الصحابة خالفوا امر الله ورسوله ونبذوا النص ونقضوا العهد وتآمروا على علي وانقلبوا عليه ، و ثانيهما القول بان عليا كان مكروهامن قبل كثير من الناس لأنه قتل صناديد قريش وابطالهم ، لذلك حقدوا عليه وتآمروا عليه.[1] ولكن كما قلنا لايمكن الفصل بين هذه الدلالات والاقتصار على بعضها دون بعض فكلها مترابطة ومتداخلة ومتماسكة وكلها بنفس القوة من حيث دلالتها .

ولنبدأ الآن بمناقشة هذه الدلالات واحدة واحدة:

اولا: ما يخص الصحابة بانهم لم يكونوا متقين ولم يتمكن الايمان من قلوبهم لذلك آثروا الدنيا ونقضوا البيعة وردّوا نصوص الكتاب والسنة ، نقول: هذا القول ينقضه الكتاب والسنة واقوال علي في الصحابة وينقضه العقل والمنطق والتاريخ وحياة الصحابة.

اما ادلة الكتاب والسنة فسوف نقتصر على القرآن ولن نتطرق الى السنة الاّ عند الضرورة على الرغم من كثرة الاحاديث التي وردت في شأن الصحابة وان كان لا يُلتفت الى موقف الشيعة من تلك الاحاديث لأنهم لم يقبلوا اي حديث في مدح الصحابة كما لم يرفضوا اي حديث في مدح من يسمونهم ائمة اهل البيت ، وهذا فيه ما فيه من الادلة على انصاف اهل السنة وتعصب الشيعة ، ولكن مع ذلك سوف لن نذكر الاحاديث التي وردت في فضائل الصحابة ونركز على اقوال علي وابنائه فانها الزم في الحجة.

اولا: ادلة القرآن:

---

14. ويضيف بعضهم كشرف الدين الموسوى في مراجعاته سببا آخر وهو القول بأنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله لذلك تآمروا عليه والحسد جزء من الكراهية ، فلو أحبوه ما حسدوه .

قبل ان نذكر الايات التي تتحدث عن الصحابة يجب ان نشير الى حقيقة مهمة لا يماري فيها احد ، وهي ان القرآن يُعد اصدق وثيقة تاريخية للفترة التي نزل فيها والمجتمع الذي نزل فيه، و فيه صورة واضحة لذلك المجتمع الذي عاش فيه الرسول (△) وصورة دقيقة عن شرائحه بجميع اطيافه من المؤمنين والمشركين والمنافقين والنصارى واليهود. فانه يتحدث عن الجماعة المسلمة ونشأتها والمخاطر التي واجهتها وعن صفات المؤمنين ومابذلوه من اجل نصرة دينهم ورسولهم وعن الجهود التي بذلها الرسول الكريم في تربية ذلك الجيل وتنشأتهم على المباديء والقيم والمفاهيم والاخلاق الاسلامية . بناء عليه نقول انه لايجوز غض الطرف عن هذه الوثيقة الصادقة والدقيقة ونُكوِّن في اذهاننا بعيدا عنها– أي القرآن– صورة لذلك المجتمع مغايرة تماما لتلك التي يرسمها القرآن.

منهج الشيعة في التعامل مع القرآن

وقبل البدء بسرد الآيات التي تتحدث عن الصحابة من الضروري أن أذكر منهج الشيعة في التعامل مع القرآن عموما وفيما يتعلق بالصحابة خصوصا :

1.ان الشيعة بنوا عقيدتهم في الامامة على ادلة عقلية ، حيث جعلوها من الالطاف الالهية وجعلوها كالنبوة او أعلى شأنا من النبوة واوجبوا على الله نصب الائمة بعد رسول الله α ثم اوجبوا لهم صفات كالعصمة ، وعلم ما كان وما يكون ، والخلافة التكوينية والقدرة الخارقة وغيرها من الصفات التي ترفعهم عن مستوى البشر ، ونسبوا روايات الى الائمة بهذا الشأن ، ثم جاؤوا الى القرآن يبحثون فيه عما يؤيد تلك المقررات العقلية فلما لم يجدوا آيات صريحة تسعفهم وتؤيد وجهة نظرهم عمدوا الى تأويل الآيات القرآنية تأويلا تعسفيا يمكنهم من الاستدلال بها على تلك المعتقدات ، فتركوا المحكمات من الايات واتبعوا المتشابهات ، ونهجوا في هذا السبيل نهجا غريبا وعجيبا ، فانهم للاستدلال على اهمية الامامة يستشهدون بآيات يرد فيها لفظ الامامة وكأن ورود لفظ الامامة في القرآن يكفي لاثبات اهميتها أو على انها ركن من اركان الدين وأنها تكون بالنص ..الخ !!.

وحين يقال لهم ان الامامة مثلا رغم كونها من اركان الايمان حسب زعمكم فإن القرآن لم يبينها ، يقولون ان الصلاة وهي ركن من اركان الاسلام لم يبين القرآن تفاصيلها وانما فصلتها السنة النبوية ناسين أو متناسين أن الصلاة وان لم يبين القرآن تفاصيلها إلاّ انه بين أهميتها ووجوبها على المسلمين وأن من لم يؤدها يأثم ويحاسب ، وذكر شروط اتيانها من الطهارة والخشوع والتوجه الى القبلة ، وذكر بعض أركانها كالركوع والسجود وقراءة القرآن فيها ، ولكن الامامة لم يرد في حقها مثل هذه الامور من كونها امرا دينيا او انها من اركان الايمان او الاسلام ولم يذكر ضمن الآيات التي تتحدث عن اسباب النجاة ودخول الجنة الخ . وكذلك الحال بالنسبة للزكاة والصوم والحج وغيرها من الواجبات الدينية فقد وردت آيات في بيان فرضيتها واهميتها وبينت بعض احكامها.

2. انهم يتعاملون مع النصوص والأحداث بهذه المفاهيم التي قرروها مسبقا ولا يدعون هذه النصوص تحدد لهم مفاهيمهم بل يقررون مبادءهم ثم يبحثون لها عما يؤيدها من القرآن والسنة كالامامة، وكذلك يريدون بهذه المقررات المسبقة ان يحددوا معاني ودلالات النصوص إن كانت قرآنية ويحددوا صحتها ودلالاتها إن كانت نبوية ويحددوا دلالاتها إن كانت من الأحداث التي لايجدون الى إنكارها سبيلا ، فمثلا حين يأتون الى القرآن الكريم ويجدونه يتحدث عن أبي بكر الصديق ويسميه صاحب رسول الله لا يسلمون به دليلا على فضل ابي بكر لأنه متهم عندهم ، إذن يجب أن تؤوّل الآية تأويلا يتفق مع ما هو مقرر عندهم فيقولون : ان لفظ "الصاحب" لايدل على فضل أبي بكر لأنه قد يصحب المؤمن كافرا ويصحب الكافر مؤمنا ويضربون بذلك مثال صاحب الجنة المؤمن الذي قال لصاحبه الكافر (أكفرت بالذي خلقك ...) دون النظر إلى الفارق بين الحالتين وإلى القرائن التي تحدد مدلول كلمة الصاحب في كل من الآيتين أو النظر إلى سياق الآيتين[1].

في سورة التوبة تتحدث الآية عن رسول الله (α) مع صاحب له إختاره خصيصا ليصحبه في رحلة الهجرة الشاقة هربا من أهل مكّة فيخرجان مختفيين يخافان أن يدركهما

[1] انظر على سبيل المثال تفسير عبد الله شبر في تفسيره لهذه الآية من سورة التوبة.

المشركون الذين يتبعون اثرهما فيزداد قلق أبي بكر فيقول له رسول الله (α) (لاتحزن إن الله معنا) فدلالة الآية واضحة على أن الإثنين مؤمنان وأن الله معهما،والمعية هنا خاصة وهي معية التاييد، وهي واضحة الدلالة على فضل ابي بكر ، بينما في سورة الكهف فان الآية صريحة في أن الرجل كافر (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه ابدا ....قال له صاحبه أكفرت بالذي خلقك من تراب ..) فالرجلان هنا أحدهما مؤمن والآخر كافر . وللشيعة تأويلات غريبة وعجيبة حول استصحاب الرسول (α) لأبي بكر في هجرته ليس هنا محل نقاشها ولكن اشير الى اتفهها وهى ان الرسول(α) استصحبه معه لكى لا يخبر المشركين بهجرته ومكانه.![1]

3. ان الشيعة لم يكتفوا بجعل الامامة ركنا من اركان الدين بل جعلوها محور الاسلام وبنوا عليها آثارا خطيرة كتكفير منكر الامامة او منكر امامة واحد من الائمة ونسبوا روايات الى ائمة اهل البيت تقول :

" نزل القرآن اثلاثا ثلث فينا وفي عدونا وثلث سنن وامثال وثلث فرائض واحكام "

"قال ابو جعفر يا خيثمة القرآن نزل أثلاثا ثلث فينا وفي أحبائنا ، وثلث في اعدائنا وعدو من كان قبلنا وثلث سنة ومثل.."

"نزل القرآن على اربعة ارباع ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع في فرائض واحكام ، وربع سنن وامثال ولنا كرائم القرآن" تفسير العياشي /المقدمة

ولهذا جعلوا جل جهودهم في الدراسات القرآنية هو اكتشاف الآيات التي تدل على امامة الائمة او التي نزلت في الائمة . من هنا ترى ان الايات التي يستدل بها الشيعة على الامامة تزداد يوما بعد يوم وفي كل يوم تظهر آيات جديدة لتدل على امامة ائمة اهل البيت لم يكن السابقون يعرفونها .

---

[1].يقول الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب دلائل الصدق ص 405 "ان النبي استصحب ابابكر في هجرته خشية ان يدس عليه عند المشركين ، وان آية الغار نص في ذم ابي بكر لا في مدحه! ولقد لقي النبي منه البلاء!!

4. انهم لم يبنوا موقفهم من الصحابة من مجموع الآيات والاحاديث التي وردت في شأنهم ولا من مجموع ما قدموه للاسلام من تضحيات وما بذلوه من اجل نشره وتوسيع رقعته ، وانما بنوا موقفهم منهم على شيء واحد فقط وهو موقفهم من علي ، فمن أيد منهم علياَ ودعا الى خلافته فهو مقبول عندهم ومن ساند أو بايع غيره فهو متهم عندهم وساقط من أعينهم ولا يلتفت الى اية حسنة من حسناته ، فرحى الاسلام تدور على خلافة علي ، من قبل بها فهو مؤمن ومن فضل عليه غيره أو أقر بصحة خلافة غيره فهومردود ومرفوض !

5.إذا كانت الآية في صالحهم تمسكوا بها ولم يلتفتوا الى الاحاديث النبوية والى ماجاء من روايات حول أسباب نزولها أو الاحاديث القولية والعملية التي تفسرها . مثال ذلك آية الوضوء[1] فانهم يقتصرون على الآية في بيان كيفية الوضوء ولا يلتفتون الى ما جاء عن الوضوء من سنة قولية أو فعلية ولا يعيرونها اهتماما ولا يقيمون لها وزناً، في حين كان المفروض هنا الاعتماد على السنة الفعلية لأن الوضوء شعيرة عملية وكان الرسول (ﷺ) يمارسه أمام أصحابه ويعلمهم كيفيته والحاجة الى السنة الفعلية هنا اكثر من الامور النظرية. أما إذا لم تكن الآية في صالحهم تمسكوا بالاحاديث وبروايات أسباب النزول وأخضعوا الآية للاحاديث والروايات التي وردت في سبب نزولها ! مثال ذلك آية التطهير[2] فإنها كما تعلم نزلت في سياق الحديث عن زوجات الرسول ولولا حديث الكساء وبعض الروايات الاخرى لما انصرف ذهن الناس الى غير أزواج النبي وهذه الاحاديث لا تُخرج أزواج النبي عن دائرة أهل البيت ولكنها تُدخل غيرهم في تلك الدائرة ولكن الشيعة يتركون المدلول القريب والمباشر للآية والتي تعد أزواج النبي من أهل البيت وأن الآيات قصدتهم ، ويتمسكون

[1]. " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلَكم الى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطّهّروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بروجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" المائدة/6

[2]. " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " الاحزاب/33

بحديث الكساء وببعض الاحاديث الاخرى والتي هي من فهم بعض رواتها لمفهوم عبارة أهل البيت ، فيخرجون الازواج منها ويقصرونها على علي وفاطمة والحسن والحسين الذين ضمهم رسول الله (α) في كساء ودعا لهم . والغريب أنهم حتى مع الاحاديث اتبعوا منهج الانتقاء فقبلوا حديث الكساء ورفضوا بقية الاحاديث التي تدخل آل عقيل وآل جعفر وآل عباس في جملة أهل البيت!

والاغرب من ذلك أنهم يديرون ظهورهم للمدلول اللغوي والعرفي والقرآني لكلمة الاهل ويُقصرون معناها على هؤلاء الخمسة اعتمادا على حديث الكساء فقط دون اللجوء الى المنهج التحقيقي الذي يتبعونه مع الآيات القرآنية الاخرى! فلو كانت الآية تتحدث عن اقرباء الرسول وكانت الاحاديث تدخل ازواجه فيهم ركزوا جهودهم على الآية القرآنية وعلى المدلول اللغوي والعرفي والقرآني للكلمة ولَمَا التفتوا الى تلك الاحاديث أصلا [1] ، ولكن المذهب هنا يقضي باعتماد الحديث وتحكيمه في رقاب الآية .

6. في آية التطهير " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجز اهل البيت ويطهركم تطهيرا" احتجوا في اخراج ازواج النبي عن دائرة اهل البيت بالضمائر الواردة في الآية ، وقالوا انها جاءت بصيغة المذكر ولو كان المقصود بها ازواج النبي لجاءت بصيغة " عنكن " ويطهركن" ، ولكن عندما جاؤوا الى آيات الافك في سورة النور لم يلتفتوا الى الكلمات والضمائر التي تدل على ان الذين جاؤوا بالافك هم رجال وهم اكثر من واحد ولم يلتفتوا الى تاريخ نزول الآيات وانما اكتفوا بايراد رواية منسوبة الى اهل البيت تقول انها نزلت في ماريا القبطية وان عائشة هي التي رمتها بالزنى ولا يطيلون الوقوف على هذه الآيات وانما يمرون عليها مرور الكرام.[2]

---

[1]. المقصود بالمدلول اللغوي والعرفي والقرآني هو أن كلمة الأهل يقصد بها لغة وعرفا الزوجة والقرآن استعملها في مواضع عدة بمعنى الزوجة ،ولكن الشيعة لا يحكمون سوى أهوائهم في تحديد معاني الآيات ومدلولاتها !

[2]. هذه النقطة اخذتها عن الدكتور خالد الوصابي في مداخلة له في قناة المستقلة في شوال من سنة 1431للهجرة

7. بناء الفهم على آية واحدة أو جزء من آية بعد استقطاعها عن سياقها وعزلها عمّا قبلها وعمّا بعدها وتفسيرها بعيدا عن سياقها العام . مثال ذلك آية التطهير التي ذكرناها سابقا ، و(آية الولاية وآية التبليغ)بحسب تعبيرهم . فـ(آية التطهير) جاءت ضمن مجموعة آيات تتحدث عن ازواج النبي ، الآية نفسها وما قبلها وما بعدها كلها تتحدث عن أزواج النبي ولكن الشيعة أخرجوا جزءاً من هذه الآية واستقطعوها وعزلوها عما حولها وحصروها في اصحاب الكساء[1] . وكذلك (آية الولاية)[2] فانها جاءت ضمن مجموعة من الآيات التي تتحدث عن علاقة المسلمين بغيرهم من اهل الكتاب والمشركين فتنهى عن موالاة الكفار وتأمر بحصر الموالاة بين المؤمنين ، ولكن الشيعة اقتطعوا هذه الآية عن سياقها ومما حولها وفسروها بناء على حديث ضعيف غير واقعي وغير معقول على ان المقصود بالذين آمنوا هو علي بن ابي طالب وأن المقصود بكلمة الولي ولي الامر وليس شيئا آخر!

8. إذا كان هناك أكثر من رواية حول سبب نزول آيةٍ ما، فإنهم يأخذون بالرواية التي تؤيد وجهة نظرهم دون النظر الى مدى تطابق الرواية مع روح الآية أومع الواقع والمنطق . مثال ذلك الروايات التي جاءت حول سبب نزول آية الموالاة التي يسميها الشيعة آية الولاية ،

[1].كان الشيعة فيما مضى يحتجون بورود الآية بصيغة المذكر في معرض مخاطبة ازواج النبي ويقولون لو كان المراد بالآية ازواج النبي لجاءت بضيغة ليذهب عنكن الرجز ، ويطهركن بدلا من ليذهب عنكم ويطهركم ولكن لما احتج السنة عليهم بان هناك آية اخرى في القرآن جاءت بنفس الصيغة وهي تخاطب سارة زوج ابراهيم :"قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت " لجأوا الى اساليب اخرى لصرفها عن زوجات النبي ادهى من صرفها عن مدلولهاوذلك ما سمعته باذنى وشاهدته بعينى في احدى القنوات الفضائية عن الشيخ علي الكورانى والشيخ الايرواني ، اما الكورانى فانه قال انه يقطع ويجزم بان هذه الفقرة وفقرة " اليوم اكملت لكم دينكم" محلهما ليس في هذين المكانين من القرآن وانما وضعهما الصحابة فيهما ! أما اليرواني فانه قال ان النبي هو الذي وضعها في هذا المكان ليتوهم الصحابة بانها تعني زوجات الرسول فلا يرفعوها عن القرآن !

[2] . " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون". .

فهناك روايات تقول بأن الآية نزلت في عبادة بن الصامت حين تخلى عن موالاة اليهود وتولى الله ورسوله و المؤمنين ورواية تقول بأنها نزلت في علي بن ابي طالب حين كان يصلي في المسجد ودخل عليهم فقير يطلب العون فلم يجبه أحد وكان علي لايملك شيئا سوى خاتم حديد في اصبعه فمد يده لذلك الرجل فنزعها فنزلت " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون"المائدة /55 .فالرواية الاولى تتماشى مع روح الايات ومع العقل والمنطق ولكن الشيعة لايأخذون بها رغم اعتمادهم العقل مصدرا من مصادر التشريع بينما يأخذون بالرواية اللامنطقية التي تتحدث عن تصدق علي بخاتم من حديد لا يساوي شيئا ولا يغني من جوع رغم معارضته الصريحة للعقل والمنطق ولروح الايات القرآنية وسياقها وتنافيها مع روح الصلاة التي هي الخشوع!.

9. معارضة ورد الآيات الخاصة بالصحابة بالآيات التي تقرر أحكاما ومباديء عامة ، أو الآيات المتأخرة زمنيا باخرى سبقتها في النزول . مثال الاول رد حكم آية :" لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا " الفتح/18 بآية : " ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما" الفتح/10. فالآية الاولى صريحة في تقرير رضى الله عن الذين بايعوا النبي تحت الشجرة وهي تتحدث عن حادثة معينة وعن اشخاص معينين بينما الآية الثانية تتحدث عن أمر عام وهو البيعة وتبين أهمية وقدسية مبايعة الرسول ولا تعارض بينهما .

ومثال الثاني رد جميع الآيات التي تمدح الصحابة وتبشرهم بالجنة وتعلن رضى الله عنهم والتي نزلت أكثرها في السنوات الاخيرة من الهجرة وتبلغ عددها قريب الثلاثين آية بآية " وما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين"آل عمران/144 التي تتحدث عن مسألة حدثت أثناء معركة أُحد فعاتبهم الله عليها ثم عفا عنهم وتاب عليهم وامتدحهم في نهاية المقطع ومع ذلك فالشيعة يوردونها باستمرار كدليل على ارتداد الصحابة ويستشهدون بها على السقيفة وكأن هذه الاية نزلت بعد وفاة الرسول!.

10. عند الحديث عن الصحابة لايذكرون الآيات التي تمدحهم و تثني عليهم وتبشرهم بالجنة وتعلن رضى الله عنهم وهي كثيرة ودلالاتها قطعية كما سترى بعد قليل ، وانما يقتصرون على آية آل عمران التي يسمونها (آية الانقلاب) التي أوردناها آنفا والتي فيها عتاب للمسلمين واعتراض على سلوكهم، وعند الاستشهاد بالاحاديث يتجاهلون جميع الاحاديث التي تمتدحهم و تثني عليهم ويقتصرون على حديث (الحوض والارتداد)[1] ،

---

[1] .ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة ورواه عدد من الصحابة واخرجه عدد من المحدثين بمن فيهم البخاري ومسلم .

- حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ علي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . 6090

- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى اذا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . 6096

- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ .

قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ سُحْقًا بُعْدًا يُقَالُ سَحِيقٌ بَعِيدٌ سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَبَطِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْ الْحَوْضِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى 6097 (هذه الاحاديث رواها البخاري).

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ:

سَمِعْتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا يَقُولُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي. و حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلٍ عَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَعْقُوبَ. 4243
قَالَ وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. 4245 هذه المجموعة رواها مسلم (نقلاً عن قرص المكتبة الشاملة).

يرى الشيعة ان النبي α عنى بهذه الاحاديث اصحابه المقربين في حين ان هؤلاء هم الذين تولوا محاربة المرتدين ولست ادري لو كان المراد منه هؤلاء كيف رووا هذا الحديث لمن بعدهم ، أيروي الانسان حديثا يتهمه بالارتداد؟ ان مجرد رواية الصحابة لهذا الحديث دليل على ان الرسول α لم يكن يعنيهم به .ان رواية مثل هذه الاحاديث تدل على ان الصحابة كانوا أُمناء في رواية كل ما سمعوه من الرسول α وهذا هو معنى عدالة الصحابة ، وهو يتناقض مع دعوى الارتداد إذ كيف يكون المرتد امينا في رواية الاحاديث لاسيما التي تتهمه بالارتداد؟! فإما ان الرسول ماكان يقصدهم بها وهذا هو الراجح والمعقول، أو أن الصحابة ما فهموا معانيها ولا عرفوا مدلولاتها لاهم ولا علي وانها ظلت خافية على المسلمين حتى جاء علماء ومتكلمي الشيعة وبينوا مراد الرسول منها ! وهذا لايقول به عاقل. وإذا كان النبي قد قصد بهذه الاحاديث الصحابة فانه يكون بذلك قد ناقض نفسه اولاً لأنه قال احاديث كثيرة في مدح اصحابه لا سيما المقربين منه ، وناقض القرآن الذي اخبر في اكثر من موقع بأن الله قد رضي عنهم لا سيما السابقين منهم وأنه قد أعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار ، فهل يعقل ان يناقض الرسول القرآن ؟ هل كان الرسول اعلم من الله بما سيؤول اليه حال اصحابه ؟ هل كان الله يجهل عاقبة الصحابة فيورد في حقهم كل تلك الآيات التي لم تبشرهم بالجنة فحسب بل وعدتهم وحسمت القضية وبينت ان الله قد اعد لهم الجنات وأكد ذلك في غير موضع. خلاصة القول: ان تفسير هذه الاحاديث بالطريقة الشيعية ينطبق عليه ما قلناه في المتن بانه يتناقض مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة بحق الصحابة ومع اقوال علي

وحديث (لا ترجعوا بعدي كفارا)[1] وكأن هذه الاحاديث العامة قاضية على تلكم الخاصة التي وردت في حق كل واحد منهم بالاسم لاسيما كبار الصحابة ، او ان الايات السابقة في النزول ناسخة للتي نزلت بعدها ، وهذا منهج معكوس في الاستدلال يمارسه الشيعة في تعاملهم مع القرآن الكريم!

11. وكما تعاملوا مع الآيات التي تتحدث عن الصحابة بمقررات مسبقة كذلك تعاملوا بمقررات مسبقة مع الآيات التي تتحدث –في نظر الشيعة–عن علي او أهل البيت كتفسير كلمة "يطهركم " الواردة في (آية التطهير) من سورة الاحزاب بالعصمة وعدم تفسيرها في بقية الآيات بالعصمة كآية الوضوء من سورة المائدة التي يقول فيها الله جل وعلا"ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم" والآية الحادية عشرة من سورة الانفال : "إذ يغشيكم

ومع حياة الصحابة والتاريخ والعقل والمنطق فلا حاجة لتكراره هنا.

1. حديث " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " الذي رواه البخاري ومسلم هو الآخر يستدل به الشيعة للطعن في الصحابة بينما هو للتحذيرمن الاقتتال بين المسلمين وليس للاخبار بأمر سيقع ، والكفر هنا كفر النعمة وليس الكفرالمقابل للايمان والمخرج من الملة ، ولم يحصل هذا الاّ في عهد علي χ فهل علي كفر بقتاله للمسلمين الذين نعتهم بنفسه بالايمان حين سألوه عن الخوارج اكفار هم ؟ قال : من الكفر فروا، قالوا: أمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله الا قليلا ، قالوا : فما هم ؟ قال : بغوا علينا فقاتلناهم. مصنف عبد الرزاق (150/10) ، مصنف ابن ابي شيبة (332/15) بسند صحيح. نقلا عن علي بن ابي طالب للصلابي ص486

لو أخذنا بتأويل الشيعة لوجب ان نقول بكفر جميع الاطراف المتقاتلة ! ولكن عليا χ يوضح المعنى بنفسه وينفي الكفر عمن قاتلهم وقاتلوه بقوله ذلك في حق الخوارج وبنهيه أصحابه سب اهل الشام والقول بدلا من ذلك : اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم (نهج البلاغة ، ص323) ولامتناعه عن سبي نساءهم وغنيمة اموالهم ، ووضعه قواعد لمعاملة الخوارج يفرق عن معاملة الكفار ، منها عدم ابتداءهم بالقتال ، وعدم منعهم من الصلاة في المساجد ، واعطائهم حقهم من الفيء والغنيمة ان هم قاتلوا الكفار معه ، وألاّ يجهز على جريحهم ولا يتبع فارّهم ولا يغنم اموالهم ولا يسبي نساءهم.

النعاس أمنةً منه وينزل عليكم من السماء ماءاً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام" ! .

ماهي القرينة التي تجعل من هذه تدل على العصمة وتلك لاتدل عليها؟ اللهم لا توجد قرينة سوى الاهواء و المقررات المسبقة! قرروا مسبقا وعن طريق المقدمات العقلية عصمة الائمة ، فلما جاءت الآية في حق اهل البيت–بزعمهم– أعطت عندهم معنى العصمة ولكن حين نزلت في حق بقية المؤمنين الذين لايعتقد الشيعة عصمتهم لم تعط هذا المعنى.

كذلك تفسير كلمة "الولي" التي جاءت في الآية الخامسة والخمسين من سورة المائدة بـ "ولي الامر" وعدم تفسيرها في بقية الآيات والسور بنفس المعنى! لماذا ؟ لأن كلمة الولي في آية الموالاة نازلة في اعتقاد الشيعة في علي ، وعلي وصي رسول الله والامام من بعده إذن يجب أن تفسر الكلمة بولي الامر لا بمعانيها الاخرى ، وهلم جرا!

12. جاؤوا الى الآيات التي تتحدث عن المنافقين فأنزلوها على الصحابة المقربين والسابقين من المهاجرين والانصار ، وليت شعري لو كان هؤلاء منافقين فمن المخلصون ومن المعني بتلك الآيات التي تتحدث عن المؤمنين الذين اتبعوا النبي في ساعة العسرة وغيرها وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ؟ وان كان هؤلاء منافقين فمن الذي اعتمد عليه الرسول α في غزواته ونشر دينه؟ ولو صح تفسيرهم هذا لاقتضى ذلك ان لا يكون في المجتمع النبوي سوى كفار ومنافقين وعدد قليل من المؤمنين لا يتجاوزون عدد اصابع اليدين ! [1]

13. مشكلة الشيعة انهم لا يقفون عند الآيات التي تتحدث عن الصحابة وقفة المتأمل ووقفة من يريد استنباط الاحكام والدلالات وانما يمرون عليها مرور الكرام ، فلو وقفوا عندها كما يقفون عند آية " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم " لكان لهم موقف آخر من الصحابة ولعلموا ان هذه الآيات المحكمات لا يمكن معارضتها بمثل تلك الآية التي تتوعدهم وتحذرهم من الانقلاب على

---

[1]. وهذا ما يعتقدونه حقا في حق الاصحاب حيث يقولون انهم ارتدوا الاّ ثلاثة او اربعة !

الاعقاب ، فآيات المديح تربو على ثلاثين آية كلها محكمة وتؤكد ان الله قد رضي عن هؤلاء الصحابة وانه قد غفر لهم زلاتهم واعد لهم الجنات ، وتشهد لهم بالايمان والاخلاص والصدق والخيرية ، وانهم استجابوا لله والرسول في ساعات العسرة والحرج ، وانهم خير امة اخرجت للناس ، الخ .

وليست مشكلتهم في عدم قراءة القرآن وعدم الوقوف عند هذه الآيات وتأملها فحسب بل انهم لا يقرؤون السيرة والتاريخ ايضا ، لا سيما تاريخ الخلفاء الراشدين ، فلو قرؤوا السيرة جيدا وبحياد وبإنصاف وعقلانية لعلموا ان هؤلاء الصحابة لا يمكن ابدا ان يرتكبوا مثل هذه المعصية ولا يمكن ان يتواطئوا على كتمان وصية رسول الله △ او نقض بيعة ابرمها بيده الشريفة.

انهم لا يريدون ان يدرسوا ما يشوش عليهم افكارهم ويزعزع عقائدهم التي صاغوها بانفسهم بعيدا عن القرآن ، واقنعوا انفسهم ومنوها بانهم اتباع اهل البيت وعلى مذهب اهل البيت ، فهذا العنوان اغراهم عن البحث في القرآن او دراسة التاريخ دراسة متأنية واقعية منصفة!

الاستدلال بالقرآن والسنة بين علي والشيعة:

وارى من الضروري ، طالما نحن بصدد الحديث عن القرآن، أن نتحدث قليلا عن طريقة استدلال كل من سيدنا علي ◄ والشيعة بالقرآن والسنة فنقول:

ان اهم ما يثير الانتباه هو ان الآيات التي يستدل بها الشيعة على الامامة بشكل عام وامامة علي بشكل خاص لم يستدل بها سيدنا علي نفسه ولم يحتج بها على امامته مما يدل على انها من تأويلات علماء ومتكلمي الشيعة لاسيما المتاخرين منهم ، وكذلك الحال بالنسبة لاغلب الاحاديث التي يستدلون بها فان عليا ◄ لم يستدل بها ولم يشر اليها لامن قريب ولا من بعيد! وهي اما من وضع رواتهم او من التاويلات المتعسفة لعلمائهم . وانك لاتكاد تجد تفسيرا منسوبا الى ائمة اهل البيت يثبت هذه القضية وانما هناك روايات منسوبة اليهم وهي ليست تفسيرا في الواقع وانما اقرار بوقوع التحريف في القرآن الكريم كآية:"كنتم

خير امة اخرجت للناس " ينسبون الى جعفر الصادق انه قال : ما هكذا نزلت وانما نزلت"كنتم خير ائمة اخرجت للناس"! و كذلك آية: "يا ايها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك" ينسبون رواية الى ابي عبد الله انه قال: انما نزلت هكذا: " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك في علي"! وهكذا دواليك .

اما الآيات التي يستدل بها الشيعة اليوم فهي كلها لم تكن معروفة لأئمة اهل البيت على كونها دليلا على امامتهم بدليل انهم لم يستشهدوا بها لاثبات امامتهم لا أمام اتباعهم ولا مع خصومهم! وانك ترى ازديادا مطّردا في عدد الآيات التي يستدل بها الشيعة على امامة علي ، وكل يوم يأتون بآيات جديدة و يؤولونها على امامة علي وذريته ولا أستبعد ان يأتي يوم يدعي فيه الشيعة أن القرآن كله نزل في علي وفي اثبات امامته!

خذ على سبيل المثال كتابين كتبا في فترتين مختلفتين للبحث في موضوع امامة علي ، اولهما "منهاج الكرامة في اثبات الامامة" لابن المطهر الحلي والذي كتبه في القرن السابع الهجري ، والثاني كتاب" المراجعات " لعبدالحسين شرف الدين الموسوي والذي كتبه في القرن الرابع عشر الهجري ، تجد ان الآيات التي استدل بها شرف الدين الموسوي تزيد على ضعف الآيات التي استدل بها الحلي ثم ختم ذلك الفصل بروايتين احداها عن ابن عباس تقول : نزل في علي ثلاثمائة آية، ثم يقول ومنهم من يقول ثلث القرآن نزل في علي !.

فلنأت ولنوجه الى الشيعة بعض الاسئلة:

أأنتم أعلم بالقرآن أم علي ؟

ان قالوا علي أعلم به ، قلنا : فلمَ لم يحتج هو بهذه الآيات ولم لم يستدل بها على امامته امام خصومه وكان هو احوج اليها منكم؟! ذلك أنكم اذا أثبتم امامة علي بهذه الآيات لم يغير ذلك من الامر شيئا ولن تُفيدوا لا عليا ولا الامة الاسلامية بل لن تزيدوا المسلمين الاّ تنازعا واختلافا. اما هو لو احتج بها في حينها وأثبت بها الامامة لنفسه لاستفاد هو منها اولاَ وأفاد الامة الاسلامية بها ثانيا ولغيّر وجه التاريخ كما يتوهم الشيعة ولما انقسمت الامة الى شيعة وسنة ولما قتل الحسين واهل بيته في كربلاء ولما اختفى المهدي في سامراء ولا حكم الامويون ولا العباسيون ولا سالت دماء على الخلافة ولا قُطعت ارحام

ولا ثُكلت امهات ولا رُملت نساء ولا يُتِّم اطفال، و لسارت الامور على ألين من السمن على العسل كما يقول المثل.

ان قضية بهذه الاهمية تنزل فيها عشرات الآيات وعلي ، أعلم الناس بالقرآن ، لا يستدل بها امام خصومه ولا يذكّر الناس بها ولا يحتج بها ؟ هذه مسألة فيها الف نظر ! فلا الامامة فهمها علي كما يفهمها الشيعة ولا القرآن فهمه كما يفهمه الشيعة! فأي الفهمين هو الصواب؟ نترك الجواب للشيعة !.

ان الذي يثير عجبي هو قول الشيعة بأنه لابد للقرآن من قيم ولابد ان يكون هذا القيم معصوما، اذ بغيره لايمكن فهم القرآن ، وهذا القيم هو علي (◀) وأبناؤه من بعده!. ويستدلون بحديث الثقلين والذين لا يفترقان حتى يردا الحوض على رسول الله! هذا من الناحية النظرية ، اما عمليا فإنهم اكثر الناس انطلاقا وتفلتا في تأويل القرآن دون الرجوع الى علي او ابنائه ، وان ما يستدلون به من الآيات ان لم نقل كلها فأغلبها من تأويلاتهم هم لا من تفسير ائمتهم! فأين إذن تطبيق هذا المبدأ ، لاسيما في هذا العصر الذي لايوجد فيه لا إمام ولا من يتصل به؟.

انك لو قرأت تفاسير الشيعة ورأيت طريقة فهمهم للقرآن لأخذتك الدهشة وكأن الله سبحانه لم يكن له هدف من ارسال الرسول الاّ رفع شأن عائلة النبي ، وأن النبي لم يرسل الاّ للتمكين لأهل بيته ، وأن القرآن لم ينزل الاّ لتثبيت امامة علي وابنائه من بعده ولبيان فضلهم ومكانتهم. أهذا الدين هو دين سماوي ، وهذا النبي هو نبي البشرية جمعاء ، و خاتم الانبياء والمرسلين ؟!. أم أنه ملكية عائلية ؟

بهذا التفسير الشيعي للقرآن اول ما نستنتجه هو أن الاسلام دين ارستقراطي لم يأت الاّ لرفع مكانة عائلة النبي !

وامر آخر يثير دهشتك وانت تقرأ تفاسير الشيعة : هذا التكلف والتعسف في تأويل آيات القرآن وهذا الاستدلال الغريب بالقرآن على امامة علي! اقرأ مثلا كتاب المراجعات ، في المراجعة التي تشير الى الآيات الدالة على فضل علي وامامته يسرد الموسوي عشرات الآيات بصورة وكأنها مسلمات عند جميع المسلمين وكأن دلالاتها على

فضل علي و امامته لا خلاف فيها بين المسلمين . ومن الآيات التي يستدل بها على فضل وامامة علي هذه الآية: " واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا" ثم يقف هنا ولا يكمل الآية كأنه يريد أن يوحي للقاريء بأن الآية نزلت في فضل علي وامامته وهي في القرآن كالآتي: " واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون" الزخرف/45 هكذا بدون خوف من الله يستقطع جزءاً من الآية القرآنية التي تتحدث عن وحدانية الله واستحقاقه وحده للعبادة لينزلها على علي ويستدل بها على استحقاقه هو للامامة دون غيره ! اني لا أجد لهذا العمل تفسيرا سوى ان يكون الموسوي يرى عليا انه الله او يسوي بينه وبين الله والاّ ما معنى الاستشهاد بهذه الآية على امامة علي ؟!

ان مما يلفت النظر في تفاسير الفرق من غير اهل السنة هو انهم لا يعرفون مع كلام من يتعاملون ، فانهم لا يستحضرون عظمة الله وقدرته حين يتناولون كلامه بالتفسير والتأويل، فلو استشعروا عظمة الله وهم يتناولون كلامه لما أوّلُوه بهذا الشكل ، فان أحدهم لا يجرؤ على تأويل كلام رجال القانون بهذه الطريقة فضلا عن الزعماء السياسيين خوفا من الوقوع تحت طائلة القانون ! فلو كان في قلوبهم خشية من الله او تقدير له وتوقير لما تناولوا كلامه بهذه الطريقة ولما صرفوه عن ظاهره بهذه الصيغة ،والله سبحانه وتعالى يقول عن مثل هؤلاء : "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ (79) "البقرة.[1]

وليت شعري كيف سيكون حالهم حين يقفون امام الله وماذا سيكون جوابهم عندما يسألهم عن هذا التلاعب المشين بكلامه؟ !

والآن الى الآيات القرآنية التي تثني على الصحابة:

والآن، وبعد ان بينا منهج الشيعة في التعامل مع القرآن ،اليك بعض الايات التي تدل دلالة صريحة وقاطعة على صلاح الصحابة وقوة ايمانهم وحسن بلائهم ورضى الله عنهم :

---

[1]. انظر في سبيل المثال الى تفاسير القاديانية ، فانهم يفسرون القرآن تفسيرا لم يعرفه لا النبي ولا الصحابة وكأنه لم ينزل عليهم ولم يعنهم بخطابه !

1-"محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من اثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة واجرا عظيما"الفتح/29

دلالات الآية:

أ. اثبتت الآية ان الذين مع رسول الله اشداء على الكفار رحماء بينهم ، فهل نصدق الله ام نصدق الذين يقولون ان الصحابة كانوا متباغضين ؟.

ب. آثار السجود بادية على وجوههم من كثرة العبادة .

ج. يطلبون بأعمالهم وجه الله تعالى ولا يفعلونها رياء او نفاقا او طلبا للدنيا ، أي انهم مخلصون غير مرائين ولا منافقين.

د. وردت اوصافهم في التوراة والانجيل ، اي ان الله قد بشر بهم في التوراة والانجيل.

هـ .يفرح بهم المؤمنون ويغيظ بهم الكفار .[1]

و. خصهم الله بوعده بأنه غفر لهم وأثابهم أجرا عظيما. وكلمة "منكم " بيانية وليست تبعيضية ، اما ذكر شرط الايمان والعمل الصالح ففيه اسرار كثيرة منها : ان التكليف لا يسقط عن احد مهما بلغ شأنه حتى ولو وعده الله الجنة ، فلو انتبه المسلمون الى هذا السر لما ظهر بينهم من يظن ان التكليف يسقط عمن بلغ مرتبة اليقين كما هو الحال مع بعض جهلة الصوفية ، ولما ظهر الارجاء في الفكر الاسلامي ، وذكر هذا القيد دليل على حكمة

---

[1]. (قال القرطبي في تفسير هذه الآية : قال أبو عروة الزبيري1: كنا عند مالك بن أنس فذكروا عنده رجلا ينتقص أصحاب رسول الله فقرأ مالك هذه الآية {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} إلى أن بلغ قوله {ليغيظ بهمُ الْكُفَّارَ} فقال مالك من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية. وقلت: رحم الله مالك بن أنس ورضي عنه ما أدق استنباطه.)

الله سبحانه وتعالى لقطع الطريق على كل من يريد فصل العمل او ارجاءه عن الاعتقاد ، ويتكرر هذا في كل مناسبة ومع كل مرة يذكر الايمان يقرن معه العمل الصالح .

2-" كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون" آل عمران/110

دلالة الاية: أخبر الله تعالى ان هذه الامة هي خير امة اخرجت للناس ، وبما انها جاءت على صيغة المخاطبة فبدهي أن تشمل الذين خوطبوا بها ابتداء ، فهي تعنيهم قبل غيرهم ، فإن لم يكن الجيل الذي خوطب بهذه الآية والذي رباه رسول الله △ بيده معنيا بها فمنذا يكون؟.

3-" وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين. والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم. يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين "الانفال/62-64

دلالات الآية:

1. اخبر الله تعالى بأنه أيد رسوله بنصره وبالمؤمنين فقرن بين نصره والمؤمنين ، فليس المقصود بالمؤمنين الاّ المهاجرين والانصار .
2. اخبر سبحانه وتعالى بانه قد ألف بين المؤمنين ، وهذه شهادة من الله بأن الصحابة كانوا متحابين فيما بينهم وان تلك المودة قد أوجدها الله بينهم بإرادته التكوينية وليس بجهود النبي وحده ، فهل نصدق الله أم نصدق الشيعة الذين يتهمون الصحابة بالتنازع والشقاق؟
3. الفقرة الاخيرة لها معنيان كلاهما فيه مدح للصحابة ، المعنى الاول : يا أيها النبي يكفيكم ، أنت ومن معك، تأييد الله ونصره ، فقرن بين الرسول والصحابة ، والثاني: يا أيها النبي يكفيك الله والمؤمنون الذين معك ، فقرن الله سبحانه بينه وبين صحابة رسوله ، وهذا يؤيده مطلع الآية .

4-ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض.."الانفال/72

دلالة الآية: الآية صريحة بان المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض ، اي بعضهم يحب بعضا وينصر بعضا ، فأين العداء والتحاسد والبغضاء كما يقول الشيعة؟

5- والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم. والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم" الانفال/74-75

دلالة الآية: هذه شهادة من الله بأن المهاجرين والانصار هم مؤمنون حقيقيون وصادقون وان الله وعدهم الرزق الكريم ، هم والذين آمنوا وهاجروا بعدهم . فمن نصدق : الله ام الشيعة الذين يتهمون الصحابة بالنفاق؟

6-"الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون .يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم."التوبة/20-22

الآية لا تحتاج الى تفسير او تعليق فدلالتها واضحة ولا تحتاج الى مزيد بيان:

"الذين آمنوا ، وهاجروا، وجاهدوا" هناك اناس آمنوا وهاجروا وجاهدوا.

" في سبيل الله " لا في سبيل الجاه والمنصب .

ليس باموالهم فحسب بل "باموالهم وانفسهم" !

انهم اعظم درجةً ، ممن؟ واضح انه من كل الذين جاؤوا من بعدهم .عند من؟ عند الله سبحانه وتعالى!

ولم يكتف الله سبحانه بالقول: "اولئك هم الفائزون" بل زاد عليه : "يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات" ثم قال : "لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا"

فهل كان الله يجهل (حاشاه وسبحانه وتعالى عما ينسبه اليه الجاهلون) ان هؤلاء سينقلبون على اعقابهم حتى يشهد لهم هذه الشهادة ويعدهم هذا الوعد؟

7-"فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون." الاعراف/157

وهذه الاية ايضا لاتحتاج الى تفسير وتعليق ، فهي شهادة من الله للصحابة على انهم آمنوا برسالة محمد وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه والذي هو القرآن وشهد لهم بانهم هم المفلحون والضمير هم هنا يفيد التخصيص! فهل بعد هذه الشهادة من شهادة؟

8- لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين."التوبة/**25-26**

هنا يقر القرآن بانهم انهزموا اول الامر فهل عاقبهم الله ام اعانهم؟ الآية صريحة في ان الله اعانهم وايدهم وثبتهم وانزل معهم جنودا يقاتلون معهم ويثبتونهم.وحصل هذا في أواخر العهد المدني ، بعد غزوة حنين.

9-لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لاملجأ من الله الاّ اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم"التوبة/**117-118**

هنا يقر الله بان بعض الصحابة تلكئوا اول الامر ولكن هل عاقبهم الله؟ لا ، بل تاب عليهم ! ولم تشمل التوبة الذين تلكئوا وانما عممها الله سبحانه وتعالى على كل من خرج في تلك الغزوة بمن فيهم رسول الله △.

10-في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب"النور /**36-38**

شهادة من الله للصحابة بانهم رجال ، وهذا مديح لهم وثناء عليهم ، يسبحون الله على الدوام ولا تلهيهم لا تجارة ، أي تجارة ، ولا بيع ولا متاع الدنيا.

11-"هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما.ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما"الفتح/5

شهادة من الله ان الذين بايعوا رسول الله △ تحت الشجرة مؤمنون ، وان الله انزل عليهم السكينة ليزدادوا ايمانا ، وزيادة الايمان قد حصلت لهم لان شرطها قد تحقق وهو انزال السكينة.فهل بعد هذه الشهادة من شهادة؟

12-"لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا.ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما. وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما".الفتح/18-20

مرة اخرى شهد الله للذين بايعوا النبي تحت الشجرة انهم مؤمنون، ثم اعلن سبحانه رضاه عنهم مؤكدا ثلاث مرات: مرة باستعمال صيغة الماضي ثم بادخال(قد) عليه ثم بادخال اللام على قد ، ثم شهد لهم بالاخلاص فقال : فعلم ما في قلوبهم ، أي من الاخلاص والصدق والتقوى ، لذلك انزل سكينته عليهم واثابهم فتحا قريبا . وهذا كله بعد كل ما بدر من بعض الصحابة من اعتراضات على الاتفاقية التي ابرمها الرسول △ مع قريش في الحديبية.

13-"لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم، اولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون .اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم" التوبة/88-89

وهذه شهادة اخرى : "لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم". فهل بعد هذه الشهادة من شهادة ؟ الله سبحانه وتعالى بنفسه يشهد لهم بانهم مؤمنون وانهم جاهدوا باموالهم وانفسهم، فمن اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا ؟ وهذه كأنها شهادة ختامية لأنها مما نزلت في اواخر العهد المدني.

فمن هؤلاء بالله عليك؟ اليسوا الذين عاشروا محمدا △ الى اواخر ايامه ، حيث لم يحدث قتال يذكر بعده بين المسلمين والمشركين فهل يشهد الله لقوم سبق في علمه انهم سينقلبون على اعقابهم بعد مدة وجيزة ، وكيف يعدهم الجنة والخيرات ويصفهم بالفلاح؟

14-"والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم" التوبة/100

هنا لم يقتصر الرضا عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بل شمل الذين اتبعوهم باحسان ممن اسلم بعد الفتح ، وليس هذا فحسب بل هم ايضا رضوا عن الله ، وهذا تكريم ما بعده تكريم، وقد اعد الله لهم الجنات وقضي الامر. ولا يخلف الله الميعاد .

ومن هم السابقون الاولون ان لم يكونوا الخلفاء الاربعة والانصار وبقية المهاجرين؟

15-للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله واولئك هم الصادقون.والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون .والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم"الحشر/8-10

شهادة من الله لهذا الجيل الفريد بالاخلاص والجهاد والصدق والايثار ، وقرار منه سبحانه بحقهم انهم مفلحون.

ملاحظة : لماذا ذكر القران الذين يأتون من بعدهم؟

أ.ليعرف المسلمون فضل من سبقوهم وأوصلوا اليهم هذا الدين فيدعوا لهم ويستغفروا لهم ، ولربط مستقبل الامة بماضيها.

ب. لقد سبق في علم الله انه سيأتي اناس يلعنون هؤلاء الصحابة لذلك اراد سبحانه ان يبين ان هذا العمل مخالف لأمر الله ومناف لشروط الايمان .[1]

16-"فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لاكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب"آل عمران/195

هذه الآية ترد على الذين يكفرون الصحابة الذين قاتلوا عليا لأن الله اخبر بانه لا يضيع عمل عامل منهم صالحا ، وانه سيكفر عنهم سيآتهم ،ويدخلهم الجنات . والخروج على الامام ليس محبطا للاعمال وليس شركا ولا كفرا لاسيما اذا كان عن اجتهاد وخير دليل على ذلك موقف علي ◀ عن الخارجين عليه ومبايعة الحسن لمعاوية الذي قاتل اباه عندما كان خليفة.

---

[1]. عن جعفر بن محمد ابن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الآية. قال لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية «1» فأنت من قوم قال الله فيهم: وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ الآية. قال لا قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ الآية. وقد قيل: إن محمد ابن علي بن الحسين، رضي الله عنهم، روى عن أبيه: أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- ثم عثمان- رضي الله عنه- فأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا. فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والايمان منقبلهم؟ فقالوا لا. فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ قوموا، فعل الله بكم وفعل! تفسير القرطبي

17-"والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون"النحل/41

18-"ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم"النحل110

19- "اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم" التوبة19-22.

20-"لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير " الحديد/11

دلت الآية على ان جميع الصحابة يدخلون الجنة، ليس هذا فقط، بل صرحت الآية بأن الجميع –سواء من أنفق وقاتل قبل الفتح أو بعده- لا يدخلون النار ولا يسمعون حسيسها،لأن الله وعدهم بالحسنى، والحسنى تفسرها هذه الآيات من سورة الأنبياء :إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103))

21-"وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا......"البقرة/143

22-"لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون"المجادلة/22

23-"اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ، وكان الله بكل شيء عليما" الفتح /26

24-"فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم"البقرة/137.

25-" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" التوبة/105

26-"ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون" المنافقون/8

27-" بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم أبداً".الفتح /12.

28-"إلاّ تنصروه فقد نصره الله ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم"التوبة /40

هذه الآية واضحة الدلالة على فضل ابي بكر ولا ينكره الا مكابر فالمعية هنا معية تأييد وتوفيق لا فقط معية العلم والاحاطة ، واختيار ابي بكر ◀ في هذه الرحلة فيه اكثر من مغزى ، فاضافة الى دلالته على حب الرسول △ له وثقته به فانه فيه اشارة وافهام للناس بأن ابا بكر وزيره وخليفته من بعده وانه موضع ثقته . وهذه هي اقرب دلالات هذه الحادثة ، فلو اضفنا اليها انتدابه للصلاة بالناس في مرض موته △ وانتدابه للحج بالناس نيابة عنه لما خرجنا بغير هذه النتيجة.

فهذه ثمان و عشرون آية ، كلها محكمة، وتدل دلالة قاطعة على ان الذين كانوا مع النبي (△) كانوا مؤمنين بحق ومخلصين لهذا الدين، وأنهم قد ضحوا في سبيله بكل غالٍ ونفيس، وانهم آثروا دينهم على أهليهم وأنهم ماكانوا يرجون من ورائها سوى رضى الله ، وبهذا لايجوز معارضة هذه الآيات بآيات متشابهة أو آيات عتابية كان الهدف منها تربيتهم وتنشئتهم تنشئة ربانية. [1]

---

1. طريقة احتجاج الشيعة بالاحاديث النبوية :

واتماما للفائدة نقلت هذا الموضوع من كتاب احاديث يحتج بها الشيعة للشيخ عبد الرحمن دمشقية :
وكانت شبهاتهم واحتجاجاتهم على النحو التالي:
1- أحاديث صحيحة السند ولكنهم يأتون فيها بفهم خاص بهم.
مثال ذلك حديث (إني تارك فيكم الثقلين.. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي).
فيزعمون أن الرسول أمر في هذا الحديث بالتمسك بأهل البيت. بينما السياق يفرق بين التمسك بالثقل الأول وهو القرآن وبين اتقاء الله في أهل البيت وعدم اتخاذهم غرضا. وقد اتخذهم الشيعة وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل فيأمرون العوام بأداء خمس أموالهم باسم أهل البيت. وهددوهم وتوعدوهم بعدم قبول أعمالهم إن لم يؤدوا لهم الخمس. ولضمان استدامة ضخ هذا المصدر ولئلا تكون اجتماعاتهم علمية قد يواجهون فيها أسئلة المتسائلين جعلوا مواضيع مجالسهم تارة في البكاء على الظلم الذي تعرض له أهل البيت بزعمهم وتارة بإطرائهم والغلو فيهم حتى التأليه والتقديس.
والتزموا استعداء أصحاب النبي وأزواجه: عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وبهذا لا يعود لهم أي مستمسك في الحديث لأن الحديث يفيد التحذير من اتخاذ أهل البيت غرضا لتحقيق المكاسب والمآرب الدنيوية. وأما الطعن في البعض الآخر من أهل البيت فالمراد منه إثارة العامة وتثبيت الحقد عندهم بما يحقق تعصبهم للباطل ورد الحق.
2- أحاديث ضعيفة يوهمون الناس أنها حجة علينا وهي ليست كذلك حتى تكون على شرطنا. وإن صحة سند الحديث هو شرطنا لقبوله ولا نكتفي في قبوله بمجرد كونه في كتب الحديث، اللهم إلا البخاري ومسلم اللذين أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول والتسليم. وأكثر رواة هذه الأحاديث من الشيعة والشيعة، يكذب طائفة من الشيعة أحاديث ثم يأتي آخرون يحتج علي وجودها عندنا وفي كتبنا. وقد تكون في كتب نقد الرواة أوردها النقاد كالذهبي وغيره ليجعلوها نموذجا على أكاذيب الرواة الكذابين، فيحتج بها الشيعة المعاصرون علينا وكأننا قد سلمنا بصحتها.
وتمادوا في ذلك حتى صاروا يأتون بالروايات من كتب الشعراء والمفكرين المعاصرين كمحمود عباس العقاد وأحمد شوقي ولم يكتفوا فقط بالرواية من كتب التاريخ .
وإننا نعلن أن كل حديث يأتوننا به ليحتجوا به علينا مما ليس على شرطنا في الصحة هذا فلا تقوم لهم به حجة علينا.
3- أحاديث يوهمون صحتها. مثل حديث « من أحب هذين - أي الحسن والحسين - وأباهما كان معي في درجتي في الجنة» رواه الترمذي وقال «حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر

بن محمد إلا من هذا الوجه. في حين يكتفون بنقل كلمة واحدة من هذه العبارة (حديث حسن). ويقطعون بقية كلامه (غريب) بما يدل على الطعن في السند.
وقد أكد الحافظ أن الترمذي « إذا وصف حديثا بالحسن فلا يلزم عنده أن يحتج له، ودليل ذلك أنه أخرج حديثا من طريق خيثمة البصري عن الحسن عن عمران بن الحصين ثم قال بعده « هذا حديث حسن وليس إسناده بذاك» (سنن الترمذي128/2 وانظر النكت على ابن الصلاح402/1 توضيح الأفكار179/1). أضف إلى ذلك أنه قد يحسّن لبعض المعروفين بضعفهم مثل عطية العوفي. وقد يتساهل في التحسين. ولهذا صرح جمع من أهل العلم بأنه لا يعتمد على تصحيحه كما صرح به الذهبي. ونبه عليه المنذري في الترغيب.
4- أحاديث صحيحة ولكنها شاذة مخالفة لأحاديث أوثق منها سندا.
5- أحاديث ينكرونها علينا وعندهم مثلها تماما. كما في حديث طواف النبي على أهله في ليلة واحدة بغسل واحد.
وكما سوف ترى في أحاديث الصفات، فإنهم ينكرون علينا من الروايات ما قد امتلأت به كتبهم بل وصححها علماؤهم. كما في الحديث (وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ولكن ورثوا العلم). فإن الشيعة ينقمون على أبي بكر احتجاجه بهذا الحديث الذي بسببه لم يعط فاطمة أرض فدك. ومع ذلك فقد صححوا إسناده كما فعل المجلسي والنراقي والخميني وغيرهم. كذلك حديث التبول واقفا فقد شنعوا فيه علينا الشناعات العظيمة ومع ذلك فالحديث مروي عندهم في كتاب الكافي.
6- أحاديث مشتهرة ومتعددة الطرق لكنها لم تثبت كحديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ومنها ما صححه علماؤنا بتعدد طرقه وشواهده كحديث (من كنت مولاه فهذا علي هو مولاه) وهو صحيح ولكن يخرجه الشيعة عن سياقه المتعلق ببغض بعض الناس لعلي فنبه النبي على محبته وموالاته موالاة الاسلام. والشيعة يحتجون بالحديث على أسبقية إمامته. وللحديث تفصيل يمكن الرجوع إليه.
7- أحاديث يحرفونها لفظا مثل (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي). وجعلها الشيعة بالمثنى (بهما) وهناك فرق بين قوله (بهما) وقوله (به). فإن التمسك ورد مفردا ويعود على القرآن فقط. ومثل (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). وليس الحديث بهذا اللفظ. وإنما هكذا (من خلع يدا من طاعة).
8- كتب في التشيع والرفض ألفها أناس من الشيعة كانوا يتخفون بالانتماء إلى مذاهب سنية فصارت كتبهم مصدر

ثانيا : اقوال علي في الصحابة:

1.قوله في الصحابة بصفة عامة في خطبة اشتكى فيها اصحابه ثم ذكر في مقابلهم الصحابة ليعرفوا اين هم من هؤلاء فيقتدوا بهم:

" اريد أن أُداوي بكم وانتم دائي ، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضَلْعَها معها . اللهم قد ملّت اطباء هذا الداءِ الدويّ، وكلّت النزعة بأشطان الركيّ. أين القوم الذين دُعوا الى الاسلام فقبلوه ، وقرأُوا القرآن فأحكموه . وهِيجوا الى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح الى اولادها وسلبوا السيوف اغمادها. واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا . بعضٌ هلك وبعض نجا . لايبشرون بالاحياء، ولا يعزون عن الموتى. مُرْه العيون من البكاء . وخمص البطون من الصيام. ذُبْلُ الشفاه من الدعاء. صفر الالوان من السهر . على وجوههم غبرة الخاشعين . اولئك اخواني الذاهبون . فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم.[1]

2." ان الله بعث محمدا وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة. فساقَ الناسَ حتى بوّأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قَنَاتُهُم واطمأنت صَفَاتُهُم."[2]

3." ولقد كنا مع رسول الله△ نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا . وما يزيدنا ذلك الاّ ايمانا وتسليما ومُضِيّا على اللَّقم وصبرا على مضض الالم وجدّا في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر يتصاولان تصاول الفحلين . يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رآى الله صدقنا انزل بعدونا الكَبْت وانزل علينا النصرَ حتى استقر الاسلام مُلقيا جِرانَه ومتبوئا أوطانَه. ولعمري لو كنا نأتي ما

الاحتجاج علينا من الشيعة المعاصرين. ومن هؤلاء الكنجي الشافعي (زعموا) والقندوزي الحنفي (زعموا). وابن الصباغ المالكي (زعموا). وابن أبي الحديد. وقد قمت بتتبع تراجمهم وسيرهم بدقة بما يفضح هذه اللعبة التي دأبوا عليها في أكثر كتبهم.

1.نهج البلاغة شرح الامام محمد عبده ج1 ص150/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت-لبنان.

2.نفس المصدر ج1ص55.

أتيتم ما قام للدين عمود ، ولا اخضر للايمان عود. وأيم الله لتحتلبُنها دما ولتتبعُنها ندما ."[1]

انظر الى الفارق بين اصحابه واصحاب النبي في نظره◀ . فهل بعد هذه الشهادة شهادة؟

4.ويقول في خطبة اخرى بعد ذم اصحابه :" لقد رأيت اصحاب محمد △ فما أرى أحدا يشبههم ، كانوا يصبحون شُعثا غُبرا ، وقد باتوا سُجدا وقياما يُراوحون بين جِباههم وخُدودهم ويقفون على مثل الجَمر من ذكر مَعادهم ، كأن بين اعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم . إذا ذُكر اللهُ هَملت اعينهم حتى تبُل جُيوبهُم . ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب".[2]

5. " كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها . عملوا فيها بما يبصرون ، وبادروا فيها ما يحذرون . تقلب ابدانهم بين ظهرانيَ أهل الآخرة ، يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم وهم أشد إعظاما لموت قلوب أحيائهم".[3]

6.يقول في مدح عمر بن الخطاب◀: " لله بلاء فلان لقد قوّم الاود وداوى العمد . خلف الفتنة وأقام السنة. ذهب نقي الثوب ، قليل العيب . أصاب خيرها وسبق شرها، أدى الى الله طاعته واتقاه بحقه . رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدى فيها الضال ولا يستيقن المهتدى."[4]

7. قوله لعمر بن الخطاب ◀ حين شاوره في الخروج بنفسه الى قتال الروم: "انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتُنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم . ليس بعدك مرجع يرجعون اليه . فابعث اليهم رجلا مِحْرَبا، واحفز معه اهل البلاء والنصيحة ، فان اظهر اللهُ فذاك ما تحب ، وان تكن الاخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين".[5]

---

[1]. نفس المصرج 1ص69.
[2]. نفس المصدر ج1 ص123.
[3]. نفس المصدر ج2ص286.
[4]. نفس المصدر ج2 ص 284.
[5]. نفس المصدر ج2 ص165.

8. وايضا قوله لعمر حين استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه:" ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة وهو دين الله الذي أظهره ، وجُنده الذي اعدَّه وامدَّه . حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع . ونحن على موعود من الله . والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه . فان انقطع النظام تفرق وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع . فكن قطبا ، واستدر الرحى بالعرب . وأَصلِهم دونك نار الحرب ، فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها ، حتى يكون ما تدع من وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك. وان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك اشد لكَلَبِهم عليك وطمعهم فيك."[1]

فانظر هداك الله وايانا هل هذه نصيحة من غُصب حقُّه وضُربت زوجتُه وأُسقط جنينه لمن ظلمه وارتكب في حقه وحق الاسلام تلك الجرائم التي ينسبها الشيعة اليه؟!

9.ومن كلام له ◀ لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال: " ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم ووالله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئا تجهله ، ولا أدُلُّك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم . ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنُبلِغَكَهُ . وقد رأيت كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا ، وصحبت رسول الله △ كما صحبنا. وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك ، وأنت أقرب الى رسول الله △ وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صِهره ما لم ينالا. فاللهَ اللهَ في نفسك، فانك والله ما تُبَصَّر من عَمى ولا تُعَلَّم من جهل ، وان الطرق لواضحة ، وان أعلام الدين لقائمة. "[2]

هنا نلاحظ عدة امور:

---

[1]. نفس المصدر ج2 ص171-172.

[2].نفس المصدر ج2 ص194

1. علي ◀ ينفي عن نفسه ان يكون عنده علم خاص به وأن يكون الرسول قد خصه بشيء.

2. ان سيرة ابي بكر وعمر وحكمهما كان مرضيا عند المسلمين بمن فيهم علي وانهما كانا يعملان بالحق.

3. ان عثمان هو صهر النبي على الحقيقة لا كما يدعي بعض الشيعة بأن رقية وام كلثوم لم تكونا من بنات الرسول وانما كانتا بنات هالة اخت خديجة !

نكتفي بهذا القدر من اقوال علي ◀ تجنبا للاطالة.

ثالثا :الادلة العقلية:

اما الادلة العقلية على ايمان واخلاص الصحابة فهي كثيرة جدا ولا تخفى الا على من اغمض عينيه ازاءها وتعمد عدم رؤيتها.وهذه بعضها:

1- نشر الصحابة للاسلام:

لو لم يكن الصحابة متقين ومؤمنين حقيقيين هل كانوا ينشرون الاسلام ؟

من المعلوم ان اغلب الفتوحات تمت في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة : ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، ثم في عهد الامويين ثم العباسيين ثم اخيرا العثمانيين . فلو لم يكن الصحابة مخلصين لانقضّوا على الاسلام بعد وفاة الرسول ولأعادوا العرب الى ما كانوا عليه قبل الاسلام من الشرك والجاهلية لا أن يثبتوه وينشروه ويعيدوا الى حظيرته كل من ارتد عنه ويبذلوا في سبيل ذلك مهجهم واموالهم ويخاطروا بحياتهم .

2-جمعهم للقرآن:

كيف جمع الصحابة القرآن ونقلوه الى الاجيال القادمة لو لم يكونوا مؤمنين بهذا الكتاب ومخلصين لدين الله؟

لو كان الصحابة كما يزعم الشيعة منافقين ومرتدين عن الاسلام لعمدوا الى طمس هذا الكتاب واخفاء تعاليمه أو تبديله. ومن الجدير بالذكر ان احدا من اهل البيت لم يكن ضمن اللجنة التي كلفت بجمع القران ، ولعل هذا هو احد الاسباب التي دفعت الشيعة الى القول بان الصحابة حرفوا القران وان القران الحقيقي لم يكتبه ولم يجمعه الاّ علي .

3- هذا الالتزام الشديد لاهل السنة بالاسلام وبسنة الرسول (△) وهذا الحب الشديد للرسول△ والحرص على تقصي آثاره و اتباع سنته من اين انتقل الى اهل السنة ؟ اليس عن طريق الصحابة الذين فتحوا البلدان ونشروا الاسلام؟ هل يشك احد في حب اهل السنة للرسول وحرصهم على اتباع سنته واقتفاء آثاره وحفظ احاديثه ودراسة سيرته؟

4- هذا الاجلال الذي نراه عند اهل السنة لكل من ينتسب الى اهل بيت النبوة قديما وحديثا وكل هذه الاحاديث التي رووها في فضائل اهل البيت ووجوب محبتهم وتوقيرهم من اين جاءتنا؟ الم تأتنا كلها عن طريق الصحابة ؟ الا يدل هذا على صدق واخلاص الصحابة وانصافهم ؟ .

افتح اي كتاب للحديث سترى فيه ابوابا مستقلة عن وجوب محبة اهل البيت وتوقيرهم ، وهذا الحب والتقدير هو الذي حدا بالكثيرين الى ادعاء الانتساب الى هذا البيت الكريم!.

5- هذا الاهتمام البالغ لاهل السنة بالعلوم الاسلامية ، من علوم القران وعلوم الحديث والحرص الشديد على جمع وتدوين السنة وتنقية الاحاديث النبوية وبذل اعظم الجهود في هذا السبيل وكذلك السيرة النبوية المطهرة ووضع علم اصول الفقه لضبط الفتاوى لكي لا يتقول الناس على الدين باهوائهم ما يشاؤون ، الم ياخذها اهل السنة من الصحابة؟ ألا يدل على اخلاص الصحابة وصدق ايمانهم ؟

انك اذا راجعت المكتبة الاسلامية ورأيت هذا الكم الهائل من الكتب لعلمت مدى اهتمام اهل السنة بالاسلام وعلومه وتاريخه وكتابه .

انظر الى السيرة النبوية وقارن بين ما كتبه السنة عن حياة الرسول (△) وما كتبه الشيعة : سترى الفرق شاسعا جدا فاهل السنة كتبوا في سيرة الرسول مئات الكتب قديما وحديثا بينما ما كتبه الشيعة عن سيرة الرسول -لاسيما الشيعة المتاخرون - قليل جدا مما يدل على شدة اهتمام اهل السنة بحياة الرسول وسيرته وكل هذه الامور مروية عن صحابة رسول الله وعرفها الناس عن طريقهم . فلولم يكن الصحابة مؤمنين حقيقيين ومخلصين هل كانوا يرؤون كل هذه الامور في فضائل الرسول وشمائله؟ الا يدل هذا على اخلاص الصحابة وصدقهم وحبهم للاسلام ورسول الاسلام؟

وكذلك اهتمام اهل السنة بعلوم القران لاسيما اعجاز القران الذي لم يكتب فيه الشيعة شيئا يذكر ويكاد يكون اسهامهم فيه صفرا وكان جل اهتمامهم من بين علوم القران بالتفسير وذلك لتأويله والاستدلال به على صحة مذهبهم.

وكذلك السنة النبوية المطهرة فنادراً ما ترى الشيعة يرفعون احاديثهم الى رسول الله (△) بل يقصرونها على ائمة اهل البيت ولا تجد عندهم ذلك الاهتمام بتنقية الاحاديث المنسوبة الى الرسول او الى اهل بيته ولا يعرف لهم جهد يُذكر في هذا المجال على عكس اهل السنة الذين بذلوا جهودا عظيمة في جمع احاديث الرسول وتمييز صحيحها من ضعيفها وماوضع على لسان رسول الله (△) وفي معرفة الرجال ومدى وثاقتهم وعدالتهم الخ.

6- ومن الادلة الصريحة والواضحة على اخلاص الصحابة وصدقهم وتقواهم متابعة علي لهم وصلاته خلفهم والجهاد معهم والتزاوج معهم وتسمية ابنائه باسمائهم ثم اخلاصه في نصحهم ومشورتهم واخيرا مدحه لهم في خطبه ، فانهم لو لم يكونوا كذلك لما ساغ لعلي ان يؤيدهم او يصاهرهم او يناصرهم او يمتدحهم .

رابعا: الادلة التاريخية:

يمكن تقسيم هذه الادلة الى قسمين :

اولا: حب الصحابة للرسول وطاعتهم له وتوقيرهم اياه في حياته .

ثانيا: حبهم وطاعتهم له وتوقيرهم اياه بعد موته.

نماذج من حب الصحابة وطاعتهم للرسول α:

- قصة زيد بن الدثنة في مكة :

قال ابن إسحاق عند حديثه عن حادثة الرجيع : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم وأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي

هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي قال: قال أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله نسطاس يرحمه الله.[1]

-امتثال أمره عليه السلام في الخروج إلى بني قريظة :

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "لا يصلينَّ أحد العصر إلاَّ في بني قُريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلِّي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بلى نصلِّي لم يرد منا ذلك. فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنِّف واحداً منهم. وهكذا رواه مسلم.

قال مسلم : حدثني عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي ، ثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : ' نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم انصرف عن الأحزاب : أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة ، فتخوف ناس فوات الوقت فصلوا دون بني قريظة ، وقال آخرون : لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن فاتنا الوقت . قال : فما عنف واحدا من الفريقين ' . وقال البخاري بإسناد مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ' لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة . فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها . وقال بعضهم : بل نصلي لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي [△] ، فلم يعنف واحداً منهم ' .[2]

- قصة ابي لبابة (ربطه نفسه بسارية المسجد لكشفه سر رسول الله):

يقول ابن هشام: "ثُمّ إنّهُمْ(اي بني قريظة) بَعَثُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ ابْعَثْ إلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَكَانُوا حُلَفَاء الْأَوْسِ ، لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللّهِ △ إلَيْهِمْ فَلَمّا رَأَوْهُ قَامَ إلَيْهِ الرّجَالُ وَجَهَشَ إلَيْهِ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ فَرَقّ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ

[1]. تهذيب سيرة ابن هشام ص279، السيرة النبوية لابن كثير ج3ص128.

[2]. البخاري ج1ص321ح904 باب أجر المجتهد أصاب أو أخطأ

مُحَمّدٍ ؟ قَالَ نَعَمْ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى حَلْقِهِ إنّهُ الــذّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ فَوَاَللّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتّى عَرَفْت أَنّي قَدْ خُنْت اللّهَ وَرَسُولَهُ △ ثُمّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللّهِ △ حَتّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ وَقَالَ لَا أَبْرَحُ مِنْ عُمُدِهِ وَقَالَ لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتّى يَتُوبَ اللّهُ عَلَيّ مِمّا صَنَعْت ، وَعَاهَدَ اللّهَ أَنْ لَا أَطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا ، وَلَا أُرَى فِي بَلَدٍ خُنْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا. [ص 440]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِي أَبِي لُبَابَةَ فِيمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ إسْمَاعِيــــــلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ : { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللّهَ وَالرّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الْأَنْفَالَ 27] . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمّا بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ △ خَبَرُهُ وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ قَالَ أَمَا إنّهُ لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْت لَهُ فَأَمّا إذْ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتّى يَتُوبَ اللّهُ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : [ص 441] قُسَيْطٍ إنّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ △ مِنْ السّحَرِ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمّ سَلَمَةَ . (فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ) : فَسَمِعْت رَسُولَ اللّهِ △ مِنْ السّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ . قَالَتْ فَقُلْت : مِمّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ أَضْحَكَ اللّهُ سِنّك ؟ قَالَ تِيــــبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ ، قَالَتْ قُلْت : أَفَلَا أُبَشّرُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ بَلَى ، إنْ شِئْت . قَالَ فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنّ الْحِجَابُ فَقَالَتْ يَا أَبَا لُبَابَةَ أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ اللّهُ عَلَيْك . قَالَتْ فَثَارَ النّاسُ إلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ فَقَالَ لَا وَاَللّهِ حَتّى يَكُونَ رَسُولُ اللّهِ △ هُوَ الّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ فَلَمّا مَرّ رَسُولُ اللّهِ △ خَارِجًا إلَى صَلَاةِ الصّبْحِ أَطْلَقَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجِذْعِ سِتّ لَيَالٍ تَأْتِيــــهِ امْرَأَتُهُ فِي كُلّ وَقْتِ صَلَاةٍ فَتَحُلّهُ لِلصّلَاةِ ثُمّ يَعُودُ فَيَرْتَبِطُ بِالْجِذْعِ فِيمَا حَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْآيَةُ الّتِي نَزَلَتْ فِي تَوْبَتِهِ قَوْلُ اللّهِ عَزّ وَجَلّ { وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيّئًا عَسَى اللّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.[1]

– موقف الصحابة بعد نزول " يا ايها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي" :

– حكاية ثابت بن قيس:

1. الروض الانف ج439/3 ، تهذيب سيرة ابن هشام /299

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي" الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت أشتكى؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل هو من أهل الجنة" [1]

- حكاية المشادة الكلامية بين ابي بكر وعمر ورفع صوتهما في حضرته وموقفهما بعد نزول سورة الحجرات:

قال البخاري : حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة . قال : كاد الخيران أن يهلكا . . أبو بكر وعمر ◢ . . رفعا أصواتهما عند النبي △ حين قدم عليه ركب بني تميم (في السنة التاسعة من الهجرة) فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ◀ أخي بني مجاشع (أي ليؤمره عليهم) وأشار الآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه (في رواية أخرى أن اسمه القعقاع بن معبد) فقال : أبو بكر لعمر ◢ ما أردت إلا خلافي . قال : ما أردت خلافك . فارتفعت أصواتهما في ذلك . فأنزل الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } . قال ابن الزبير ◀ : فما كان عمر يسمع رسول الله △ بعد هذه الآية حتى يستفهمه! . . وروي عن أبي بكر ◀ أنه قال لما

---

1. أخرجه البخاري في التفسير، باب: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية، 8 / 590 ومسلم في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله برقم: (119) : 1 / 110

نزلت هذه الآية : قلت : يا رسول الله ، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار (يعني كالهمس![1]) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ◀ قال : « لما نزلت هذه الآية : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي – إلى قوله : وأنتم لا تشعرون } وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت . فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله △ أنا من أهل النار . حبط عملي . وجلس في أهله حزيناً . ففقده رسول الله △ فانطلق بعض القوم إليه ، فقالوا له : تفقدك رسول الله △ مالك؟ قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي △ فأخبروه بما قال . قال النبي △ : لا . بل هو من أهل الجنة » قال أنس ◀ : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة .

يقول الاستاذ الشهيد سيد قطب في تفسيره " في ظلال القرآن" في تفسير سورة الحجرات :" فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب ، وذلك التحذير الرعيب؛ وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله △ خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون . ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم! ولكن هذا المنزلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم ، فخافوه واتقوه!

ونوه الله بتقواهم ، وغضهم أصواتهم عند رسول الله △ في تعبير عجيب :

{ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى . لهم مغفرة وأجر عظيم } . .

فالتقوى هبة عظيمة ، يختار الله لها القلوب ، بعد امتحان واختبار ، وبعد تخليص وتمحيص ، فلا يضعها في قلب إلا وقد تهيأ لها ، وقد ثبت أنه يستحقها . والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقي تلك الهبة . هبة التقوى . وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم .

---

1. أخرجه البخاري في التفسير، باب (لا ترفعوا أصواتكم...) 8 / 590.

إنه الترغيب العميق ، بعد التحذير المخيف .

بها يربي الله قلوب عباده المختارين ، ويعدها للأمر العظيم . الذي نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور.

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ◀ أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي △ قد ارتفعت أصواتهما ، فجاء فقال : أتدريان أين أنتما؟ ثم قال : من أين أنتما؟ قالا : من أهل الطائف . فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً!

وعرف علماء هذه الأمة وقالوا : إنه يكره رفع الصوت عند قبره △ كما كان يكره في حياته △ احتراماً له في كل حال" .

ثم أشار إلى حادث وقع من وفد بني تميم حين قدموا على رسول الله △ في العام التاسع الذي سمي « عام الوفود » . . لمجيء وفود العرب من كل مكان بعد فتح مكة ، ودخولهم في الإسلام ، وكانوا أعراباً جفاة ، فنادوا من وراء حجرات أزواج النبي △ المطلة على المسجد النبوي الشريف : يا محمد . اخرج لنا . فكره النبي △ هذه الجفوة وهذا الإزعاج . فنزل قوله تعالى :

{ إن الذين ينادونك من ورآء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ، والله غفور رحيم } . .

فوصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون . وكرّه إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي △ وحرمة رسول الله القائد والمربي . وبيّن لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم . وحبب إليهم التوبة والإنابة ، ورغبهم في المغفرة والرحمة .

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع ، وتجاوزوا به شخص رسول الله △ إلى كل أستاذ وعالم . لا يزعجونه حتى يخرج إليهم؛ ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم . . يحكى عن أبي عبيد – العالم الزاهد الراوية الثقة – أنه قال : « ما دققت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه » . .

قال أبو هريرة وابن عباس: لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار"[1]

- اقتراحهم عليه في بدر بعدم البروز للقتال بنفسه وبناء عريش له :

عن ابن هشام قال: قال ابن اسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أن سعد بن معاذ قال يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه .

- دفاعهم عنه وقتالهم دونه في احد:

عن ابن هشام قال: قال ابن اسحاق (عن غزوة احد): وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص اكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي اصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن اسحاق فحدثني حميد الطويل عن انس بن مالك قال : كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله عز وجل في ذلك " ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون "

---

[1]. أخرجه الحاكم: 2 / 462 وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وعزاه السيوطي في الدر المنثور: 7 / 548 لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان. وانظر: فتح الباري: 8 / 591، مجمع الزوائد: 7 / 108.

قال ابن هشام وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه عن ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ على بن ابي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك ابن سنان ابو ابي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمي دمه لم تصبه النار.

قال ابن هشام وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله .

وذكر يعني عبد العزيز الدراوردي عن اسحاق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبي بكر الصديق أن أبا عبيدة ابن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين .

قال ابن اسحاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم: من رجل يشري لنا نفسه فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الانصار وبعض الناس يقول إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– موقف نسيبة بنت كعب:

قال ابن هشام وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الانصاري أن ام سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على ام عمارة فقلت

لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح الى قالت فرأيت على عاتقها جرحا اجوف له غور فقلت من اصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.

– ابو دجانة وسعد بن أبي وقاص:

قال ابن اسحاق وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمي سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به .

– قتادة بن النعمان :

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عيله وسلم ردها بيده فكانت احسن عينيه وأحدّهما.

– مقولة سعد بن الربيع في احد: لا عذر لكم عند الله اذا اصيب رسول الله (△) وفيكم عين تطرف:

"قال رسول الله △ من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات فقال رجل من الأنصار أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق قال فقلت له إن رسول الله △ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله △ عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع

يقول جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك السلام عني وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف .قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله △ فأخبرته خبره.

وفي رواية: قال زيد بن ثابت : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع . فقال لي : رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، فيه سبعون ضربة ؛ ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت : يا سعد، إن رسول الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك : أخبرني كيف تجدك ؟ فقال : وعلى رسول الله △ السلام، قل له، يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله △ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته[1] .

فانظر هذا الحب للرسول △ والحرص عليه، انه في الرمق الاخير وقلبه عند رسول الله ويوصي قومه الاّ يَدَعوا العدو يخلص اليه!!.

– موقف المرأة الانصارية التي قُتل ولداهافي أُحد:

يقول ابن هشام والواقدي واهل السير : خَرَجَتْ السّمَيْرَاءُ بِنْتُ قَيْسٍ إحْدَى نِسَاءِ بَنِي دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ ابْنَاهَا مَعَ النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأُحُدٍ النّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو ، وَسُلَيْمُ بْنُ الْحَارِثِ فَلَمّا نُعِيَا لَهَا قَالَتْ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالُوا : خَيْرًا ، هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ صَالِحٌ عَلَى مَا تُحِبّينَ . قَالَتْ أَرُونِيـــــهِ أَنْظُرُ إلَيْهِ فَأَشَارُوا لَهَا إلَيْهِ فَقَالَتْ كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَك يَا رَسُولَ اللّهِ جَلَلٌ . وَخَرَجَتْ تَسُوقُ بِابْنَيْهَا بَعِيرًا تَرُدّهُمَا إلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَتْهَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ مَا وَرَاءَك ؟ قَالَتْ أَمّا رَسُولُ اللّهِ بِحَمْدِ اللّهِ فَبِخَيْرٍ لَمْ يَمُتْ وَاتّخَذَ اللّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءَ وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ . قَالَتْ مَنْ هَؤُلَاءِ مَعَك ؟ قَالَتْ ابْنَايَ . .. حَلْ حَلْ[2]

– مواقف طلحة بن عبيد الله:

---

[1]. انظر غزوة احد في كتب السير فكلها تقريبا ذكرت هذه القصة .

[2].مغازي الواقدى/ 292سيرة ابن كثير 93/3

وَكَانَ طَلْحَةُ قَدْ أَصَابَتْهُ فِي رَأْسِهِ الْمُصَلّبَةِ ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ضَرْبَتَيْنِ ضَرْبَةً وَهُوَ مُقْبِلٌ وَالْأُخْرَى وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ نَزَفَ مِنْهَا الدّمُ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ جِئْت إلَى النبـي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ عَلَيْك بِابْنِ عَمّك فَأَتَى طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللّهِ وَقَدْ نَزَفَ الـدّمُ فَجَعَلْت أَنْضَحُ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ وَهُوَ مَغْشِيّ عَلَيْهِ ثُمّ أَفَاقَ فَقَالَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ؟ فَقُلْت : خَيْرًا ، هُوَ أَرْسَلَنِي إلَيْك . قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ!.

وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطّابِ الْفِهْرِيّ يَقُولُ نَظَرْت إلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ ، قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ فِي عُمْرَةٍ فَنَظَرْت إلَى الْمُصَلّبَةِ فِي رَأْسِهِ . فَقَالَ ضِرَارٌ : أَنَا وَاَللّهِ ضَرَبْته هَذِهِ اسْتَقْبَلَنِي فَضَرَبْته ثُمّ أَكِرّ عَلَيْهِ وَقَدْ أَعْرَضَ فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى .

- شهادة علي لطلحة:

يقـول الواقـدي في مغازيه ص 256: وَقَالُوا : لَمّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ وَقَتَلَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَام مَنْ قَتَلَ مِنْ النّاسِ وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ ، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ فَتَكَلّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَالَ مِنْ طَلْحَةَ فَزَبَرَهُ عَلِيّ وَقَالَ إنّك لَمْ تَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ وَعِظَمَ غِنَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَعَ مَكَانِهِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَانْكَسَرَ الرّجُلُ وَسَكَتَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : وَمَا كَانَ غِنَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ يَوْمَ أُحُدٍ يَرْحَمُهُ اللّهُ ؟ فَقَالَ عَلِيّ : نَعَمْ يَرْحَمُهُ اللّهُ فَلَقَدْ رَأَيْتـه وَإِنّهُ لَيُتَرّسُ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِنّ السّيُوفَ لَتَغْشَاهُ وَالنّبْلَ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ وَإِنْ هُوَ إلّا جُنّةٌ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ قَائِلٌ إنْ كَانَ يَوْمًا قَدْ قُتِلَ فِيـــهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصَابَ رَسُولَ اللّهِ فِيـــهِ الْجِرَاحَةُ . فَقَالَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ أَشْهَدُ لَسَمِعْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لَيْتَ أَنّي غُودِرْت مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ.قَالَ ابْنُ أَبِي الزّنَادِ نُحْصِ الْجَبَلِ أَسْفَلَهُ .

- موقف علي:

ثُمّ قَالَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ لَقَدْ رَأَيْتنِي يَوْمَئِذٍ وَإِنّي لَأَذُبّهُمْ فِي نَاحِيَةٍ وَإِنّ أَبَا دُجَانَةَ لَفِي نَاحِيَةٍ يَذُبّ طَائِفَةً مِنْهُمْ وَإِنّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ يَذُبّ طَائِفَةً مِنْهُمْ حَتّى فَرّجَ اللّهُ ذَلِكَ كُلّهُ . وَلَقَدْ رَأَيْتـنِي وَانْفَرَدْت مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ فِرْقَةٌ خَشْنَاءُ فِيهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَدَخَلْت وَسَطَهَا

بِالسّيْفِ فَضَرَبْت بِهِ وَاشْتَمَلُوا عَلَيّ حَتّى أَفْضَيْت إلَى آخِرِهِمْ ثُمّ كَرَرْت فِيهِمْ الثّانِيَةَ حَتّى رَجَعْت مِنْ حَيْثُ جِئْت ، وَلَكِنّ الْأَجَلَ اسْتَأْخَرَ وَيَقْضِي اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا .[1]

– امتناع بلال عن الاذان بعد وفاة الرسول وحكاية اذانه في عهد عمر وبكاء الناس :

أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إجازة أخبرنا عمي أخبرنا أبو طالب بن يوسف أخبرنا أبو محمد الجوهري أخبرنا محمد بن العباس أخبرنا أحمد بن معروف أخبرنا الحسين بن الفهم أخبرنا محمد بن سعد أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس أخبرنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد المؤذن حدثني عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد وعمار بن حفص بن سعد وعمر بن حفص بن عمر بن سعد عن آبائهم عن أجدادهم أنهم أخبروهم قالوا : لما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم جاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " أفضل أعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله " وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر : أنشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي فقد كبرت واقترب أجلي فأقام بلال مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر فلما توفي جاء بلال إلى عمر رضي الله عنه فقال له كما قال لأبي بكر فرد عليه كما رد أبو بكر فأبى وقيل إنه لما قال له عمر ليقيم عنده فأبى عليه : ما يمنعك أن تؤذن فقال : إني أذنت لرسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قبض ثم أذنت لأبي بكر حتى قبض ؛ لأنه كان ولي نعمتي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " يا بلال ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله فخرج إلى الشام مجاهدا وإنه أذن لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة فلم ير باكيا أكثر من ذلك اليوم .

ثم إن بلالا رأى النبي صلى الله عليه و سلم في منامه وهو يقول : " ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك أن تزورنا " فانتبه حزينا فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي صلى الله عليه و سلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يقبلهما ويضمهما فقالا له : نشتهي أن تؤذن في السحر فعلا سطح المسجد فلما قال : " الله أكبر الله أكبر "

---

[1]. مغازي الواقدي 256/1

ارتجت المدينة فلما قال : " أشهد أن لا إله إلا الله " زادت رجتها فلما قال : " أشهد أن محمدا رسول الله " خرج النساء من خدورهن فما رئي يوم أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم[1]

وذكر ابن أبي شيبة عن حسين بن علي عن شيخ يقال له الحفصي عن أبيه عن جده قال أذن بلال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أذن لأبي بكر رضي الله عنه حياته ولم يؤذن في زمن عمر فقال له عمر ما منعك أن تؤذن قال إني أذنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض واذنت لأبي بكر لأنه كان ولي نعمتي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يا بلال ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله " . فخرج مجاهداً. ويقال إنه أذن لعمر إذ دخل الشام مرة فبكى عمر وغيره من المسلمين.[2]

– مَا حَدَثَ لِلصّحَابَةِ عَقِبَ وَفَاتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وبعض ما قيل في رثائه :

ان ما قيل في وفاته وما انشد من شعر في رثائه صلى الله عليه وسلم دليل على حب الصحابة للرسول وتأثرهم بموته ، فقد رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا وَغَيْرِهَا مِنْ الصّحَابَةِ أَنّ النبي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا مات دُهِشَ النّاسُ وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَأُقْحِمُوا ، وَاخْتَلَطُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُصْمِتَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ إلَى أَرْضٍ فَكَانَ عُمَرُ مِمّنْ خُبِلَ وَجَعَلَ يَصِيحُ وَيَحْلِفُ مَا مَاتَ رَسُولُ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَكَانَ مِمّنْ أُخْرِسَ عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ حَتّى جَعَلَ يُذْهَبُ بِهِ وَيُجَاءُ وَلَا يَسْتَطِيعُ كَلَامًا ، وَكَانَ مِمّنْ أُقْعِدَ عَلِيّ ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَرَاكًا ، وَأَمّا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُنَيْسٍ ، فَأُضْنِيَ حَتّى مَاتَ كَمَدًا ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالسّنْحِ فَجَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلَانَ وَزَفَرَاتُهُ تَتَرَدّدُ فِي صَدْرِهِ وَغُصَصُهُ تَرْتَفِعُ كَقِطَعِ الْجِرّةِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ جَلْدُ الْعَقْلِ وَالْمَقَالَةِ حَتّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – فَأَكَبّ عَلَيْهِ وَكَشَفَ وَجْهَهُ وَمَسَحَهُ وَقَبّلَ جَبِينَهُ وَجَعَلَ يَبْكِي ، وَيَقُولُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي طِبْت حَيّا وَمَيّتًا ، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِك مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنبياءِ مِنْ النّبُوّةِ فَعَظُمْت عَنْ الصّفّةِ وَجَلَلْت عَنْ الْبُكَاءِ وَخَصَصْت حَتّى صِرْت مَسْلَاةً

[1]. اسد الغابة 129/1
[2]. الاستيعاب في معرفة الاصحاب55/1

وَعَمَمْت حَتّى صِرْنَا فِيك سَوَاءً وَلَوْ أَنّ مَوْتَك كَانَ اخْتِيَارًا لَجُدْنَا لِمَوْتِك بِالنّفُوسِ وَلَوْلَا أَنّك نَهَيْت عَنْ الْبُكَاءِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْك مَاءَ الشّؤُونِ فَأَمّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ فَكَمَدٌ وَإِدْنَافٌ يَتَحَالَفَانِ لَا يَبْرَحَانِ اللّهُمّ أَبْلِغْهُ عَنّا ، اُذْكُرْنَا يَا مُحَمّدُ عِنْدَ رَبّك ، وَلْنَكُنْ مِنْ بَالِك ، فَلَوْلَا مَا خَلّفْت مِنْ السّكِينَةِ لَمْ نَقُمْ لِمَا خَلّفْت مِنْ الْوَحْشَةِ اللّهُمّ أَبْلِغْ نبيك عَنّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ، ثُمّ خَرَجَ لَمّا قَضَى النّاسُ غَمَرَاتِهِمْ وَقَامَ خَطِيبًا فِيهِمْ بِخُطْبَةِ جُلّهَا الصّلَاةُ عَلَى النبي مُحَمّدٍ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَقَالَ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ أَنبيائِهِ وَأَشْهَدُ أَنّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ وَأَنّ الدّينَ كَمَا شُرِعَ وَأَنّ الْحَدِيثَ كَمَا حُدّثَ وَأَنّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ وَأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ الْمُبِينُ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ثُمّ قَالَ أَيّهَا النّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمّدًا ، فَإِنّ مُحَمّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنّ اللّهَ حَيّ لَمْ يَمُتْ وَأَنّ اللّهَ قَدْ تَقَدّمَ أَمْرِهِ فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا ، وَأَنّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ اخْتَارَ لِنبيهِ عَلَيْهِ السّلَامُ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ وَقَبَضَهُ إلَى ثَوَابِهِ وَخَلّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنّةَ نبيهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ وَمَنْ فَرّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ } [النّسَاءُ 135] وَلَا يَشْغَلَنّكُمْ الشّيْطَانُ بِمَوْتِ نبيكُمْ وَلَا يَلْفِتَنّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَعَاجِلُوا الشّيْطَانَ بِالْخِزْيِ تُعْجِزُوهُ وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ . فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ يَا عُمَرُ أَأَنْتَ الّذِي بَلَغَنِي عَنْك أَنّك تَقُولُ عَلَى بَابِ نبي اللّهِ وَاَلّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ نبي اللّهِ أَمّا عَلِمْت أَنّ رَسُولَ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا ، وَكَذَا ، وَقَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فِي كِتَابِهِ { إِنّكَ مَيّتٌ وَإِنّهُمْ مَيّتُونَ } [الزّمَرُ 30] فَقَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ لَكَأَنّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ لَمَا نَزَلَ بِنَا ، أَشْهَدُ أَنّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ وَأَنّ الْحَدِيثَ كَمَا حُدّثَ وَأَنّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيّ لَا يَمُوتُ إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَى رَسُولِهِ وَعِنْدَ اللّهِ نَحْتَسِبُ رَسُولَهُ[1]

وقال صاحب الروض الانف:

كَانَ مَوْتُهُ عَلَيْهِ السّلَامُ خَطْبًا كَالِحًا ، وَرُزْءًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَادِحًا ، كَادَتْ تُهَدّ لَهُ الْجِبَالُ وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَتَكْسِفُ النّيّرَاتُ لِانْقِطَاعِ خَبَرِ السّمَاءِ وَفَقْدَ مَنْ لَا عِوَضَ مِنْهُ مَعَ مَا آذَنَ

[1]. الروض الانف 445-446

بِهِ مَوْتُهُ – عَلَيْهِ السّلَامُ – مِنْ الْفِتَنِ السّحْمِ وَالْحَوَادِثِ الْوُهُمِ وَالْكُرَبِ الْمُدْلَهِمّةِ وَالْهَزَاهِزِ الْمُضْلِعَةِ فَلَوْلَا مَا أَنْزَلَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ السّكِينَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ لَانْقَصَمَتْ الظّهُورُ وَضَاقَتْ عَنْ الْكُرَبِ الصّدُورُ وَلَعَاقَهُمْ الْجَزَعُ عَنْ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ فَقَدْ كَانَ الشّيْطَانُ أَطْلَعَ إلَيْهِمْ رَأْسَهُ وَمَدّ إلَى إغْوَائِهِمْ مَطَامِعَهُ فَأَوْقَدَ نَارَ الشّنَآنِ وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ وَلَكِنْ أَبَى اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلّا أَنْ يُتِمّ نُورَهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيُنْجِزَ مَوْعُودَهُ فَأَطْفَأَ نَارَ الـرّدّةِ وَحَسَمَ قَادَةَ الْخِلَافِ وَالْفِتْنَةِ عَلَى يَدِ الصّدّيقِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهَلَكَتْ أُمّةُ مُحَمّدٍ عَلَيْهِ السّلَامُ بَعْدَ نبيهَا .

كَانَ مِنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمئِذٍ مِنْ النّاسِ إذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا سَمِعُوا لِأَهْلِهَا ضَجِيجًا ، وَلِلْبُكَاءِ فِي جَمِيعِ أَرْجَائِهَا عَجِيجًا ، حَتّى صَحِلَتْ الْحُلُوقُ وَنَزَفَتْ الدّمُوعُ وَحُقّ لَهُمْ ذَلِكَ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ يَبْكِي رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

أَرِقْت فَبَاتَ لَيْلِي لا يَزُولُ ... دَلِيلُ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ

وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا ... أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلّتْ ... عَشِيّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرّسُولُ

وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمّا عَرَاهَا ... تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ

فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتّنْزِيلَ فِينَا ... يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرَئِيلُ

وَذَاكَ أَحَقّ مَا سَالَتْ عَلَيْهِ ... نُفُوسُ النّاسِ أَوْ كَرَبَتْ تَسِيلُ

نبي كَانَ يَجْلُو الشّكّ عَنّا ... بِمَا يُوحَى إلَيْهِ وَمَا يَقُولُ

وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالا ... عَلَيْنَا وَالرّسُولُ لَنَا دَلِيلُ

أَفَاطِمُ إنْ جَزِعْت فَذَاكَ عُذْرٌ ... وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ، ذَاكَ السّبِيلُ

فَقَبْرُ أَبِيك سَيّدُ كُلّ قَبْرٍ ... وَفِيهِ سَيّدُ النّاسِ الرّسُولُ

وَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا حَدّثَنَا ابْنُ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيّ

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرّسُولِ وَمَعْهَـدٌ ... مُنِيرٌ وَقَـدْ تَعْفُو الرّسُومُ وَتَهْمُدُ

وَلا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا ... مِنْ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا الْبِلَى فَالآيُ مِنْهَا تَجَدّدُ
عَرَفْت بِهَا رَسْمَ الرّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمِثْلاهَا مِنْ الْجَفْنِ تُسْعَدُ
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرّسُولِ وَمَا أَرَى ... لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلّدُ
مُفَجّعَةً قَدْ شَفّهَا فَقْدُ أَحْمَدَ ... فَظَلّتْ لآلاءِ الرّسُولِ تُعَدّدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلّ أَمْرٍ عَشِيرُهُ ... وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا قَدْ تُوجَدُ
أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنَ جُهْدُهَا ... عَلَى طَلَلِ الّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرّسُولِ وَبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوَى فِيهَا الرّشِيدُ الْمُسَدّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْك ضُمّنَ طَيّبًا ... عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضّدِ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٍ ... عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيّبُوا حُلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً ... عَشِيّةَ عَلَوْهُ الثّرَى لَا يُوَسّدُ
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نبيهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
تَبْكِي السّمَاوَاتُ يَوْمَهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيّةُ هَالِكٍ ... رَزِيّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمّدُ
تَقَطّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ ... وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيَنْجَدُ
يَدُلّ عَلَى الرّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
إمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمْ الْحَقّ جَاهِدًا ... مُعَلّمُ صِدْقٍ إنْ يُطِيعُوهُ يُسْعَدُوا
عَفُوّ عَنْ الزّلّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاَللّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ ... فَمِنْ عِنْدَهُ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدّدُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

عُطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنَى جَنَاحُهُ ... إلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النّورِ إذْ غَدَا ... إلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنْ الْمَوْتِ مُقْصِدُ

فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إلَى اللهِ رَاجِعًا ... يَبْكِيهِ حَقّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ

وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحْشًا بِقَاعِهَا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنْ الْوَحْيِ تَعْهَدُ

قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللّحْدِ ضَافَهَا ... فَقِيدٌ يَبْكِيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ

وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ وَعَرْصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ

فَبَكّي رَسُولَ اللهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... وَلَا أَعْرِفَنّكِ الدّهْرَ دَمْعُك يَجْمُدُ

وَمَا لَك لَا تَبْكِينَ ذَا النّعْمَةِ الّتِي ... عَلَى النّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمّدُ

فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الّذِي لَا مِثْلَهُ الدّهْرُ يُوجَدُ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمّدٍ ... وَلَا مِثْلُهُ حَتّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

أَعَفّ وَأَوْفَى ذِمّةً ... بَعْدَ ذِمّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنَكّدُ

وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطّرِيفِ وَتَالِدٍ ... إذَا ضَنّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ

وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إذَا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدّا أَبْطَحِيّا يُسَوّدُ

وَأَمْنَعَ ذِرَوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا ... دَعَائِمُ عِزّ شَاهِقَاتٌ تُشَيّدُ

وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتًا ... وَعُودًا غَذّاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ

رَبّاهُ وَلِيَدًا فَاسْتَتَمّ تَمَامُهُ ... عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبّ مُمَجّدُ

تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفّهِ ... فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرّأْيُ يُفْنَدُ

أَقُولُ وَلَا يَلْقَى لِقَوْلِي عَائِبُ ... مِنْ النّاسِ إلّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ

وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ ... لَعَلّي بِهِ فِي جَنّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ

مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وَقَدْ رَثَاهُ كَثِيرٌ مِنْ الشّعَرَاءِ وَغَيْرُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ أَفْحَمَهُمْ الْمُصَابُ عَنْ الْقَوْلِ وَأَعْجَزَتْهُمْ الصّفَةُ عَنْ التّأْبِينِ وَلَنْ يَبْلُغَ بِالْإِطْنَابِ فِي مَدْحٍ وَلا رِثَاءٍ فِي كُنْهِ مَحَاسِنه عَلَيْهِ السّلَامُ وَلا قَدْرَ مُصِيبَةٍ فَقَدَهُ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ فَصَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَلاةً تَتّصِلُ مَدَى اللّيَالِي وَالأَيّامِ

وَأَحَلّهُ أَعَلَى مَرَاتِبِ الرّحْمَةِ وَالرّضْوَانِ وَالإِكْرَامِ وَجَزَاهُ عَنّا أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ نبيا عَنْ أُمّتِهِ وَلا خَالَفَ بِنَا عَنْ مِلّتــه ، إنّهُ وَلِيّ الطّولِ وَالْفَضْلِ وَالإِنْعَامِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيــلُ وَالْحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ .

وَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا ، يَبْكِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

مَا بَالُ عَيْنِك لَا تَنَامُ كَأَنّمَا ... كَحلَتْ مَآقِيُهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ

جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعَدِ

وَجْهِي يَقِيك التّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيّبْت قَبْلَك فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ

بِأَبِي وَأُمّي مَنْ شَهِدْت وَفَاتَهُ ... فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ النبي الْمُهْتَدِي

فَظَلِلْت بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلّدًا ... مُتَلَدّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

أَأُقِيمُ بَعْدَك بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِي صُبّحْت سُمّ الْأَسْوَدِ

أَوْ حَلّ أَمْرُ اللهِ فِينَا عَاجِلًا ... فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ

فَتَقُومُ سَاعَتَنَا فَنَلْقَى طَيّبًا ... مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمُ الْمَحْتِدِ

يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكَ بِكْرُهَا ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ

نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيّةِ كُلّهَا ... مَنْ يُهْدَ لِلنّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي

يَا رَبّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنبينَا ... فِي جَنّةٍ تَثْنِي عُيُونَ الْحُسّدِ

فِي جَنّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسّوْدُدِ

وَاَللهِ أَسْمَع مَا بَقِيت بِهَالِك ... إلّا بَكَيْت عَلَى النبي مُحَمّدِ

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النبي وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغَيّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا ... سُودًا وُجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ

وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ ... وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نَجْحَدْ

وَاَللّهُ أَكَرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ ... أَنْصَارَهُ فِي كُلّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ

صَلّى الْآلِهُ وَمَنْ يَحُفّ بِعَرْشِهِ ... وَالطّيّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

ألا يارسول الله كنت رجاءنا ... ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وكنت رحيما هادياً ومعلّماً... ... ... ليبكِ عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده... ... ... ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد... ... ... وماخفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله ربُّ محمد... ... ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فِدىً لرسول الله أمي وخالتي... ... ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقتَ وبلّغتَ الرسالة صادقاً... ... ... ومتّ صليبَ العود أبلج صافيا
فلو أن ربَّ الناس أبقى نبينا... ... ... سعدنا ولكن أمره كان صافيا
عليك من الله السلام تحيةً... ... ... وأُدخلت جناتٍ من العدن راضيا .[1]

– حكاية الثلاثة الذين خلفوا:

هذه الحادثة وحدها تكفي لنسف كل المزاعم التي تقول ان الصحابة كانوا يخالفون الرسول ولا يمتثلون اوامره △ . هنا تظهر هيمنة الرسول △ على اصحابه في سرهم وعلانيتهم وانها تعدت علاقتهم بالنبي والمجتمع الى بيوتهم وازواجهم !

ثلاثة نفر من الصحابة تخلفوا عن غزوة تبوك لا لشيء الا لانهم تكاسلوا وآثروا الدعة وعندما رجع الرسول واصحابه دون أن يخوضوا حربا وكان بامكانهم ان يختلقوا اعذارا كما فعل المنافقون فيقبله الرسول △ ويدعو لهم ويستغفر لهم وقد يكون دعاء الرسول واستغفاره لهم كافيا لان يغفر الله لهم لا سيما وان المسلمين لم يخوضوا حربا ورجعوا دون خسائر ، لكنهم آثروا الصدق فصارحوا رسول الله بحقيقة امرهم ، فلم يتصرف الرسول بشأنهم من تلقاء نفسه بل ردهم حتى يقضي الله في امرهم ، ثم جاءت الاوامر بحقهم ليلقنهم وباقي الصحابة درسا لن ينسوه ابدا ويكونوا عبرة لغيرهم : جاءت الاوامر الى الصحابة ألاّ يكلمهم احد ولا يتعامل معهم احد فكانوا يجيئون ويذهبون لايسلم عليهم احد ولا يرد سلامهم احد ، فلم يندموا على مصارحتهم رسول الله بحقيقة امرهم ولم يعترضوا على تلك الاجراءات ولم يستكثروا العقوبة على صنيعهم، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تخطاه الى ابعد من ذلك بكثير : جاءت الاوامر من الرسول الى زوجاتهم الا

[1]. السيرة النبوية دروس وعبر علي بن محمد الصلابي 194/9

تكلموهم ولا تأذنوا لهم ان يضاجعنكن . فيلتزم الجميع ولا يرتفع صوت الاعتراض من احد لا منهم ولا من اقربائهم واصحابهم ، ولا يقول احد وما دخله بحياتنا الشخصية وعلاقاتنا بازواجنا ، ولم يقف الالتزام عند هذا الحد بل يصل الى الحد الذي يدفع احدهم وهو كعب بن مالك الشاب المتزوج حديثا ان يقول لامراته إلتحقي بأهلك خوفا من ان لا تطاوعه نفسه فيخالف امر رسول الله △ ، وتأتي امراة احدهم فتقول يا رسول الله ان زوجي شيخ كبير ولا يقدر على خدمة نفسه وليس عنده من يخدمه فيأذن لها رسول الله ان تخدمه ولكن شريطة الاّ تكلمه ولا تمكنه من نفسها ثم يصل الخبر الى ملك الغساسنة فيبعث رسولا الى احدهم –وهو كعب بن مالك – يدعوه الى الشام ليعوضه عما لحق به من الهوان فبدلا من ان يفرح كعب بذلك وينبسط نراه يحزن حزنا كبيرا ويأسف على نفسه ان وصلت به الحال ان يطمع فيه الكفار فما كان منه الا ان عمد الى الكتاب والقاه في التنور ووبخ نفسه قائلا : أبلغ بك الامر مبلغا يطمع فيك الكفار ! وتدوم هذه الحالة خمسين يوما حتى استوحشوا وجوه الناس وضاقت عليهم الارض بما رحبت كما عبر القرآن وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ألاّ ملجأ من الله الا اليه فتاب الله عليهم ليتوبوا ولا يعودوا الى مخالفة الرسول△ بعده ! فهل بعد هذا الدرس القاسي يجرؤ احد على مخالفة امر الرسول ان كان يعلم ان ذلك من الامور التي لا يسعه فيها مخالفته ؟ وهل بعد هذا الاجراء يحق لاحد ان يشك في هيمنة الرسول على قلوب واجساد وارواح اتباعه؟ واليك تفاصيل القصة كما رواها البخاري:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبٌ لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ

أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيـــدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيـدُ الـدِّيوَانَ قَالَ كَعْبٌ فَمَا رَجُلٌ يُرِيـدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيـــهِ وَحْيُ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ مَا فَعَلَ كَعْبٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيـلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيـــهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا

فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ فَقُلْتُ بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ قَالُوا نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ فَقُلْتُ مَنْ هُمَا قَالُوا مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ

عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ فَقُلْتُ أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ كَعْبٌ فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ قَالَتْ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ

يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

{ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النبي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }

وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

{ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }

قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى

قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ{ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا } لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنْ الْغَزْوِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ[1]

– تجهيز جيش اسامة :

سوف نتحدث عن هذه الغزوة بالتفصيل فيما بعد ولكننا نشير هنا الى مجموعة من الامور كلها تدل على شدة طاعة الصحابة للرسول والتزامهم بأوامره :

اولا وقبل كل شيء ، ان فكرة اختيار اسامة لقيادة الجيش تدل على هيمنة الرسول على اصحابه ، فلولا انه كان واثقا من ان الصحابة يمتثلون لامره لما اقدم على ذلك العمل ولما اوقع نفسه في ذلك الحرج ، فتأمير اسامة على ذلك الجيش على الرغم من صغر سنه وقلة خبرته ووجود من هو اسن وأكفأ وأخبر منه بالحرب يدل في آن واحد على هيمنة الرسول على اصحابه ، وعلى طاعة الصحابة للرسول وخضوعهم لأوامره. صحيح انه حصل اعتراض من قبل بعض الصحابة في البداية ولكن العبرة بالنتيجة وهي تنفيذ امره والخروج في ذلك الجيش تحت امرة اسامة.

ثانيا: رفض ابي بكر تأخير تلك الغزوة بالرغم من الظروف الصعبة التي كان المسلمون يمرون بها من وفاة الرسول وارتداد عدد كبير من العرب وتهيؤ البعض لغزو المدينة ، والحاح الصحابة عليه بمن فيهم اسامة على تأخير تلك الغزوة وقول ابي بكر المشهور : والله لا أحل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: رفض ابي بكر اقتراح الصحابة عليه تبديل قائد الجيش اسامة .

رابعا: اكتفاء ابي بكر بوصية الرسول لاسامة وعدم تبديل شيء منها أو اضافة شيء عليها .

خامسا : رفض اسامة اقتراح بريدة عليه بالعمل بوصية الرسول لابيه زيد حين بعثه الى مؤتة والتي كان الرسول امره فيها بعرض الاسلام عليهم اولا وقول اسامة انما كانت تلك وصية

---

[1].صحيح البخاري / كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك حديث رقم 4418.

رسول الله △ لأبي أما أنا فقد أوصاني بأن أبدأهم بالقتال ولن افعل الا ما امرني به رسول الله △ .

كل هذه الامور تدل دلالة واضحة وصريحة على طاعة الصحابة للرسول وحبهم له وخضوعهم له.

- قصة الانصار بعد غزوة حنين :

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدّثَنِي زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ حَدّثَنَا ابْنُ إسْحَاقَ : قَالَ وَحَدّثنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيَدٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ لَمّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا ، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ حَتّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقَدْ لَقِيَ وَاَللهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إنّ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْك فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْت فِي هَذَا الْفَيْءِ الّذِي أَصَبْت ، قَسَمْت فِي قَوْمِك ، وَأَعْطَيْت عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ . قَالَ [△] فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ " قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَنَا إلّا مِنْ قَوْمِي ، قَالَ " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَك فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ " قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدّهُمْ فَلَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدْ اجْتَمَعَ لَك هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : مَا قَالَة بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجْدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيّ فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهُدَاكُمْ الله ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ وَأَعْدَاءً فَأَلّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ " قَالُوا : بَلَى ، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ ثُمّ قَالَ " أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ " قَالُوا : بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ اللهِ ؟ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " أَمَا وَاَللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ أَتَيْتنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاك ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاك ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاك ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاك . أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْت بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَنْ يَذْهَبَ

النّاسُ بِالشّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللّهِ إلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْت امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكْت شِعْبَ الْأَنْصَارِ .

اللّهُمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ " قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللّهِ قَسْمًا وَحَظّا . ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَفَرّقُوا.[1]

– رفض عثمان بن عفان الطواف بالبيت عندما بعثه رسول الله (△) الى مكة مفاوضا قبل صلح الحديبية:

قال ابن هشام: فدعا رسول الله △ عثمان بن عفان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته . فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابن بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل ان يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله △ ، فانطلق عثمان حتى أتى ابا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله △ ما ارسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله△ اليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله△.[2]

– شهادة عروة بن مسعود الثقفي عندما رجع من عند رسول الله في صلح الحديبية :

يقول ابن هشام : فقام ، اي عروة بن مسعود من عند رسول الله△ وقد رأى ما يصنع به اصحابه ، لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلاّ ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء الاّ أخذوه فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ،

---

[1]. سيرة ابن هشام / المجلد الرابع ص141- 143/ دار احياء التراث العربي

[2]. تهذيب سيرة ابن هشام ص255 / دار احياء التراث العربي.

وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيءٍ أبداً فروا رأيكم.[1]

- قول عمر بعد صلح الحديبية: مازلت اتصدق واصوم واصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حين رجوت ان يكون خيرا:

قال الحافظ ابن حجر: "وفي رواية ابن إسحاق[2] وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به.

وعند الواقدي [3] من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري قال عمر: "لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً وصمت دهراً". الفتح 5/ 346.[4]

– طاعة حذيفة للرسول (△) يوم الخندق بعدم احداث شيء حتى يعود مع تمكنه من قتل ابي سفيان:

قَالَ ابن اسحاق : فَلَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَا فَرّقَ اللّهُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ دَعَا حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، فَبَعَثَهُ إلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلًا . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ ، قَالَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَصَحِبْتُمُوهُ ؟ قَالَ نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي ، قَالَ فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ وَاَللّهِ لَقَدْ كُنّا نَجْهَدُ قَالَ فَقَالَ وَاَللّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا . قَالَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ يَا ابْنَ أَخِي ، وَاَللّهِ لَقَدْ رَأَيْتنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْخَنْدَقِ وَصَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هُوِيّا مِنْ اللّيْلِ ثُمّ الْتَفَتَ إلَيْنَا فَقَالَ مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ

[1]. نفس المصدر ص 254
[2]. سيرة ابن هشام 317/2
[3]. المغازي للواقدي 2/ 607
[4].-مرويات الامام الزهري في المغازى -محمد بن محمد العواجي -ص/584/2 (قرص المكتبة الشاملة)

لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمّ يَرْجِعُ – يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الرّجْعَةَ – أَسْأَلُ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنّةِ ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ ، مِنْ شِدّةِ الْخَوْفِ وَشِدّةِ الْجُوعِ وَشِدّةِ الْبَرْدِ فَلَمّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، دَعَانِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدّ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ، فَقَالَ يَا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلَا تُحْدِثَنّ شَيْئًا حَتّى تَأْتِيَنَا . قَالَ فَذَهَبْت فَدَخَلَتْ فِي الْقَوْمِ وَالـــرّيحُ وَجُنُودُ اللّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ لَا تُقِرّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ . فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : لِيَنْظُرْ امْرُؤ مَنْ جَلِيسُهُ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَخَذْت بِيَدِ الرّجُلِ الّذِي كَانَ إلَى جَنبي ، فَقُلْت : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ . ثُمّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّكُمْ وَاَللّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفّ ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمْ الّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ شِدّةِ الـــرّيحِ مَا تَرَوْنَ مَا تَطْمَئِنّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنّي مُرْتَحِلٌ ثُمّ قَامَ إلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ فَوَاَللّهِ مَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إلّا وَهُوَ قَائِمٌ <u>وَلولاا عَهْدُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيّ أَنْ لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتّى تَأْتِيَنِي ثُمّ شِئْت ، لَقَتَلْته بِسَهْمٍ .</u> [ص 436]

روى الحاكم وصححه ابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة ومسلم، وابن عساكر عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه، وابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، وأبو نعيم مختصرا عن ابن عمر: أن حذيفة رضي الله عنه ذكر مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال جلساؤه: أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا – وفي لفظ: فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلت معه وأبليت – فقال حذيفة: لا تتمنوا ذلك، لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحا منها، وفي أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: (إن بيوتنا عورة وما هي بعورة) [الاحزاب 13] فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك، فاستقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا

رجلا، يقول: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة – وفي لفظ: جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة – فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله.

فقال أبو بكر: يا رسول الله ابعث حذيفة، فقلت: دونك والله، فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطا لامرأتي ما يجاوز ركبتي، قال: فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال: " من هذا ؟ " فقلت: حذيفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حذيفة ".

فقال حذيفة: فتقاصرت للارض، فقلت: بلى يا رسول الله، كراهية أن أقوم، قال: " قم "، فقمت، فقال: " إنه كائن في القوم خبر، فأتني بخبر القوم ".

فقلت: والذي بعثك بالحق، ما قمت إلا حياء منك من البرد.

قال: " لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي ".

قال: " وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا "، فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكن أخشى أن أوسر، فقال: " إنك لن تؤسر "، قال: فخرجت، فقال: " اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته ".

قال: فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي فزعا ولا قرا إلا خرج، فما أجد فيه شيئا، فمضيت كأنما أمشي في حمام، فلما وليت، دعاني فقال: " يا حذيفة، لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني ".

فقال حذيفة: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته، وحوله عصبة، قد تفرق عنه الاحزاب، وهو يقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فوضعته في كبد القوس لارميه في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحدثن في القوم شيئا، حتى تأتيني "، فأمسكت ورددت سهمي.[1]

---

[1]. انظر كتب السيرة فقد اوردها اكثر كتاب السيرة والمغازي.

– قول الصحابة للرسول : الله ورسوله اعلم حين كان يسألهم عن امر ما رغم علمهم به :
لقد كان رسول الله △ كان يسألهم عن اليوم الذي هم فيه ، والمكان الذي هم فيه ، وهم يعلمونه حق العلم ، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم : الله ورسوله أعلم . خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله!

جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ◄– « أن النبي △سأل في حجة الوداع :

" أي شهر هذا؟ . . قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس ذا الحجة؟ قلنا : بلى! قال : أي بلد هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس البلدة الحرام؟ قلنا بلى! قال : فأي يوم هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس يوم النحر؟ قلنا بلى! . . الخ " .

سؤاله لمعاذ اتدري ما حق الله على العباد وقول معاذ :الله ورسوله اعلم .

– وصف الصحابة للرسول (α):

اذا قرأت وصف الصحابة للرسول تبين لك مدى حبهم له وتوقيرهم اياه وطاعتهم له، لان مثل هذا الوصف لا يصدر الا عمن يحب الموصوف ويوقره، وقد جمع الاستاذ سعيد حوى رحمه الله في كتابه (الرسول) بعض ما قاله الصحابة في وصف الرسول ننقله هنا:

... أخرج الدارمي والبيهقي عن جابر بن سمرة قال : "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان – أي : مقمرة مسفرة – فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو كان أحسن في عيني من القمر " .

... وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة قال : " ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنَّ الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه كأن الأرض تطوى له إنا لنجهد وإنه غير مكترث " .

... وأخرج الشيخان عن البراء قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، ما رأيت شيئاً أحسن منه " .

... وأخرج مسلم عن جاب ربن سمرة في وصف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بل مثل الشمس والقمر مستديراً " .

... وأخرج الشيخان عن البراء قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير " .

.. وأخرج مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان أبيض مليح الوجه " .

.. وأخرج الدارمي والبيقهي والطبراني وأبو نعيم عن أبي عبيدة قال : قلت للربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : " لو رأيته قلت الشمس طالعة " .

... وأخرج أبو موسى المديني في كتاب الصحابة عن أمد بن أبد الحضرمي قال : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت قبله ولا بعده مثله " .

.. وأخرج الدارمي عن ابن عمر قال :" ما رأيت أشجع ولا أجود ولا أضوأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

... وأخرج أحمد والبيهقي عن محرش الكعبي قال : " اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة " .

... وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد والبيهقي عن علي قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولاً ، وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم ، أبيض ضخم الهامة – أي : الرأس – أغر أبلج أهدب الأشفار – أي : طويل شعر العين أسوده – كأن العرق في وجهه اللؤلؤ ، لم أر قبله ولا بعده مثله " .

... وكان إذا مس أحداً أحس بطمأنينة عجيبة وروح عجيب :

.. وأخرج أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : " اشتكيت بمكة فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني ، فوضع يده على جبتهي فمسح وجهي وصدري وبطني ، فما زلت يخيل إلي أني أجد يده على كبدي حتى الساعة " .

... وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : " مسح رسول الله خدي فوجدت ليده برداً وريحاناً كأنما أخرجهما من جونة عطار " . وأخرج الشيخان عن أنس قال : " ما مسست

حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

... وكان منظره يوحي لمن يراه بأنه أمام نبي :

... أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام قال : " لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب " .

..وعن أبي رمثة التميمي قال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأُريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله " .

... ويقول عبد الله بن رواحة في وصفه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

... هذه بعض ما ورد في وصف تكوينه الجسمي نقلناها بين يدي صفاته وكمالاته الخُلقية العظيمة لتتضح لك شخصيّته من جميع جوانبها عليه الصلاة والسلام .[1]

-بعض مواقف الصحابة التي تثبت صدق الرسول وشدة تأثيره على أصحابه:

ثم يستشهد الاستاذ سعيد حوى ببعض مواقف الصحابة للاستدلال على صدق الرسول وشدة تأثيره عليهم وثقتهم به وهي بذاتها دليل على صدق الصحابة واخلاصهم وتفانيهم في سبيل هذا الدين:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائم الخلطة لأصحابه في طعامهم وشرابهم وسفرهم وصلاتهم ومجالسهم ، وهو عليه الصلاة والسلام كان يحب البساطة والصراحة ويكره التكلف ، وبعض الصحابة خالط الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها عشرات السنين.

وهؤلاء الأصحاب لم يكونوا أغراراً ولا مغفلين ولا منعزلين عن العالم ، بل بعضهم من مكة التي كان العرب يقصدونها سنوياً للحج ، وتُسلم الجزيرة العربية كلها لأهلها بالفضل والزعامة ، عدا عن صلات أهلها بواسطة التجارة مع اليمن ومع الشام حيث مراكز

---

[1]. الرسول / سعيد حوى ج1 ص17-19

الحضارة . وبعض أصحابه من المدينة حيث الصلات الفكرية مع اليهود وما ينشأ عن ذلك من تفتح ذهني .

... كما أن هؤلاء الأصحاب أثبتوا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد مماته أنهم أرجح الناس عقولاً وأكثرهم دهاءً وحنكة ومعرفة بالرجال والشعوب وسياسة الأمم ، بدليل أنهم نجحوا رغم محدودية وسائلهم في فتح أعظم الدول المتحضرة وقتذاك وإدارتها وكسب مودة شعوبها ودمجهم في الأمة الإسلامية .

فإذا ما اجتمعت هذه الناحيتان : الخلطة الدائمة ، وذكاء المخالطين ، فإن أمر الكاذب يفتضح ، وأمر الصادق يتضح .

... والظاهرة الواضحة في حياة الصحابة أنهم كلما ازدادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خلطة ازدادوا به إيماناً وتصديقاً ، بل أكثرهم اختلاطاً به أكثرهم إيماناً به وطاعة له ، وقد بلغ منهم درجة انه أصبح الموت من أجل ما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من الحياة ، وإنفاق المال أحب إليهم من إمساكه ، والطاعة أحب إليهم من المعصية ، ودين الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من الأموال والأولاد والمساكن والزوجات والوطن . وكل هذا من مظاهر التصديق الكامل إذ لولا التصديق لما كان شيء من هذا . فقد قتل منهم الابن أباه ، وأراد الأب قتل ابنه ، فعلام يفعلون هذا ؟! لولا أن إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به وصل إلى ذروة الذرى . وهذه أمثلة كل منهما يعتبر أثراً من آثار التصديق الكامل ودليلاً عليه نذكرها بلا تعليق ، وفي كل منها شهادة من صاحبها بعد تجربة على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق لا شَك في ذلك :

– أخرج الحافظ أبو الحسن الطرابلسي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " لمّا اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً – أَلَحَّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال : يا أبا بكر إنا قليل . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثار المشركون على أبي بكر

وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ؟ ، فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول ؛ ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ، قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دِنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لكَ منهم . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم . قال : فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِجْل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها ، عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت " .

– وأخرج ابن إسحاق عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : " لما أسلم عمر – رضي الله عنه – قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه ، قال عبد الله : وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل – وأنا غلام أعقل كل ما رأيت – حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا ، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش – وهم في أنديتهم حول الكعبة – ألا إن ابن الخطاب قد صبأ . قال يقول عمر من خلفه : كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وثاروا إليه فما برح يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال : وطلح(1)[5] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر . قال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه . قال فقلت لأبي – بعد أن هاجر إلى المدينة –: يا أبت ! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك – أي بني –العاص بن وائل السهمي " . وهذا إسناد جيد قوي – كذا في البداية .

– وأخرج البخاري في التاريخ عن مسعود بن خراش – رضي الله عنه – قال : " بينما نحن نطوف بين الصفا والمروة إذا أناس كثير يتبعون فتى شاباً موثقاً بيده في عنقه . قلت : ما شأنه ؟ قالوا : هذا طلحة بن عبيد الله صبأ . وامرأة وراءه تدمدم وتسبه . قلت : من هذه ؟ قالوا : الصعبة بنت الحضرمي أمه " .

– وأخرج البيهقي وابن سعد والحارث ابن المنذر وابن عساكر وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب – رضي الله عنه – : " أن صهيباً – رضي الله عنه – أقبل مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فتبعه نفر من قريش مشركون ، فنزل فانتشل كنانته فقال : قد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلاً بسهم ، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم في

كنانتي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه . ثم شأنكم بعد ذلك وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وتخلوا سبيلي .. قالوا : نعم . فتعاهدوا على ذلك فدلهم ، فأنزل الله على رسوله القرآن {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [1] حتى فرغ من الآية . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم صهيباً قال : ربح البيع يا أبا يحيى ربح البيع يا أبا يحيى ! وقرأ عليه القرآن .

– وأخرج الحاكم عن سليمان بن بلال – رضي الله عنه – : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خثيمة وأبوه جميعاً الخروج معه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر أن يخرج أحدهما فاستهما . فقال خثيمة بن الحارث لابنه سعد – رضي الله عنهما – : إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم فأقم مع نسائك . فقال سعد : لو كان غير الجنة لآثرتك به إني أرجو الشهادة في وجهي هذا ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . فقتله عمرو ابن عبد ود " وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن سليمان وموسى بن عقبة عن الزهري ، كما في الإصابة .

– وأخرج الطبراني عن ابن عمر " أن عمر – رضي الله عنه – قال يوم أحد لأخيه : خذ درعي يا أخي ! قال : أريد من الشهادة مثل الذي تريد ، فتركاها جميعاً " قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

– وأخرج ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال : " انتهى أنس بن النضر – عم أنس بن مالك – إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار – رضي الله عنهم – وقد ألقوا ما بأيديهم . فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قُتل " .

– وأخرج البيهقي عن مالك بن عمير رضي الله عنه وكان قد أدرك الجاهلية ،، قال : " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني لقيت العدو ولقيت أبي فيهم ، فسمعت لك منه مقالة قبيحة فلم أصبر حتى طعنته بالرمح – أو حتى قتلته – ، فسكت

---

[1]. البقرة : 207

عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ثم جاء آخر فقال : إني لقيت أبي فتركته وأحببت أن يليه غيري ، فسكت " . قال البيهقي وهذا مرسل جيد .

– وأخرج البزار عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : " مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم فقال : غبّر علينا ابن أبي كبشة . فقال ابنه عبد الله بن عبد الله – رضي الله عنه – : يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه ! فقال : لا ، ولكن بر أباك وأحسن صحبته " . قال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات .

– وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال لسعيد بن العاص – رضي الله عنه – وقربه : " إني أراك تظن أني قتلت أباك ، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بورقه ، فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله " . كذا في البداية ، وزاد في الاستيعاب والإصابة : " فقال له سعيد بن العاص : لو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل . فأعجبه قوله " .

– وأخرج ابن سعد عن الزهري قال : " لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة فكلّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فدخل على ابنته أم حبيبة – رضي الله عنها – . فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه . فقال : يا بنية ! أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك . فقال : يا بنية ! لقد أصابك بعدي شر " . وذكر ابن إسحاق نحوه بلا إسناد ، كما في البداية وزاد : " فلم أحب أن تجلس على فراشه " .

– وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : " لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة . وقالوا : قُتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة . فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها – أي قتلى – لا أدري أيهم استقبلت به أولاً . كلما مرت على أحدهم قالت: من هذا ؟ قالوا : أبوك ، أخوك ، زوجك ، ابنك ، تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ يقولون : أمامك حتى

دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذ سلمتَ من عطب " .

هذه نصوص تبين لك مدى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم عند أتباعه المخالطين له ، مما يدلك على أن تصديقهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ حداً لا مثيل له.[1]

– طاعة امراء السرايا والغزوات لاوامره :

كان يأمرهم أن يسيروا مسافة كذا ثم يفتحوا كتابه فيمتثلون ، مثال ذلك :

امتثال أمره في سرية نخلة:

أخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة، فقال له: "كُنْ بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش" ولم يأمره بقتال، وذلك في الشهر الحرام، وكتب له كتاباً قبل أن يعلمه أين يسير، فقال: "اخرج أنت وأصحابك، حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه، فما أمرتك فيه فامض له، ولا تَستكرهَنَّ أحداً من أصحابك على الذهاب معك".

فلَّما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه أن "امضِ حتى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم"، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعٌ وطاعةٌ، من كان منكم له رغبة في الشهادة فلينطلق معي فإني ماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كره ذلك منكم فليرجع فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاني أن أستكره منكم أحداً. فمضى معه القوم حتى إذا كان ببُحران أضلَّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيراً لهما كانا يتعقبانه، فتخلَّفاً عليه يطلبانه، ومضى القوم حتى نزلوا نخله، فمر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله معهم تجارة قدموا بها من الطائف أدَمٌ وزبيب، فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله رضي الله عنه وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه حليقاً قالوا: عُمَّار ليس عليكم منهم بأس، وائتمر القوم بهم– يعني

[1]. الرسول △/ سعيد حوى / ج1 ص24-31 .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في آخر يوم من رجب. فقالوا: لئن قتلتموهم إنكم لتقتلونهم في الشهر الحرام، ولئن تركتموهم ليدخلنَّ في هذه الليلة الحرم فليمتنعنَّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي. بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وهرب المغيرة وأعجزهم، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: "والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام" فأوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسيرين والعير فلم يأخذ منها شيئاً.

–امتثال أمره يوم حنين:

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى: "يا عباس، ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة" فأجابوه : لبيك، لبيك. فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك، فيقذل درعه في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا. وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جُعلت آخراً للخزرج، وكانوا صُبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم، فقال: الآن حمي الوطيس. قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتَّفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأبناءهم كذا في البداية . وعند ابن وَهْب من حديث العباس رضي الله عنه ـ فذكره وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي عباس، نادِ أصحاب السَّمُرة" قال: فوالله لكأنَّما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا: يا لبيكاه، يا لبيكاه ورواه مسلم عن ابن وهب. كذا في البداية وقد أخرج ابن سعد حديث العباس بطوله فذكر نحوه.[1]

– قصة ابي جحيفة: تجشؤه ونهي الرسول عن ذلك :

---

[1]. حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي 201/3

عن ابن عمر ان رسول الله سمع رجلا يتجشأ[1] وقيل الرجل وهب بن عبد الله(ابو جحيفة) وهو معدود في صغار الصحابة وكان في زمانه عليه الصلاة والسلام لم يبلغ الحلم روي أنه لم يملأ بطنه بعد ذلك. قال التوربشتي الرجل هو وهب أبو جحيفة السوائي روى عنه أنه قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله وأنا أتجشأ فقال أقصر من جشائك(والنهي عن الجشاء هو النهي عن الشبع لأنه السبب الجالب له) وقيل التجشؤ التكلف فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا في الدنيا رواه في شرح السنة قال ميرك هو وهب بن عبد الله أبو جحيفة روى عنه أنه قال أكلت ثريدة بلحم وأتيت رسول الله وأنا أتجشأ فقال يا هذا كف من جشائك فإن أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد قال المنذري بل هو واه جدا فيه وهد بن عوف وعمرو بن موسى لكن رواه البزار بإسنادين رواة أحدهما ثقات ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي وزاد قال الراوي فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان إذا تعشى لا يتغدى وإذا تغدى لا يتعشى وفي رواية لابن أبي الدنيا قال أبو جحيفة فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة[2]

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مثله وَحَسَّنَهُ وَابْنُ مَاجَهْ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

– بقاء ابي عبيدة في الشام وعدم مغادرتها رغم انتشار الطاعون فيها حتى مات امتثالا لقول الرسول △ إذا ظهر الطاعون في أرض فلا تدخلوها ولا تغادروها.

– امتناع عثمان عن التنازل عن الخلافة امتثالا لحديث سمعه من رسول الله △ وامتناعه في الوقت نفسه عن مقاتلة الثائرين عليه :

---

[1]. بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة أي يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع وقيل عند امتلاء المعدة.

[2]. سبل السلام/باب الزهد والورع ج4ص179 ، فيض القدير ج5ص11 ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح-كتاب الرقائقج15ص

هذه المسألة لا يفهمها كثير من الناس ، ما معنى تمسك عثمان بالخلافة وعدم التنازل عنها وفي الوقت نفسه لا يقاتل دفاعا عن نفسه ؟ ان كان حريصا على الخلافة حبا بها وحرصا عليها فمن باب أولى أن يحرص على حياته لأن الذي يحرص على الملك حبا به يدافع عن نفسه ويحب طول البقاء حتى يتمتع بع وبخيراته ، أما ان يزهد في الدنيا ويحرص على الخلافة فليس له سبب سوى التمسك بحديث الرسول الذي سمعه منه وهو قوله له △ يا عثمان ، إن الله لعلّه أن يُقَمِّصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه[1]

– انسحاب الزبير من الجيش بعد أن ذكّرهم علي زبيراً بحديث لرسول الله △:

لقد انسحب الزبير من معركة الجمل بمجرد سماعه حديث الرسول الذي ذكّره به علي "إنك ستقاتل عليا وأنت له ظالم" فقال الزبير : والله اني كنت قد نسيتها !

– انسحاب طلحة من الجيش بعد تخويفه من قبل علي من عتاب رسول الله له يوم القيامة على ابقاء نسائه في البيت واخراج زوجة رسول الله الى القتال.

---

[1]. " رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .
وَرَوَاهُ مُخْتَصَرًا التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ ، وَالْحَاكِمُ ، وَصَحَّحَهُ .
تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث حسن المصدر: مسند الصحابة في الكتب التسعة / مسند عائشة .
واليك الرواية مفصلة "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، أَنَّهُ أَرْسَلَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بِكِتَابٍ إِلَى عَائِشَةَ فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لِي : أَلاَ أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم ؟ قَالَتْ : إِنِّي عِنْدَهُ وَحَفْصَةُ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَبْعَثُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَيَجِيءُ فَيُحَدِّثُنَا ، قَالَ : فَسَكَتَ ، فَقَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ : أَبْعَثُ إِلَى عُمَرَ فَيُحَدِّثُنَا ، فَسَكَتَ ، قَالَتْ : فَدَعَا رَجُلاً ، فَأَسَرَّ إِلَيْهِ دُونَنَا ، فَذَهَبَ ، وَجَاءَ عُثْمَانُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : يَا عُثْمَانُ ، إِنَّ اللَّهَ لَعَلَّهُ أَنْ يُقَمِّصَكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ ثَلاَثًا ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ كُنْتِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ؟ قَالَتْ : أُنْسِيتُهُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ

وكذلك طلحة فبمجرد أن حذّره علي وخوفه عتاب رسول الله له يوم القيامة بترك أزواجه في البيت واخراج حرم رسول الله الى ساحات القتال ، ترك هو الآخر ساحة المعركة واعتزل الجيش دون أي تأويل!.

– اعادته مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة : لا يأخذه منكم الا ظالم ، وبقاءه عندهم الى يومنا هذا.

أخرج ابن سعد أنا الواقدي حدثنا إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه قال قال عثمان بن طلحة لقيني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن اتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث ، وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش وذلت فقال بل عمرت يومئذ وعزت ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت ان الامر سيصير إلى ما قال فأردت الاسلام فإذا قومي يزبرونني زبرا شديدا فلما كان يوم فتح مكة قال لي يا عثمان ائت بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي وقال خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال ألم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد انك رسول الله ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال : اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك. وفي رواية أن الذي قال ذلك هو العباس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أين عثمان بن طلحة ؟) . فدعي له، فقال له : (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء) ، وفي رواية ابن سعد في الطبقات أنه قال له حين دفع المفتاح إليه : (خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف)[1]

---

[1]. . (الرحيق المختوم /ص386

– لَدُّه صلى الله عليه وسلم للذين لَدّوه في مرضه الذي مات فيه :

قال عبدالله فاجتمع إليه نساء من نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عميس وعنده العباس عمه فأجمعوا أن يلدوه وقال العباس لألدنه قال فلدوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بي قالوا يا رسول الله عمك قال هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض وأشار نحو أرض الحبشة قال ولِمَ فعلتم ذلك فقال عمه العباس خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به لا يبق في البيت أحد إلا لُدّ إلا عمي فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم بما صنعوا به[1]

و قد روى البخاري [عن علي بن عبد الله و الغلاس و مسلم بن محمد بن حاتم كلهم عن يحي بن سعيد القطان عن سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة قالت : لددنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني قلنا : كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال : ألم أنهكم ألا تلدوني ؟ قلنا : كراهية المريض للدواء فقال : لا يبقى أحد في البيت إلا لد و أنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم]

قال البخاري : و رواه ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم [2]

وفي هذا دليل واضح على هيمنة الرسول على مجتمعه .

– تبرك الصحابة بآثاره صلى الله عليه وسلم وتسابقهم الى ماء وضوئه :

ان تبرك الصحابة بآثار الرسول صلى الله عليه و سلم في حياته والتسابق الى ماء وضوئه من الامور المتفقة عليها بين المسلمين ، والمجمع على صحتها ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على عمق ايمان الصحابة بنبوة الرسول وحبهم له وتعظيمهم اياه .

– حرص الصحابة على مس جسد الرسول △ :

---

[1]. سيرة ابن هشام

[2]. سيرة ابن كثير 443/4

ومن الامور الدالة على حب الصحابة للرسول وتقديرهم له حرصهم على ان يمس جسدهم جسده الشريف △ وافتخارهم بذلك ، والجدل الدائر بينهم حول ايهم كان آخر عهد برسول الله △ مشهور.

هل تآمر الصحابة على علي؟

قلنا ان الشيعة يعدّون اجتماع الصحابة انقلابا على علي ويتهمونهم ، لاسيما الشيخين ابي بكر وعمر ، بالتآمر عليه ، ولكن اذا درسنا هذا الاجتماع وحيثياته يتبين لنا بوضوح ان ابا بكر وعمر لم يكن لهما اي دور في تنظيم الاجتماع وان الانصار هم الذين نظموه وكان هدفهم نصب سعد بن عبادة خليفة للمسلمين ، وان المجتمعين لم يخبروا احدا من المهاجرين وان ابابكر وعمر فوجئوا حين سمعوا بالخبر ، وكان اسراع هؤلاء المهاجرين الى السقيفة نابعا من شعورهم بالمسؤولية ومن ادراكهم بخطورة الموقف وحساسيته، وقد علموا بما حباهم الله من حنكة وحكمة بان الحادث لايحتمل التأخير ، وانه ليس من المعقول اخبار جميع الصحابة فيحدث بذلك بلبلة وفوضى لا يحمد عقباها لا سيما اذا عرفنا انهم كانوا منشغلين بغسل وتكفين الرسول △ . فالحادثة اذن لا تنطوي على اية مؤامرة لان المتهمين عند الشيعة هم ابوبكر وعمر والاجتماع كما قلنا قد عقد من قبل الانصار وان الهدف منه كان تنصيب سعد خليفة على المسلمين والذي كان على وشك ان يبايعوه عندما وصل المهاجرون الى محل الاجتماع وانه حين فاتته الخلافة امتنع عن مبايعة ابي بكر وعمر الى ان مات سنة 14 للهجرة .

من الذي حاك المؤامرة؟

لا احد يستطيع ان يقول ان ابابكر وعمر كانا متفقين او متواطئين مع سعد بن عبادة لأن التاريخ والوقائع والعقل والمنطق يكذبه . ان ما قرأناه من الحوارات التي دارت في

السقيفة وامتناع سعد عن مبايعة ابي بكر وعمر و العلاقة الوطيدة بين علي وقيس بن سعد كلها تنفي وجود اي اتفاق بين سعد والشيخين وانه لم يكن لهما ضلع في تنظيم هذا الاجتماع وان حالهم كان كحال بقية المهاجرين الذين فوجئوا بسماع هذا الخبر، ولا تترك اي فرصة للشك في جدية سعد في العمل على تسلم الخلافة وحين حُرمها بسبب ابي بكر وعمر ظل مقاطعا لهما الى ان مات .

ان الذين يصفون اجتماع السقيفة بأنه مؤامرة حيكت لابعاد علي عن الخلافة لايكلفون انفسهم عناء النظر بجدية الى هذا الاجتماع و يلقون الكلام على عواهنه ويرمون بالتهم جزافا !.

كل الذي عمله ابوبكر وعمر هو انهما تصرفا بحكمة وعقلانية لاسيما سيدنا ابوبكر فانه بحنكته السياسية وعقله الراجح حسم المسألة وتصرف بمنتهى المسؤولية كما تصرف قبل ذلك حين راى عمر شاهرا سيفه يتوعد من يقول بموت رسول الله وقال قولته الشهيرة : "من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت" وكما سيظهر فيما بعد حين يواجه حركة الردة التي عمت الجزيرة العربية واليمن ويواجه مانعي الزكاة بحسمه وحكمته رغم معارضة كبار الصحابة له، وتجهيزه لجيش اسامة في تلك الظروف الحرجة التي كان المسلمون يمرون بها والتي عادت فيما بعد على المسلمين باكبر الفوائد اذ ثبط من عزيمة كثير ممن راودتهم نفوسهم باعلان الردة .

وهناك سؤال مهم يطرح نفسه:

لماذا اخبر هذا الصحابي عمر ولم يخبر عليا او غيره من الصحابة؟

لهذا السؤال جوابان كلاهما معقول ومنطقي . اولاهما لان عليا كان منشغلا بغسل رسول الله △ بناء على وصية الرسول △ بان لا يغسله الا رجال من اهل بيته.

والثاني وهو الاهم والارجح هو مكانة عمر◄ في المجتمع وبين الصحابة ونفوذ كلمته فيهم .

وسؤال آخر تابع لهذا السؤال يطرح نفسه وهو:

لماذا ارسل عمر خلف ابي بكر ليخبره بخبرذلك الاجتماع ولم يخبر عليا؟

والجواب هو:

1. لمكانة ابي بكر عند المسلمين وعند عمر خاصة وهذا الشعور ازاء ابي بكر من قبل عمر يتجلى في مواقف كثيرة منها قوله: ان خلافة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها وانه ليس فيكم من يشار اليه مثل ابي بكر[1] ، وقوله: لأَن أُقدم فيُضرب عنقي احب الي من ان أتأمّر على قوم فيهم ابو بكر، وقوله عندما توفي خالد بن الوليد: رحم الله ابا بكر انه كان اعلم مني بالرجال ، وقوله : ليتني كنت شعرة في صدر ابي بكر . وبالتالي معرفة عمر بانه لايصلح لمثل هذه المواقف غير ابي بكر وان الناس سينقادون له بسهولة لمكانته من رسول الله △ وسبقه في الاسلام كان وراء اختياره لاخباره بخبر السقيفة.

2: انه ما أخبر عليا لانه كان يعلم ان عليا لم يعين من قبل الرسول وانه بحكم سنه لم يكن مرشحا لان يحسم الامر وان الناس لم يكونوا ليختاروه على ابي بكر بدليل ان الناس كانوا يفضلون عثمان عليه بعد استشهاد عمر وعثمان اقل شأنا من ابي بكر وعمر وبدليل قول الشيعة ان الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله الا ثلاثة لمبايعتهم ابي بكر اي ان الاكثرية الساحقة من الصحابة فضلوا ابابكر على علي .

هل كان ابو بكر وعمر متآمرين وهل كانا من طلاب الدنيا؟:

ان دراسة حياة هذين الرجلين قبل وبعد الاستخلاف ستجيب عن هذين السؤالين :

كيف عاشا مع الرسول (△) وكيف عاشا بعد توليهما الخلافة ، كيف كان مسكنهما وملبسهما ومأكلهما ؟ كم كان دخلهما الشهري او السنوي بعد توليهما الخلافة؟ كم كان عدد الخدم والحشم في قصورهم ؟ كيف كان قصر الخلافة في عهدهم ؟ ماذا كانت اهتماماتهم ؟ هل قربوا ابناءهم واقرباءهم من مراكز الحكم ؟ وهل ولّوهم شيئا من امور

[1]. قول عمر : "ان خلافة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها " دليل واضح على عدم وجود مؤامرة وان الامر كان مفاجئا ولم يكن عن سابق تخطيط ، ولولا شخصية ابي بكر لحدث خلاف كبير بين الناس .

الدولة؟ هل أطلقوا أيدي ابنائهم واقربائهم في اموال وممتلكات الدولة ؟ هل مهّد أيٌّ منهما الطريق لأبنائه وذويه لتولي الخلافة من بعده ؟ هل تآمر احدهم على الآخر أو سعى للقضاء على المخالفين والمتربصين بالخلافة ؟ وأخيرا : ماذا قدموا للاسلام في خلافتهما؟

ان الاجابة على هذه التساؤلات ستحل لنا الاشكال وترد تلقائيا الاتهامات التي يكيلها الشيعة لهذين الرجلين العظيمين اللذين بخل التاريخ على البشرية ان ياتي بمثلهما بعد رسول الله (△) ولذلك كان علي والصحابة والتابعون وابناء علي يقولون خير الناس بعد رسول الله (△) ابو بكر ثم عمر .

اني كلما اقرأ حياة الشيخين ثم ارى موقف الشيعة منهما اشفق على الشيعة واقول في نفسي اي خير عظيم حُرمه هؤلاء ببغض هذين الجبلين الشامخين واي جرم ارتكبه علماء الشيعة حين شوهوا صورتهما في عيون الشيعة واي حسرة وندامة سيتجرعونها يوم القيامة حين يرونهما في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واي لوم سيلقونه على علمائهم حين يعرفون الحقيقة ؟!

وليت شعري ماذا يقرأ الشيعة من تاريخ الاسلام بعد طرح حياة الخلفاء والصحابة ، لاسيما الشيخين، جانبا ؟

ان المتتبع لحياة كل من ابي بكر وعمر، لا سيما بعد توليهما الخلافة، يتبين له بوضوح انهما لم يكونا لا من طلاب الدنيا ولا كانا متآمرين ولا كان التآمر سجية لهما، بل على العكس تماما ، سيرى رجلين قد فهما روح الاسلام ومقاصده جيدا وتشبعا بتعاليمه وكانا بحق اهلاً لأن يجعلهما رسول الله وزيريه ورفيقيه في الدنيا كما كتب الله لهما ان يكونا رفيقيه في القبر ورفيقيه ان شاء الله في الجنة .

نعم ان دراسة حياتهما بإنصاف كفيلة بأن ترد كل تلك التهم التي يكيلها لهما الشيعة جزافا ومن غير وجه حق ومن غير ادنى دليل سوى التعصب الاعمى والانحراف الفكري .

لا اظن اننا بحاجة الى ان نثبت ان ابابكر وعمر لم يكونا متآمرين ولم يكن من طبعهما التآمر لأن ما يسمى بتآمر السقيفة تبين انه ليس من صنعهما ولم يكن لهما يد في تنظيمها كما اسلفنا سابقا .

ومع كون السقيفة تدل بكل وضوح على ان الامر لم يكن مؤامرة وان المهاجرين لم يكونوا على علم بها الا بعد إخبارهم ، ولكن مع ذلك سنسأل الشيعة بعض الاسئلة عن طبيعة هذه المؤامرة ونقول:

انكم لاتفتأون تذكرون أن السقيفة كانت مؤامرة، ولكنكم لاتذكرون لنا طبيعة هذه المؤامرة وكيف تم الاعداد لها ولا تذكرون تفاصيلها:

هل كانت هذه المؤامرة باتفاق بين ابي بكر وعمر من جهة وسعد بن عبادة من جهة اخرى؟ اذ لابد لكي يعد هذا الاجتماع مؤامرة ان يكون هناك اتفاق بين منظمي الاجتماع والفائزين فيه ثم يكون فيما بعد لمنظم الاجتماع حظوة عند الفائز فيه ويكون من مقربيه و من اهل مشورته ومن المنتفعين من هذه الخلافة، لا ان يمتنع عن مبايعتهم ويقاطعهم من اول وهلة ويظل على موقفه الى ان يموت .

ان التاريخ لا يذكر لنا شيئا من ذلك كما لايذكر لنا شيئا عن حدوث اجتماع بين ابي بكر وعمر وسعد بن عبادة لا قبل السقيفة ولا بعدها لكي يقال انه كان هناك اتفاق بينهم ثم نكث ابو بكر العهد ولم يف بوعده له ! حتى المؤرخون الشيعة لم يذكروا شيئا من هذا القبيل ، وهذه التساؤلات جديدة على الشيعة ولم يعُدُّوا لها جوابا ومع ذلك لا استبعد ان يأتي احدهم ويقول انه كانت هناك صفقة ما قد تمت بين ابي بكر وسعد بن عبادة الاّ ان ابا بكر تنكر لها ولم يف بعهده لسعد فحصل الخلاف بينهما ، ولكن ادعاءً مثل هذا صعب ومستحيل ولله الحمد لأنه اولا لا يوجد شيء في التاريخ يمكن للشيعة ان يعولوا عليه وان التاريخ صريح بان الخلاف والمقاطعة حصلا في السقيفة فورا بعد انصراف الناس عن سعد واقبالهم على ابي بكر ليبايعوه ، وان موقف علي من سعد وولده قيس ينفي حدوث مثل هذا الاتفاق ضده كما انه يثبت ايضا عدم وجود نص على علي بالامامة لانه لو كان هناك نص لوجب ان يغضب علي على سعد وولده او على الاقل ان يعاتبهم لانهم كانوا وراء تنظيم ذلك الاجتماع الذي اسفر عن اختيار ابي بكر.

اذاً اين المؤامرة ايها الشيعة وانتم كما ترون لاسبيل لكم الى اثباتها الا هذا السبيل وهو مسدود عليكم ولله الحمد.

اني ادعو كل سني يحاور الشيعة حول هذا الموضوع ان لايدعهم يمرون عليه مرور الكرام ويلقوا بشبهتهم ثم يمضوا بل يجبرهم على ان يشرحوا له تفاصيل المؤامرة كما يرونها وامكانية حدوثها ، فاننا ما تركنا وسيلة نحاول فيها الامساك بخيط من خيوط المؤامرة الا وبحثناها فما وجدنا شيئا لأن الاحداث كلها تنفي ذلك وحيثيات السقيفة ايضا تنفي ذلك واني على يقين بانه لا احد ممن يتهم ابا بكر وعمر بالمؤامرة ويصف السقيفة بالمؤامرة يستطيع ان يثبت تلك المؤامرة أو يستطيع ان يخوض في تفاصيلها.

نقول ايضا: ان الذي يقوم بمثل هذه المؤامرة لابد ان تكون له اطماع دنيوية كأن ينال بها شيئا من متاع الدنيا او يحصل على رغد العيش ويبني القصور الفخمة ويتخذ الاماء والعبيد والخدم ويقرب منه ذويه ويوليهم المناصب الحساسة ويمهد الطريق لأبنائه ليخلفوه في الحكم ثم يسعى للقضاء على منافسيه والمتربصين بالخلافة ليخلو الطريق لابنائه من بعده .

نعم لمثل هذه الامور يتآمر المرء . فلنسأل اذاً : أياً من هذه الاشياء عملها كل من ابي بكر وعمر؟

لو كان ابو بكر وعمر متآمرين لحاولوا القضاء على علي وسعد بن عبادة ولانتقموا من كل من ساندهم ووقف معهم كاسامة بن زيد الذي اسند اليه قيادة الجيش الذي جهز لابعادهما حتى يخلو الجو لعلي بن ابي طالب كما يزعم الشيعة وكابي سفيان الذي حرض بني هاشم وبني امية على ابي بكر وعرض مساعدته لعلي للاطاحة بابي بكر وغيرهم كثير كما يفعل اهل السياسة اليوم وكما فعل بعض خلفاء بني امية والعباسيون فيما بعد.

لقد كان الجو مهيئا تماما لعمر ليولي ابنه عبد الله وقد طُلب منه ان يفعل ذلك ولكنه رفض ولم يقبل حتى ادخاله ضمن الستة الذين رشحهم للخلافة .

هل يستطيع احد ان ينكر ان ابابكر وعمر عاشا ايام خلافتهما عيش الزهاد؟ كيف يزهد في الدنيا من كان همه السلطة ؟ وكيف يزهد من كان منافقا كما يحلو لبعض المتطرفين الشيعة ان يصفوهم به؟

من ثبّت دعائم الاسلام واركان الدولة الاسلامية غير ابي بكر ؟ من فتح البلدان ونشر الاسلام غير ابي بكر وعمر؟ اهذا عمل المنافقين؟

لو كان ابو بكر متآمرا على الاسلام كما يصفه الشيعة هل كان يجمع القرآن ام كان يحاول طمسه وطمس تعاليمه ليحكم الناس باهوائه ويحاول القضاء على رسالة الاسلام؟

وهل كان يحارب أهل الردة ويخوض كل تلك الحروب الضارية لمواجهة المرتدين؟ أم كان يرضى بأن يتقاسم الحكم مع مسيلمة وغيره؟

وهل كان يصر كل هذا الاصرار على محاربة مانعي الزكاة وتوعده كل من يفرق بين الصلاة والزكاة؟

ان كل واحد من هذه الاعمال يكفيه شرفا وفخرا فكيف وقد فعلها كلها. اذن كيف يقال لمثل هذا الرجل بانه كان تآمريا ومن طلاب الدنيا وانه ما آمن بالرسول الا لنيل الدنيا؟

انني لم اتحدث عن حياة ابي بكر قبل الخلافة في مكة والمدينة كي لا اطيل على القاريء وان كان دراستها ضرورية جدا لمعرفة هذا الرجل العظيم لان سيرته السابقة على الخلافة تكشف لنا حقيقته وطبيعته وشرفه ومكانته في المجتمع وعند رسول الله ، فحياته كلها كانت جهادا في سبيل الله بالمال والنفس والاولاد ، وقد كرس كل ما يملك لخدمة الاسلام ونصرة رسول الله ، وهذه الحقيقة لا ينكرها الا كل مكابر اعمى الله بصيرته .

وكذلك عمر فقد قدّم اعلى وارقى مثال للحاكم القوي العادل، والزاهد العابد، الشديد مع ولاته الرفيق برعيته ، واصبح نموذجا يحتذى به على مر العصور .

وقبل ان انتقل الى الحديث عن غرض ابي بكر وعمر فيما فعلاه احب ان اؤكد على اهمية دراسة حياة الصحابة لا سيما الخلفاء الراشدين لانها تؤدي غرضين : اولهما : انها تكشف عن آثار جهود النبي (α) وتبين طبيعة المجتمع الذي انشأه رسول الله (α) والتغيير الذي احدثه في اصحابه .

ثانيا: فيها الرد على اتهامات الشيعة للصحابة .

ماذا كان هدف ابي بكر وعمر مما فعلاه في السقيفة ؟:

ان دراسة حياة الشيخين بعد توليهما الخلافة تكشف لنا عن حقيقتهما وطريقة تفكيرهما . لقد قلنا من قبل انهما لم يسعيا الى جمع المال اثناء مدة توليهما للخلافة ، ولا الى بناء القصور ولا اتخاذ الخدم والحشم ولا قربا احدا من اقربائهما ولا مكّنا واحدا منهم، وما عهدا بالخلافة لاحد من ابنائهما. وهذا يدل على انهما كانا ضد توارث السلطة وحصرها في عائلة واحدة او منحها لمن لم يكن اهلا لها ويظهر ذلك جليا في الذين رشحهم عمر للخلافة بعده فقد كانوا افضل الصحابة واكفأهم . ثم انهما بحنكتهما وبعد نظرهما كانا يحاربان التوجه الذي غالبا ما يسود عند ذوي السلاطين وهو الشعور بحقهم في سلطان صاحبهم والنظر اليه على انه ملك خاص بهم ولا يجوز ان يخرج عنهم الى غيرهم . ولهذين السببين لم يرضيا بتسليم الخلافة الى علي بعد وفاة الرسول △ مباشرة لانهم لو سلموه اياها ربما فهم الناس ان الخلافة حق لاهل البيت ولا يجوز ان يخرج منهم ابدا وهذا الامر لايتفق مع عالمية الاسلام وهو اقرب الى الارستقراطية منه الى العالمية ، واني وان كنت على يقين من ان عليا لم يكن يسعى بنفسه لذلك ولكن هذا المفهوم كان سيسود في المجتمع وكان يصعب بعد ذلك مخالفته او اقتلاعه ، وانا نرى رغم عدم تسلم علي للسلطة مباشرة الا انه ظل هذا الاعتقاد سائدا في اوساط كثير من الناس لا سيما اهل البيت من العباسيين والعلويين. وهذا المفهوم رغم خطئه الا ان الناس كانوا ينجرفون وراءه عاطفيا . ولو ألقينا نظرة الى حكم الشيخين وقارنّاه بحكم غيرهما من الحكومات التي رأسها افراد من اهل البيت ابتداء من علي ومرورا بالعباسيين وانتهاء بالفاطميين لرأينا بوضوح ان حكم الشيخين كان افضل بكثير من حكم جميع هؤلاء بمن فيهم علي ◄ وانهما كانا افضل واكفأ من الجميع وان الذين حكموا من اهل البيت خلا عليا كلهم اتخذوا الحكم مطية للعيش الرغيد ونيل الدنيا وبناء القصور واتخاذ الاماء والعبيد وقد غالى الفاطميون في هذا المجال ايما مغالاة وكان حكم غيرهم كعمر بن عبد العزيز ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي افضل من حكم العباسيين والفاطميين وكانوا اكثر تجردا للاسلام وزهدا في الدنيا لاسيما عمر بن عبد العزيز الذي استلهم عدالته من جده عمر بن الخطاب.

هذا الذي نقوله هو ما يؤيده التاريخ ويؤكده ، اذن ما الحاجة الى اشتراط الخلافة في اهل البيت؟

عودا على بدء نقول: لو لم يذهب الشيخان الى السقيفة واختار الناس سعد بن عبادة وبايعوه على الخلافة هل كان سعد سيتنازل عنها لعلي؟ بالتأكيد لا، لأنه ما جمع الانصار في السقيفة الاّ لإبرام الامر لنفسه !.

لو كان التآمر من طبع الشيخين لحاولا التخلص من منافسيهما باي وسيلة كانت وخاصة علي بن ابي طالب ولسلكوا وسائل مختلفة للتخلص منه كأن يزجّوه في الجيوش التي بعثوا بها الى العراق والشام ومصر ثم دبروا قتله هناك لا أن يبقوه بجوارهم معززا مكرما ومستشارا وقاضيا وخليفة لعمر على المدينة عدة مرات ، ولانتقموا من كل الذين اعترضوا على استخلافهما كالزبير والمقداد وخالد بن سعيد وبريدة وغيرهم ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بل عاملوهم كبقية الصحابة دون تفريق او تمييز. لقد عزل سليمان بن عبد الملك ثلاثة من كبار قادة المسلمين في حينه وهم موسى بن نصير فاتح المغرب والاندلس وقتيبة بن مسلم قائد جيوش المسلمين الى تركمانستان واسيا الوسطى والاقصى ومحمد بن القاسم الثقفي قائد جيوش المسلمين الى افغانستان والهند وجنوب شرق اسيا، وفتك بهم لأنهم اشاروا على الوليد بن عبد الملك بعزل سليمان من ولاية العهد، فانتقم منهم ولم يراع فيهم ما قدموه من خدمات جليلة للاسلام والمسلمين ، ولكن ابابكر وعمر لم يمسّا احدا ممن كان معارضا لهما او مؤيدا لغيرهما او طامعا فيها بسوء ولم يضيقوا عليهم بل اكرموهم وأوكلوا اليهم قيادة الجيوش و ولاية الامصار . فهل هذا من عمل المتآمرين او المتطلعين الى الدنيا ام عمل الرساليين والمتجردين للاسلام المتفانين في سبيل رفع رايته؟

وهذا الذي فعله سليمان كان ولا يزال يفعله كثير من الحكام وان احدهم كان بمجرد وصوله الى الحكم يبدأ بالانتقام من معارضيه وتصفية منافسيه.

فيما يخص الرسول : هل كان الرسول ضعيفا أوجاهلا بمجتمعه وبأصحابه ؟

قلنا ان القول بوجود نص على علي ووجود بيعة في اعناق الناس له ثم عدول الصحابة عنه الى ابي بكر يدل على ضعف الرسول (△) وعدم هيمنته على مجتمعه وفشله في تكوين مجتمع صالح منفذ لتعاليمه ويدل ايضا على جهله بمن حوله من الصحابة . وكل واحد من هذه الامور يعد طعنا كبيرا في رسول الله (△) وانتقاصا شديدا له وهذا مما لايجوز لمسلم ان يعتقده او يتفوه به. وهذا يحتاج الى تفصيل اكثر لأنه يترتب عليه نتائج خطيرة جدا مما قد يلقي بصاحبه الى خارج دائرة الاسلام.

لقد اوصى كثير من الخلفاء والحكام والسلاطين لمن بعدهم ونفذت وصاياهم ، ومنهم من أوصى لأكثر من واحد ونفذت وصاياه ، الاّ رسول الله (△) فانه قد اوصى لعلي في زعم الشيعة ولم تنفذ وصيته! فهل كان رسول الله ضعيفا الى هذا الحد ؟ وهل كان جاهلا بمجتمعه الى هذا الحد؟ وهل كان كل هؤلاء الخلفاء اقوى واعظم منه .

لقد اوصى ابو بكر بالخلافة لعمر في مرض موته ونفذت وصيته، واوصى عمر بعد طعنه من قبل ابي لؤلؤة بالخلافة لاحد الستة الذين رشحهم وان لا يطول النقاش اكثر من ثلاثة ايام . وقد نفذت وصيته وأُبرم الامر قبل انتهاء اليوم الثالث وبويع لعثمان بالخلافة .

وقد امر سليمان بن عبد الملك حاجبه رجاء بن حيوة ان يأخذ البيعة من بني امية لمن نص عليه في الكتاب الذي كتبه لهم قبل أن يُطلعهم على اسمه ، فبايعوا ولم يعارضوا وحين رأوا ان المنصوص عليه هو عمر بن عبد العزيز وليس واحدا من أبناء عبد الملك رضخوا للامر ولم يُحدثوا شيئا رغم معارضتهم لاستخلاف عمر ومعارضتهم لاخراج الخلافة من آل عبد الملك ورغم علمهم بان سليمان قد توفي . ولنا ان نسأل: مابال كل هذه الوصايا تنفذ ووصية رسول الله لعلي لاتنفذ؟ اكان كل هؤلاء الخلفاء اقوى من الرسول واكثر نفوذا في مجتمعاتهم ام ان هناك امرا آخر ؟

ولكي نثبت بأنه لا يمكن بحال من الاحوال نقض بيعة ابرمها رسول الله (△) نأتي ونُجري مقارنة بين الرسول (△) وابي بكر اولا وبين عمر وعلي ثانيا، اي بين طرفي المعادلة من هاتين الوصيتين لنرى سبب تنفيذ وصية ابي بكر لعمر وعدم تنفيذ وصية الرسول لعلي و

لنر هل كان السبب في الرسول ام في علي ام فيهما معا ، ام انه لا توجد وصية وبيعة اصلا ؟

اولا: مقارنة بين الرسول وابي بكر :

وفي هذا المضمارنسأل:

ايهما اقوى شخصية : الرسول ام ابو بكر؟

ايهما اكثر عصبة : الرسول ام ابو بكر؟

ايهما اكثر هيمنة على الناس : الرسول ام ابو بكر؟

ايهما اكثر مهابة ومنزلة في قلوب الناس : الرسول ام ابوبكر؟

وباختصار: هل كان ابو بكر يفوق الرسول △ في اي صفة من الصفات؟

لا اظن احدا سيرجح كفة ابي بكر على الرسول في اي مزية من المزايا بل لا يوجد هناك وجه للمقارنة بينهما ، ولايستطيع احد ان يقول ذلك ولو قاله لأصبح به كافرا لانتقاصه شخصية الرسول (△) ، وليس المسلم وحده بل كل من يدرس حياة كل من الرسول (△) وابي بكر لا يقول بذلك. اذن كيف يوصي الرسول لشخص بالخلافة ولا تنفذ وصيته؟

لقد كان الرسول (△) يفوق ابا بكر وعمر وكل الخلفاء والسلاطين الذين جاؤوا بعده بمئات بل بآلاف المرات من حيث قوة شخصيته ، وهيبته ، وهيمنته على القلوب، وقدرته الادارية والتربوية والعسكرية والنفسية ، وقد أُوتي من الصفات القيادية ما لم يُؤتَهُ احد من البشر ، وقد اصطفاه الله من بين جميع البشر ليكون خاتم الانبياء والرسل وهو قبل ذلك وبعده مؤيد بالوحي وبروح القدس يوجهه في كل حركاته وسكناته !.

ان جميع القادة الذين اشتهروا في التاريخ وخضع لهم الناس واحبوهم واطاعوهم لم يُؤتَوا عُشر معشار ما أُوتيَه رسول الله (△) من الصفات القيادية ، ولو ان احدا كان يملك جزءا من المائة من صفات الرسول لدانت له رقاب الناس فكيف برسول الله وهو يفوق جميع البشر في جميع صفاته وانه اجتمعت واكتملت فيه جميع الصفات القيادية بالاضافة الى كونه مؤيدا بالوحي يوجهه ويعزز موقعه بين الناس ، وكان الوحي يلقن الصحابة آداب

التعامل مع رسول الله (△) وشواهد القرآن كثيرة فسورة الحجرات كلها وسور اخرى كثيرة كالاحزاب والنور كلها توجيه للصحابة في كيفية التعامل مع الرسول وترسيخ مكانته بينهم .

لو لم يكن للرسول (△) شيء من مقومات التأثير على الناس لكان الوحي كافيا لإيجاد ذلك التاثير فكيف وهو يمتلك جميع مقومات التاثير على الناس وبأعلى مراتبها ثم يسانده القرآن ويؤيده ويثبت موقعه .اقرأ معي هذه الآية: " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير". فكيف يضعف او يفشل من كان الله مولاه وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين؟

ان دراسة مجتمع الرسول (△) من خلال القرآن وكتب السيرة تعطيك صورة واضحة عن مدى هيمنة الرسول (△) لا على اجساد الناس فحسب بل وحتى على قلوبهم وعقولهم وعواطفهم ، وعن مدى خضوع الناس له ومحبتهم له وتوقيرهم اياه ، وقد سجلت كتب السيرة شهادة كثير من خصوم النبي (△) عن طاعة الصحابة للرسول وتوقيرهم له وقد مر معنا شهادة وفد قريش له في صلح الحديبية وشهادة ابي سفيان امام هرقل. واذا اردت ان تعرف مدى هيمنة الرسول على مجتمعه فما عليك الا ان ترجع الى قراءة قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك : كعب بن مالك وصاحبيه فان فيها ابلغ الادلة على هذه الحقيقة.

وعد ان شئت الى قراءة موقف الصحابي ثابت بن قيس حين نزلت آية" يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون" . لقد ظل هذا الصحابي ملازما لبيته يبكي ثلاثة ايام مخافة ان يكون قد عُنيَ بهذه الآية ولم يخرج من بيته الاّ بعد ان طمئنه الرسول (△) بانه ليس هو المعني بها وانه ليس من هؤلاء فطابت نفسه وهدأ باله وخرج الى الناس.

والادلة على حب الصحابة للرسول وخضوعهم له وطاعتهم لأوامره وتوقيرهم اياه اكثر من ان تحصى وان هذا الحب وهذا الخضوع وهذه الطاعة والتوقير لم يقتصر على حياته كما اسلفنا وانما جاوزها الى ما بعد موته . فحب المسلمين للرسول (△) وصلاتهم

عليه كلما ذكر اسمه وحرصهم على اتباع سنته وحبهم وتوقيرهم لأهل بيته كلها ادلة واضحة على مكانة الرسول في قلوب المسلمين .

فاذا كان هذا شأن الرسول بين اصحابه في حياته وبعد موته فكيف تُترك وصيته ولا تنفذ في حين ان وصية ابي بكر في عمر نفذت وقد تبين لك بما لايقبل الشك ان مكانة الرسول (△) بين اصحابه كانت تفوق مكانة ابي بكر بكثير بل ولا يوجد وجه للمقارنة بينهما وما ادل على ذلك من ارتداد العرب بعد وفاة الرسول وامتناع الكثيرين عن اداء الزكاة لأبي بكر.

اذن لايوجد وجه للمقارنة بين رسول الله وابي بكر باي شكل من الاشكال والمنطق يقول بان مثل هكذا شخص لو اوصى لأضعف الناس لنفذت وصيته ولامتثل الناس لأمره وما خروج الناس تحت امرة اسامة البالغ حوالي سبعة عشر عاما الا دليل على ذلك وقد امتثل الناس للامر رغم اعتراضهم في البداية على شخص اسامة لصغر سنه وقلة خبرته وصعوبة المهمة الملقاة على عاتقه ، ثم تنفيذ ابي بكر لذلك الجيش رغم ارتداد العرب وخطورة الموقف واقتراح اسامة وبقية الصحابة عليه بتأخير تلك البعثة الى ما بعد الانتهاء من فتنة المرتدين.

ثانيا: مقارنة بين عمر وعلي :

اذن، لقد رجحت كفة الرسول (△) بكل الاعتبارات ، بقي ان نجري مقارنة بين علي وعمر في الجهة المقابلة ، اي بين الموصى اليهم ونسأل:

ايهما اقوى شخصية : علي ام عمر ؟

ايهما اكبر عشيرة واكثر عصبة : علي ام عمر ؟

ايهما اقوى واشجع : علي ام عمر ؟

ايهما اعلم واتقى : علي ام عمر ؟

ايهما اكثر بلاءً في الاسلام : علي ام عمر؟

لاشك ان الشيعة يرجحون كفة علي في كل هذه الجوانب ولا يمكن ان يقولوا بغيره لأن ذلك يخالف عقيدتهم في علي ويعد خروجا على مذهب التشيع ، ونحن يهمنا هنا رأي الشيعة لأنه ألزم لهم في الحجة.

اذن ، هناك (وصيتان) : الموصي والموصى اليه في الوصية الاولى أقوى من الموصي والموصى اليه في الوصية الثانية ! فما بال الوصية الثانية تنفذ والاولى لا تنفذ، علماً ان الوصية الاولى صحبتها نصوص قرآنية وبيعة الغدير كما يزعم الشيعة ! فوصية من ضعيف الى ضعيف تغلب وصية من قوي الى قوي ، وليس هذا فحسب وانما تغلب وصيةً يدعمها نص من الله ورسوله وبيعةً عقدت في غدير خم ! اي عقل يستسيغ هذا؟

ما هو جواب الشيعة عن هذا السؤال؟ اعتقد انه لايوجد سوى جواب واحد، هو انه لم تكن هناك لا وصية لعلي ولا بيعة في اعناق الناس له .

واذا تبجح الشيعة وقالوا ان عمر غلب عليا على امره فهذا يكذبه التاريخ وتكذبه عقيدة الشيعة في علي ، اذ لو صح ذلك لدل على ان عمر كان اقوى واشجع من علي او انه كان اكثر عصبة منه واكبر عشيرة، وهذا يخالف معتقد الشيعة ، ومخالف للواقع أيضا.

يبقى احتمال واحد : وهو القول بأن الناس كانوا يفضلون عمر على علي، او بعبارة اخرى ان عمر كان احب الى الناس من علي. وهذا ايضا غير صحيح لأن عمر كان معروفا بشدته وغلظته سواء في عهد الرسول او عهد ابي بكر ولا أدَلّ على ذلك من قول طلحة بن عبيد الله لأبي بكر حين استخلف عمر بعده : "ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به اذا خلا بهم بعد لقائك ربك؟!" فغضب ابو بكر لما سمع ذلك و قال: " أبالله تخوفني ! خاب من تزود من امركم بظلم! أقول: اللهم استخلفت على أهلك خير أهلك!". ثم اتجه الى طلحة فقال له :" أبلغ عني ما قلت لك مَن وراءك".

اما ما يذهب اليه الشيعة من ان عليا لم يكن محبوباً من قبل الناس لأنه قتل كثيرا من المشركين في الحروب فهذا يكذبه العقل والمنطق والتاريخ و لا يستقيم بحال من الاحوال

بل يعد قتاله للمشركين من مفاخره ومن دواعي تعلق الناس به لأنه ناتج عن شجاعته وحسن بلائه في الاسلام فلست ادري كيف تنقلب المنقبة الى مثلبة ؟!.

وهذا جهل بذلك المجتمع والناس الذين يمتدحهم علي في احدى خطبه بانهم كانوا يتسابقون في الجهاد ويقتلون آباءهم واخوانهم من اجل الاسلام [1] وأن للسبق والبلاء في مثل هذه المجتمعات دوراً كبيراً في رفع مكانة الناس ، ثم ان الذين اجتمعوا في السقيفة كانوا من الانصار الذين لم يقتل علي واحدا منهم بل يشاركونه في الموقف فكلاهما قتل رجالا من صناديد قريش ، ثم ان الذين تأخر اسلامهم الى ما بعد الفتح لم يكن لهم ثقل كبير في المجتمع بحكم تأخرهم في دخول الاسلام وطول محاربتهم للرسول .

ويكذبه ايضا موقف ابي سفيان الذي اعترض على مبايعة ابي بكر وطلب من علي ان يعلن نفسه خليفة فرفض علي ذلك، فأبو سفيان الذي قاد الحروب ضد الاسلام وقتل علي كثيرا من أقاربه هو الذي يقترح على علي أن يتولى الخلافة بدل ابي بكر ! فأين الثارات اذن وأين التأثيرات السلبية لبطولات علي وفتكه بأعداء الاسلام؟ أبو سفيان الذي كان من سادات قومه لايجد من يستمع اليه لأن اسلامه تأخر وكان للعبيد الذين سبقوه الى الاسلام مكانة أعظم في قلوب الناس. فموقف ابي سفيان هذا من علي وعدم اكتراث الناس به وبدعوته الى مبايعة علي رغم كونه من سادات قريش يدل على عدة امور :

اولا: أن قريشاً لم تكن كارهة لعلي بسبب قتله لصناديدهم[2] .

ثانيا : ان المعيار الاساس لتقويم الناس في ذلك المجتمع كان السبق الى الاسلام وحسن البلاء فيه وليس القبيلة أو المكانة الاجتماعية .

---

[1]. سبق الاشارة الى خطبته تلك.

[2]. وقد اورد ابن حزم في كتابه الملل والنحل اسماء الذين قتلهم علي والذين قتلهم غيره من الصحابة كالزبير والانصار فلا تجد مصداق ما يقوله الشيعة عن كره الناس لعلي بسبب قتله صناديد قريش.

وكذلك خالد بن سعيد بن العاص الاموي واثنان من اخوته يرفضون مبايعة ابي بكر ويدعون الى مبايعة علي وهم من بني امية ومن أقارب عثمان وابي سفيان !

إذن لم تكن المسألة نعرات قبلية أو ثارات جاهلية وإنما كان الناس يحكمهم منطق الايمان والاخلاص للاسلام ، وأن الناس انقسموا ما بين مؤيد لعلي ومؤيد لأبي بكر لا على اساس قبلي وانما بناءً على قناعات شخصية وكان مؤيدو أبي بكر أكثر بكثير من مؤيدي علي ، وهذا ما يقر به الشيعة ضمنيا حين يقولون ان الناس كلهم ارتدوا بعد وفاة رسول الله (△) الاّ ثلاثة أو أربعة! أي ان الذين كانوا يؤيدون عليا لم يتجاوز عددهم العشرة وهذا العدد يُعَد لاشيء قياسا الى الآلاف المؤلفة الذين أيدوا أبا بكر، وأن السبب الرئيس وراء تعاطف الناس مع علي كان فاطمة ، لذلك حين توفيت استوحش علي وجوه الناس فبادر الى مبايعة ابي بكر.

ولو سلمنا جدلا ان عمر غلب عليا على امره فهل غلبه عثمان ايضا وهو الشيخ الكبير الحيي الطاعن في السن والذي اظهرت الايام لينه وتساهله؟!.

فهل يا ترى كان الناس اطوع لأبي بكر وعمر من الرسول حين نفذوا وصيتهما ولم ينفذوا وصية الرسول ؟كل من يقول ذلك فانه يتهم الرسول (△) بالضعف والعجز والجهل وغيرها من الاوصاف التي لاتليق بأي قائد سياسي او عسكري او روحي ناجح ، ناهيك عن رسول الله (△) الجامع لكل الصفات القيادية وبأعلى مراتبها والمؤيد فوق ذلك بالوحي وبروحِ القدس!.

هذا هو التاريخ عودوا اليه وانظروا هل هناك عهد من خليفة لم ينفذ ؟! بل واكثر من ذلك فان بعض الخلفاء كانوا يعهدون بالخلافة لأكثر من واحد وكلهم يتولى الامر ولم يملك احد نقض تلك العهود لاعتبارات عدة اهمها العامل الديني .

إذاً ما معنى ان يكون عهد الرسول (△) لعلي من العهود القليلة ، ان لم نقل الوحيدة، التي لم تنفذ؟ ألأن الرسول كان ضعيفا الى هذا الحد (حاشاه) ، أم كان علي ضعيفا الى حد انه لم يعبأ به احد؟

هذا الادعاء(اي عدم تنفيذ وصية الرسول) يكذبه وينقضه الشرع والعقل والتاريخ . فإن البشرية لم تر شخصية قوية كرسول الله △ وهو مع قوة شخصيته وامتلاكه لكل مقومات القيادة الروحية والسياسية والعسكرية والادارية مؤيد كما قلنا بالوحي وبروح القدس يوجهه ويعزز موقعه ومكانته بين اصحابه . أي أننا أمام عهد صدر من اعظم واقوى شخصية عرفها التاريخ البشري الى شخصية قوية كعلي بن ابي طالب فمن ذا يجرؤ على ان يحدث نفسه بنقضه ناهيك عن الشروع فيه؟

ان يزيد بن معاوية المكروه والمنبوذ من اكثر الامة يعهد الى ولده المريض معاوية ، و مع ذلك تنفذ وصيته ويبايع الناس معاوية بالخلافة الاّ انه يتخلى عنها طواعية. وهشام بن عبد الملك ، رغم كونه احد خلفاء بني امية الاقوياء، لم يستطع وهو خليفة ان ينقض عهد يزيد بن عبد الملك لابنه الوليد بن يزيد ويزيحه عن ولاية العهد على الرغم مما أُشيع عن الوليد من الخلاعة والمجون !.

انني ادعو الشيعة ان يفكروا قليلا بالعقل والمنطق ويدَعوا عنهم التقليد الاعمى، واني لعلى يقين بأنهم سيصلون الى الحقيقة ويتيقنون بأن كل ما رواه رواة الشيعة حول النص والبيعة مختلقة ومتعارضة مع العقل الصحيح والمنطق السليم ومع التاريخ وان مواقف علي واقواله اول من يكذبها .

والآن وقد رأينا كيف سقطت جميع الاحتمالات امام التاريخ والمنطق وتبين ان الرسول لم يكن مطاعا ومحبوبا من قبل الصحابة فحسب وانما امتد ذلك الى ما بعد موته والى يومنا هذا وسيظل هكذا الى قيام الساعة ، وتبين ان عليا لم يكن لا ضعيفا ولا مكروها، وانه لم تكن هناك مؤامرة عليه ، وان ذهاب ابي بكر وعمر لم يكن عن سابق تخطيط وانهما كانا عند جثمان الرسول حين جاءهم خبر اجتماع الانصار في السقيفة. إذن، ما الذي يمنعكم من التسليم لمنطق العقل ونبذ الروايات الواهية التي يكذبها التاريخ والمنطق ومواقف علي وابنائه من بعده ؟

امكانية نقض العهد:

تحدثنا عن ركنين اساسيين من أركان البيعة وهما الموصي والموصى إليه ، واثبتنا من خلال المقارنة التي اجريناها بين كل من الرسول وابي بكر من جهة ، وبين عمر وعلي من جهة اخرى أن الموصي والموصى اليه في الوصية الاولى اقوى من الموصي والموصى اليه في الوصية الثانية باعتراف الشيعة، بقي هنا ان ندرس ركنين آخرين من أركان البيعة وهما: أهمية البيعة في الاسلام عامة ، وموضوع البيعة وأهميتها خاصة.

إن من يدرس القرآن واحاديث الرسول وسيرته وتاريخ المسلمين يتبين له بوضوح أهمية البيعة في الاسلام ومن ثم عند المسلمين ، فالآيات والاحاديث الواردة بحق البيعة كلها تدل على أن للبيعة في الاسلام قدسية كبيرة وان نكث البيعة يعد اثما كبيرا لا سيما اذا كانت البيعة لرسول الله (△) ، فقد قال الله تعالى عن مبايعة الرسول: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) " الفتح /10ويقول سبحانه"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ..(1) " المائدة/1 ولعلم الخلفاء بأهمية البيعة كانوا يحرصون على أن يأخذوها من كل الناس لا سيما أصحاب المكانة والمتنفذين منهم . وقد كانت للبيعة قدسية عند المسلمين بحيث لم يكن حتى في وسع الخلفاء الاقوياء نقضها ، فهذا هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي القوي أراد أن يعزل ابن أخيه الوليد بن يزيد وينصب بدلا منه أحد أبنائه وليا للعهد ولكنه لم يستطع رغم كل ما أُشيع عن الوليد من خلاعة ومجون وفجور ، وحين أراد الأمين أن يخلع أخاه المأمون ثار المأمون في وجهه وأيده الناس وانتهى الامر بقتل الامين !

لو أن الصحابة كانوا يجهلون اهمية البيعة لجاز ان نتهمهم بالتهاون في شأن البيعة التي أعطوها لعلي في غدير خم ، لكن الشيعة انفسهم يوردون امورا تدل على تقدير الناس لمسألة البيعة ، منها ايرادهم قول الانصار لفاطمة: لو ان ابن عمك حضر السقيفة لما عدلنا

عنه الى غيره ولكنا قد بايعنا ابابكر ، وقول علي في احدى رسائله التي بعث بها الى معاوية يذكر فيها أنه لما رأى الناس قد بايعوا ابابكر سكت لانه راى ان طاعته قد سبقت بيعته ![1]

فالبيعة بصفة عامة كانت ولاتزال لها مكانتها وقدسيتها في الاسلام ، فإذا أضفنا الى ذلك خطورة وحساسية موضوع البيعة علمنا أنه لايمكن أبدا ان تنقض بيعة عقدها رسول الله . وعليه فالبيعة التي يزعم الشيعة أن الرسول قد أخذها من الصحابة لعلي تشتمل على جميع عناصر البيعة وأركانها ، فالموصي وآخذ البيعة هو رسول الله (α) الواجب الطاعة على المسلمين حيا وميتا ، والموصى اليه والمبايَع هو علي بن أبي طالب المعروف بمكانته من رسول الله وبشجاعته وقوته وعصبته ، والبيعة هي في أمر خطير وحساس وهو الخلافة ثم أخيرا ان البيعة مقدسة عموما عند المسلمين ، فكيف يتنكر الناس لمثل هذه الوصية وكيف ينكث الناس هذه البيعة ثم لا يُحدث ذلك ضجة بين المسلمين ؟

ولندرس هذاالموضوع من جانب آخر ونسأل : هل من الممكن ان يجرؤ احد على نقض بيعة عقدها رسول الله (α) ؟

هذا السؤال يدعونا الى دراسة طبيعة ذلك المجتمع وان نحاول الرجوع بأنفسنا الى تلك الفترة ونستحضر حالهم بحيث نستشعر وكأننا نعيش تلك اللحظات بعقلية ونفسية وطبيعة اهل ذلك الزمان . ولكن قبل ان نشرع في هذا يجب ان نقرر حقيقتين اخريتين اضافة الى الحقائق السابقة التي اقررناها من رجحان كفة الرسول على ابي بكر وكفة علي على عمر:

---

[1]. - يقول سيدنا علي في نهج البلاغة: (رضينا عن الله قضائه ، وسلمنا لله أمره .... فنظرت في أمري فإذا طاعتي سبقت بيعتي إذ الميثاق في عنقي لغيري) نهج البلاغة ص 81 خطبة 37 ط بيروت بتحقيق صبحي الصالح ، نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 95-96 .

أُولاهما : لا يمكن ان يُغتصب حق وراءه رجال اقوياء يطالبون به ، بمعنى آخر : لا يمكن بحال من الاحوال غصب حقوق الاقوياء لا سيما اذا كان صاحب الحق أقوى ممن يحاول غصب حقه . وهذه حقيقة لا اظن ان هناك من ينكرها.

و الثانية والتي لا يماري فيها احد هي ان قريشا كانت اوسط العرب في الجزيرة وان القبائل العربية الاخرى كانت تشعر بنوع من التبعية لها وان بني هاشم كانوا من اوسط قريش وان الناس كانوا اطوع لبنى هاشم من غيرهم لمكانتهم من رسول الله ومن قريش ومن العرب عموما ومقولة ابي سفيان دليل على ذلك.

ان اهمال الوصية والنصوص الكثيرة التي يدعي الشيعة ورودها حول خلافة علي لم يكن بالامر الهين واليسير ، لاسيما اذا كانت تخص رجلا قويا وشجاعا وصاحب عصبة كعلي بن ابي طالب ، فلو انها كانت تخص رجلا ضعيفا او جبانا لأمكن تصور اهمالها حتى وان كانت واردة من شخص قوي كرسول الله △ . أما أن تخص واحداً من اقوى الشخصيات بعد الرسول من حيث الشجاعة والعصبة فهذا مما لايمكن تصوره!

من ذا الذي يجرؤ ان يفكر ، مجرد تفكير، في نبذ وصية صادرة من اقوى شخصية لاقوى شخصية؟[1]

هذا عن اهمال النص والوصية أما عن نقض العهد والبيعة التي اخذت منهم في غدير خم فهو اصعب واشق ، والاقدام على نقض بيعة شهدها اكثر من مائة الف[2] يعد مغامرة ومخاطرة لا يحمد عقباها ، وان مثل هذا الاجراء ، أي اهمال النص والوصية ونقض البيعة لا يتم في مثل تلك العجالة في اجتماع مفاجيء بل يحتاج الى تخطيط وتدبير مسبقين وبين اناس متفقين فيما بينهم لابين متخاصمين ومتنازعين.

---

[1]. نحن نعتقد أن عليا كان واحدا من الشخصيات القوية المؤثرة المعدودين في المجتمع ولكن حسب رأي الشيعة فانه كان اقوى شخصية بعد الرسول على الاطلاق، وهذا ألزم لهم في الحجة ومن باب الجدل سلمنا بأنه الاقوى بين الجميع.

[2]. هذا في نظر الشيعة وإلاّ فالعدد أقل من ذلك بكثير ولكن هنا أيضا كثرة العدد ألزم للشيعة في الحجة.

ان علينا ، ان اردنا فهم القضية جيدا ، ان نستحضر حال المسلمين وقد توفي رسول الله △ وترك وصية بتنصيب علي اميرا على المسلمين واخذ البيعة له في اعظم تجمع عرفه المسلمون الى ذلك اليوم ، وهو يوم العودة من الحج في غدير خم ، ثم نسأل هذا السؤال: لماذا يسارع الانصار الى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة لنقض هذه البيعة وهم يعرفون أنهم يجب أن يواجهوا بعملهم ذلك قريشا من جهة ، مع علمهم بموقع قريش بين العرب، وسائر المسلمين الذين شهدوا بيعة الغدير من جهة اخرى !

ضع نفسك مكان الانصار وفكر في الامر : هل تستطيع أن تفكر –مجرد تفكير– في مثل هذا الامر الخطير الذي لا يعرف عواقبه وقد يأتي بفتنة تحرق الاخضر واليابس . ان مجرد التفكير في مثل هذا الامر يعد مخاطرة ، فكيف بالاقدام عليه ؟ واي اقدام ؟ بتلك العجالة والارتجالية التي حدثت في سقيفة بني ساعدة.

ان الإعداد لمثل هذا الامر يحتاج الى إعداد مسبق وتخطيط دقيق ، انه يحتاج أن يتصل صاحب الفكرة اولا بمن يثق بهم ويأمل فيهم الاستجابة من الصحابة ثم يبث رسله هنا وهناك ليكسب الانصار والاعوان ، أي ان يدخل في صفقة سياسية وهذا يحتاج الى اعطاء وعود للمشاركين في المؤامرة بمكاسب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مقابل تأييدهم له وان يتفقوا على خطة معينة لانجاحه وان يضعوا في حسابهم احتمالات فشل مخططهم فيضعوا الحلول والبدائل لذلك . كل هذه من متطلبات القيام بمثل ذلك الامر العظيم ، ولا تقولن وأنّى للناس ان يفكروا بهذه الطريقة وهم بتلك البساطة والبداوة ؟ لا تقل ذلك لأننا رأينا كيف خطط اليهود مع قريش للانقضاض على المسلمين في غزوة الاحزاب وكيف جندوا العرب جميعا لتلك المهمة . وكذلك رأينا كيف خطط المعارضون للخليفة عثمان بن عفان ◀ للاطاحة به وكيف أحكموا خطتهم حتى كتب لها النجاح وحققت مقاصدها.

نعم هذه هي مستلزمات القيام بمثل هذا العمل ، سواءاً فكر فيه الانصار او نفر من المهاجرين ، فالامر ليس هينا والخصم ليس سهلا : الامر هو التنكر لوصايا رسول الله ورد نصوص الكتاب والسنة ونقض بيعة ابرمها رسول الله بنفسه بعد حجة الوداع وشارك فيها ما لا يقل عن مائة الف حسم زعم الشيعة ، والخصم هو علي بن ابي طالب المعروف

بشجاعته وبأسه ووراءه بنو هاشم وبنو امية اقوى عشيرتي قريش ، ووراءهم – بصفتهم من اوسط قبائل قريش– العرب كلهم ، والذين يفكرون في ازاحته هم الانصار الاقل عددا أو نفر من قريش هم من اضعف بطونها : بني تيم وبني عدي!

من هنا يتبين لنا ان كل من كان يريد أن يفكر في ازاحة علي عن مكانه كان يجب عليه أن يفكر قبل كل شيء في العقبات والصعوبات التي سوف تعترضه ويعمل حسابه لتذليلها وازالتها ، والمباشرة بمثل هذا العمل تُعد مخاطرة كبيرة لا تُحمد عواقبها اذا لم تسبك الخطة بإحكام ، فالذي يفكر في مثل هذا الامر يجب قبل كل شيء ان يعمل على تأمين السبل للوصول الى هدفه.

ان ماجرى في المدينة من اجتماع الانصار في السقيفة يدل بوضوح على انهم كانوا يعرفون بانهم لا يغتصبون حقا لاحد وانما يبحثون في امر لم يُبَت فيه من قبل والاّ لو كانوا يعلمون ان الامر محسوم لعلي لكان عليهم ان يحسبوا الف حساب قبل ان يُقدموا على مثل هذا العمل.

ان طبيعة اجتماع الانصار في السقيفة لا تشير الى انهم كانوا يفكرون او يخططون لسلب أحد حقه في الخلافة ، وانما تشير بوضوح الى انهم كانوا يبحثون امرا لم يكن مبحوثا من قبل او محسوما من قبل وانهم اجتمعوا ليختاروا سعد بن عبادة للخلافة قبل ان يجتمع المهاجرون، وانهم ما كانوا يعلمون ان عليا منصوص عليه، وانهم لم يبايعوه من قبل ، لانه لو كانت هناك بيعة أو نص لسارع الذين اخبروا عمر بالامر الى اخبار علي بدلا من عمر او على الاقل لسارع بعض الناس الى اخبار علي كما سارع بعضهم الى اخبار عمر لأن الامر كان يعنيه هو قبل غيره . ولو كان الانصار والمهاجرون يعلمون ان علياً هو خليفة رسول الله ﷺ كان من المفروض ان يبدءوا اجتماعاتهم بالقول بأن رسول الله قد مات ووصى لعلي بالخلافة ولكننا لانرضى به خليفة لصغر سنه مثلا او لكونه غير مؤهل للخلافة او لكونه مكروها من الناس او لوجود من هو احق منه بالخلافة ، الى غير ذلك من الاسباب كما اعترضوا على امارة اسامة بن زيد ◢ لصغر سنه وقلة خبرته ، ولانتشر ذلك الخبر بين الناس ولتكلموا فيه وتداولوه فيما بينهم كما تداولوا مسألة امارة اسامة، ولروى لنا التاريخ بعضا

من تفاصيل ما دار بين الناس من مناقشات حول ذلك الموضوع ولذكر لنا ايضا تعليقات الناس وردود افعالهم على نقض تلك البيعة بعد السقيفة ، ولو سكت كل الناس لما سكت ابو ذر χ ، ولاستغل المنافقون هذا الامر لبث الفرقة واثارة الفتنة بين المسلمين . وبما انه لم يُذكر لنا شيء من تلك الامور فانه يدل على ان الناس لم يكونوا يعلمون ان رسول الله α قد استخلف احدا بعده او ان الصحابة قد خالفوا أمره ونقضوا عهده . ان مرور هذه الحادثة بهذه السهولة واستتباب الامر لابي بكر بتلك السرعة وعدم تحدث الناس بالبيعة وسكوت الصحابة لاسيما الثائرين منهم كأبي ذر وأخيرا سكوت المنافقين وعدم استغلالهم له دليل قاطع على انه لم تكن هناك لا وصية لاحد ولا بيعة في اعناق الناس لاحد.

ولو كانت هناك وصية وبيعة في شأن علي لوجب على من يريد ازاحته ان يَشرع في العمل قبل وفاة الرسول أو أثناء مرضه على الاقل ، فيبدأ بالاتصال بالناس ويرسل الوفود سرا الى المدن والقبائل ويمهد أذهان الناس لمثل ذلك الاجراء ويضمن تأييدهم وولاءهم له ويتخذ جميع الاجراءات اللازمة لانجاحه لا ان يفعله ارتجاليا ثم يأتي ثلاثة من المهاجرين وبطرفة عين يسحبون البساط من تحت رجليه ويحرمونه من الخلافة .

(حيثيات السقيفة ودلالاتها)

والآن نأتي الى دراسة حيثيات السقيفة ابتداءا من اسراع الانصار الى اجتماع السقيفة ، الى اخبار عمر بذلك الاجتماع ، الى طبيعة الحوار الذي جرى بين المهاجرين والانصار ، الى مبايعة ابي بكر بالخلافة ، واخيرا الى طريقة اعتراض علي على ذلك الاجتماع وذلك الاختيار وطبيعة حججه ، لنرى هل هذه الحيثيات تدل على وجود النص والبيعة ام انها تنفي ذلك وتثبت عكسها:

الحيثية الاولى : اجتماع الانصار في السقيفة:

لاخلاف بين المؤرخين ، سنة وشيعة ، ان الانصار هم الذين اجتمعوا اول الامر في السقيفة وانهم كانوا يريدون ابرام الخلافة لوحدهم بعيدا عن المهاجرين للاسباب التي ذكرناها سابقا . وهذا الاجتماع ينفي امرين في آن واحد: ينفي اولا وجود النص والبيعة ، وينفي ثانيا فكرة التآمر على علي . واليك تحليل ذلك بشيء من التفصيل:

قلنا أن عليا (χ) كان ذا شخصية قوية بين المسلمين وأنه كان من أوسط قريش نسبا وأن قريشاً كانت كما قلنا من اوسط العرب ، اي أن الذي أراد الانصار ازاحته عن الخلافة هو علي ، القوي بذاته ، القوي بعشيرته ، المنصوص عليه من الشخصية الفذة القوية : رسول الله (α)!

اذاً ، فان عليا يملك كل اسباب القوة الذاتية والموضوعية ، فكيف يستطيع احد أن يفكر مجرد تفكير في غصب حقه الذي منحه الله ورسوله اياه ؟

ان الذي يريد ان يغصب حق علي يجب عليه أن يفكر قبل كل شيء في رد فعل علي نفسه ، ثم يفكر في موقف قريش وبني هاشم ، ثم يفكر في الذين حضروا غدير خم ، وعليه ان يفكر في جميع هؤلاء في آن واحد وفي ردود افعالهم ويستعد لمواجهتهم جميعا!

هل يَقْدر احد على الاقدام على مثل هذا الامر مع وجود كل هذه العقبات امامه ، واحتمال وقوعه في نزاعات شديدة مع كل هذه الاطراف؟ وحتى لو أراد شخص ما ان

يجازف بمثل هذه المجازفة ، هل كان قومه سيوافقونه عليه؟ ان العرب كانوا يحسبون لمثل هذه الامور الف حساب ، فكيف لم يحسبوا لهذا الامر اي حساب؟!

وحول ابطال هذا الاجتماع لفكرة المؤامرة نقول: لو كان اجتماع السقيفة مؤامرة لنقل لنا التاريخ شيئا من تحركات المتآمرين قبل وفاة الرسول (α) ولكنه لايروي لنا الا امورا قد حصلت ارتجاليا ومن دون اي تخطيط ولم يرو لنا ما يدل على ادنى مؤامرة، اذ لو كان الامر مؤامرة لوجب ان يروي لنا التاريخ شيئا من تمهيداتهم لتلك المؤامرة مثل الاتصال بالقبائل والشخصيات المهمة سواء في المدينة او في مكة او في اية مدينة اخرى كالبحرين واليمن والطائف وغيرها كما فعل حيي بن اخطب حين أراد ان يؤلب العرب على المسلمين في غزوة الاحزاب ، فالتاريخ يروي لنا تحركات حيي بين قبائل العرب ورجالاتها بالتفصيل .اما ان يسكت التاريخ عن ذكر شيء من هذه التحركات فهذا يدل على بطلان هذه النظرية من اساسها.

هذا اولا ، وثانيا ان الشيعة يتهمون ابابكر وعمر بالتآمر ولكن من المؤكد ان هؤلاء لم يكن لهم يد في تنظيم ذلك الاجتماع وانما أُخبروا به من قِبل بعض الصحابة ولولا هؤلاء لأُبرم الامر لسعد بن عبادة ولانتهى اما بخلافة سعد او بحصول نزاعات بين المهاجرين والانصار حول الخلافة.

وهناك سؤال يطرح نفسه: ما هي مصلحة الانصار في التآمر على علي؟

ان الشيعة انفسهم يقولون ان عليا كان مكروها من قبل قريش والعرب لأنه قتل صناديدهم ، ومن المعلوم ان الانصار ليسوا من هؤلاء وانه لم يقتل منهم او من أهل المدينة احدا ، بل هو والانصار شريكان في هذه الصفة، فكلاهما فتك بالمشركين . اذن لا توجد بين علي والانصار احقاد او ثارات . ويذكر الشيعة أن بعض الانصار قالوا في السقيفة هلموا نبايع عليا ولكن لم يتابعهم على ذلك أحد ، ويروون أيضا أن الانصار قالوا لفاطمة حين كانت تطوف عليهم لطلب النصرة لعلي : لو كان ابن عمك في السقيفة لما بايعنا غيره!. فالانصار غير كارهين لعلي ولا ناكرين لفضله، ولا يتوجسون منه خوفا ولا يشكون في عدله ، لماذا إذن يجتمعون في السقيفة ويبحثون مسألة الخلافة ويظهرون تخوفهم من تفرد

المهاجرين بالامر، ويتحدثون بصيغة لا يُشم منها رائحة الانقلاب على احد أو غصب حق أحد أو نقض بيعة أحد وإنما يتحدثون عن أولويتهم بهذا الامر لأن الاسلام بسيوفهم انتصر والعرب بجهودهم دان لهذا الدين. ان عدم ذكر مسألة البيعة والوصية من قبل الانصار ، لامن قريب ولا من بعيد ، رغم محبتهم لعلي وتأييدهم له –كما يزعم الشيعة– لايدل الاّ على انتفائهما .

ومن الغريب أن الشيعة يتهمون الفائز في السقيفة بالتآمر ولا يتهمون المنظم للاجتماع الذي فوّت الفرصة على علي وأفرز عن خلافة ابي بكر !.

الحيثية الثانية : إخبار عمر باجتماع الانصار في السقيفة :

لو كان هناك نص على علي او بيعة في اعناق الناس لعلي لسارع المخبرون الى إخبار علي او احد اقربائه او مقربيه او مؤيديه بدلا من إخبار عمر لأن الامر يمسه بالدرجة الاولى اللّهم إلاّ اذا قلنا ان الانصار والمخبرين كلهم كانوا متآمرين على علي! وهذا لايقول به من يحترم عقله .اما عدم حدوث شيء من ذلك فهذا دليل آخر على عدم معرفة الناس خليفة الرسول الى ذلك الحين. وقد ذكرنا سبب اختيار المخبر لعمر لإعلامه باجتماع السقيفة واختيار عمر لأبي بكر لإخباره باجتماع السقيفة ولا أرى داعيا لإعادته ، فاننا نرى ذلك دليلا كافيا على عدم وجود نص على احد وعدم وجود بيعة في اعناق الناس لأحد ،إذ لا يُتوقع ان يعرف الناس خليفة رسول الله ثم لايخبرونه بما يدور حول الخلافة وما ينوي بعض الانصار فعله من تحويل الخلافة عن صاحبها المنصوص عليه الى غيره. فكما أن الصحابة ادركوا مخاطر استشهاد حملة القرآن في حروب الردة وهرعوا الى الخليفة ليدرك الموقف ويجمع القرآن قبل ان يستحر القتل ببقية حملة القرآن ، كذلك كان هناك من يدرك خطورة تحويل الخلافة عن صاحبها الشرعي المنصوص عليه الى غيره ممن لا توجد فيه اهلية نيابة الرسول طالما أن الامر كما يصوره الشيعة أمر ديني ويتوقف عليه مصير الاسلام والامة الاسلامية ، ولا يُعقل أن يخلو المجتمع ممن يدرك خطورة هذه المسألة في حينه ثم يأتي اناس بعد قرون يدركون خطورة مالم يدركه جميع من شهد تلك الاحداث بمن فيهم علي بن ابي طالب !.

كما أن إخبار عمر دليل كاف على مكانة ابي بكر وعمر وثقلهما في المجتمع كما ذكرنا سابقا.

الحيثية الثالثة: طبيعة الحوار الذي جرى في السقيفة بين المهاجرين والانصار:

لقد روى لنا التاريخ تفاصيل ذلك الحوار ، ماذا قال ممثل الانصار وبم اجابه المهاجرون وكيف انتهت القضية بمباية ابي بكر، فلا يذكر لنا اية اشارة الى قضية النص والبيعة وانما كان الحوار كله يدور حول من هو الاولى والاحق بخلافة الرسول ورئاسة المسلمين : المهاجرون ام الانصار ، وتفاصيل الحوار موجودة في كتب التاريخ المعتبرة تستطيع ان تعود اليها، وقد ذكرنا جزءا كبيرا منها في بداية الكتاب، ولكن يكفي ان تعرف هنا ان مسألة البيعة والنص لم تكن معروفة اصلا لأنه لا يعقل ان يجري نقاش بين طرفين متنازعين على مسألة مهمة كالخلافة والتي فيها سلب لحق طرف ثالث ولا يتم فيه الاشارة الى ذلك الطرف !. فلو كان هناك نص او بيعة لأُثيرا في السقيفة بعدما خسر الانصار القضية ، ولكن سكوتهم عنها يدل على عدم وجودهما .[1]

يقال ان بعض الانصار قالوا اذن نبايع عليا ، وهذه الرواية لم تذكر في الكتب المعتبرة ولا اظنها الاّ من تأليف الشيعة .ولو افترضنا صحة هذه الرواية جدلا لاقتضى الامر ان يذكروا مسألة النص والبيعة ويثيروها بقوة بدلا من ان يقولوا على استحياء : اذن نبايع عليا !. كان يتوجب عليهم أن يذكروا القضية على حقيقتها ويقولوا : بل نبايع من نص عليه الرسول والقرآن والذي بايعناه في غدير خم قبل ثلاثة اشهر فهو وحده صاحب الحق ولا يجوز صرفه عنه. كان الجو يقتضي مثل هذا الكلام بعدما خسر الانصار القضية لأن الصراع كان بين ابي بكر وعمر وابي عبيدة من جهة وبين الانصار من جهة اخرى ، فطبيعي عندما يخسر سعد القضية ان يسعى لأفسادها على من أفسدها عليه لا سيما اذا كانت عنده حجة قوية كالنص والبيعة .

---

[1].حتى الروايات الشيعية تتفق مع الروايات السنية في أن احدا لم يشر الى النص والوصية وانما كان نقاشهم حول من أولى وأحق بهذا الامر : المهاجرون ام الانصار.

هذا الاجراء هو ما يقتضيه العقل وتقتضيه الفطر السليمة حيث انه اذا تنازع طرفان على شيء يخص طرفا ثالثا ان يسعى الطرف الخاسر الى حرمان الطرف المنافس من ذلك الشيء ورده الى صاحبه الحقيقي ، وكان من المفروض ان يقول الانصار لاسيما سعد وقومه اذن لا ننصرف حتى نبعث وراء علي ليحضر هذا الاجتماع ويبدي رأيه فيه لأنه صاحب الحق الوحيد في هذه المسألة ، او يرسلوا خلف علي خلسة عندما أحسوا أن البساط على وشك ان يسحب من تحت ارجلهم ، وكانوا بذلك ينجحون في حرمان خصومهم من الخلافة وينصفون عليا ويكفرون عن ذنبهم وخطيئتهم ، وكان المفروض ان لا يكتفوا بالسقيفة بل يستمروا في تحركاتهم ويثيروا قضية البيعة والوصية ويتصلوا بالناس من اهل المدينة ومكة وسائر قبائل العرب ويدفعوهم الى المطالبة بالتمسك بوصية الرسول وبكتاب الله ويذهبوا الى علي ويحثوه على المطالبة بتنفيذ امر الله ووصية الرسول وان لا يسكت على هذا المنكر. أما ان يستسلموا للخصم ويبايعوا ابابكر دون اثارة اية ضجة حول حق علي وحول النص والبيعة ، فهذا إن لم يكن دليلا على عدم وجود النص والبيعة فدليل على ماذا؟

وحتى قول الانصار : بل نبايع عليا –على فرض صحته – لايخدم قضية النص والبيعة وانما يصب في قالب الاولوية لا بمقتضى النص وانما بمقتضى اعتبارات اخرى هي الاهلية والقرابة من الرسول (△).

الحيثية الرابعة : مبايعة ابي بكر:

ان ما تم في السقيفة من مداولات بين الاطراف المتنازعة وانتهائها بمبايعة ابي بكر بتلك السرعة، والتي تعتبر خياليا قياسا الى الانتخابات الاخرى يدل على عدة امور :

اولها : عدم وجود بيعة او نص.

وثانيها: مكانة ابي بكر في المجتمع حيث اجتمعت عليه الكلمة في السقيفة وخارجها بسرعة البرق.

وثالثها : نضج المجتمع النبوى .

ولاهمية هذه النقطة الاخيرة سنفصل فيها قليلا: ان ما حدث في السقيفة لم يحدث الى اليوم في أرقى المجتمعات البشرية ، فهذه امريكا وبريطانيا وفرنسا ، ام الديموقراطيات في العالم انظر كم يأخذ انتخاب الرئيس او رئيس الوزراء فيها من الوقت، وكم يحدث من اتهامات وانتقادات بين المترشحين انفسهم وبين انصارهم ، وكم تنفق من الاموال في سبيلها ، وكم ينشغل الناس بها ؟! ولكن بيعة ابي بكر تتم في ساعات ثم تهدأ الامور ، وفي اليوم الثاني يجتمع الناس في المسجد للبيعة العامة ثم يُبدأ بعدها مباشرة بمراسيم دفن الرسول ثم بوقت قصير يتم إنفاذ الجيش الذي أمر الرسول الكريم بإنفاذه . هل تم مثل هذا في أي مجتمع متحضر أو اية دولة راقية؟

ألا يحق للرسول (α)، بعد هذا الذي رأيناه، أن يترك امته دون أن يعين لها خليفة طالما هي قادرة على حسم مثل هذه القضية في سويعات وتجتمع كلمتها على أبرز شخصية فيها ، الشخصية التي صحبت النبي في الهجرة الى المدينة ؟ ألم يكن استصحاب الرسول لأبي بكر في الهجرة ودخول ابي بكر الى المدينة برفقة النبي ايحاءاً من النبي واشعارا للناس بأن هذا هو نائبه فيما بعد؟

نعم ظهرت هنا وهناك بعض الاعتراضات من قبل بعض الوجهاء ، بعضها جاءت من اناس اعترضوا على الامر لعدم اشعارهم بالاجتماع ولإبرام الأمر بعيدا عنهم كالزبير بن العوام وعلي وبعضهم اعترض من منطلقات عشائرية كأبي سفيان الذي لم يستسغ تولية رجل من أضعف قبائل قريش الذين لم يسبق لهم ان تولوا الزعامة في قريش ، وبعضها جاءت من اناس رأوا عليا أولى بالخلافة من ابي بكر وهؤلاء باعتراف الشيعة قليلون ولا يتجاوز عددهم عدد اصابع اليدين ماعدا بعض بني هاشم الذين نظروا الى المسألة على انها إرث يجب ان يتوارثوه ، ولكن كل هذه الاعتراضات سرعان ما زالت ولم تترك على أرض الواقع أثرا يذكر . أما مايزعمه الشيعة من أن افتراق الامة جاء من وراء السقيفة فهذا بهتان وجهل بالتاريخ وتحميله مالا يحتمل بل كل الفتن نشأت فيما بعد في أواخر أيام عثمان ، من الاعتراض عليه اولا ثم قتله ثانيا ، وهي من افرازات تلك الفترة لا من افرازات السقيفة، وهي من دسائس عبد الله بن سبأ اليهودي.

ان الجهل والتعصب الاعمى هما اللذان يمنعان الناس من رؤية الحقيقة كما هي ، وإلاّ هل رأى الناس أو سمعوا بقوم ، بله امة كبيرة ، يموت زعيمها ثم في ساعات قليلة يحسم الامر وينتهي بانتخاب رئيس لها ؟ وليس هذا فحسب بل يجهز جيشا في غضون أيام لغزو عدو قوي يهيمن على نصف العالم ؟.

هل هناك مجتمع بلغ من النضج ما بلغه هذا المجتمع الذي رباه الرسول بيديه ، وبمنهج أنزله اليه خالقه عن طريق ملَك ظل على اتصال به الى ان فارق الدنيا؟ ألا يحق لهذا النبي أن يترك مثل هذه الامة دون أن يعين لها إماما ؟ والذي إن فعله لأصبح ذلك تشريعا ولأصبح التعيين الطريقة الوحيدة ، فيما بعد، لنصب الحكام ولما جاز غيرها من الطرق ، ولسُلب المسلمون حق اختيار حكامهم ولعُد ذلك انتقاصا لهم واتهاما لهم بالقصور وعدم الاهلية ، ولما استطاع الشيعة اليوم من الذهاب الى صناديق الاقتراع للتصويت لمن يرغبون في حكمه !

هل ترك الرسول امته دون ان يعين لهم اماما؟:

إن الذين يقولون بأن نصب الامام واجب على الله وأنه لطف الهي يتمتعون بقصور شديد في النظر، لأنه من غير المعقول أن يقتصر اللطف الالهي على جيل دون جيل ! هل يحابي الله بعض البشر على حساب البعض الآخر ؟ وهل يفضل جيلا على جيل ؟ وهل هذا من اللطف أن يخص الله الجيل الذي رباه الرسول بيديه على منهج القرآن بتعيين إمام له ثم تأتي الاجيال الاخرى ولا تجد من ينصب لها اماما؟

إن الذين قالوا باللطف الالهي في تعيين الائمة ثم حصروا عددهم في اثني عشر اماما كانوا يظنون ان الارض لن تعمر اكثر من مائتين وستين عاما والاّ أين الامام منذ الف ومائتي عام؟

ثم هل اقتصر اللطف الالهي على المسلمين ام شمل الامم السابقة ايضا ؟ فان كان قد شملهم هذا اللطف فاين فكرة الامامة في تراث الامم السابقة؟ سلمنا مع الشيعة جدلا بان لكل نبي وصياً وماذا بعد ان يموت الوصي ؟ هل يحكم ابناؤه من بعده؟

ان الشخص الوحيد الذي عرف في الفكر الديني بأنه كان وصيا لنبي هو يوشع بن نون ، وصي موسى، ولكن التاريخ لا يروى لنا بأن ابناءه هم الذين تولوا الامامة من بعده .

بناءا عليه نسأل : هل يجوز أن يترك النبي امته دون ان يعين لهم خليفة؟ نقول: نعم وهذا هو الاصل لأن عمر الدنيا اوسع واطول من عمر إمام واحد او اثني عشر إماما ، وأنه ان لم يجز له أن يترك جيلا رباه هو بنفسه على الاسلام بدون امام فكيف يجوز له أن يترك بقية الاجيال القادمة التي لاتجد من يربيها مثله من دون إمام ؟

هل جاء الرسول الى جيله فحسب أم الى البشرية جمعاء والى يوم القيامة ؟ لو كان الرسول مرسلا الى جيله فقط ولم يكن خاتم الانبياء لربما جاز في حقه أن نسأل كيف ترك امته بدون خليفة ؟ أما وهو رسول الله الى الناس جميعا الى قيام الساعة فكيف يحدد عدد الائمة باثني عشر ويترك بقية الاجيال بلا امام؟ هل يكفي هذا العدد لآلاف السنين؟

ان القول بضرورة تنصيب الائمة من قبل الله يتعارض مع عالمية الاسلام وخاتميته ، إذ لو كان نصب الامام من اختصاص الله او الرسول لأصبح ذلك تشريعا ولما جاز للمسلمين الخروج عنه واتباع اساليب اخرى لتنصيب الائمة والرؤساء وعُدّ ذلك الاسلوب الوحيد لتنصيب الحكام ، ولصودر حق الامة في اختيار أئمتها ، وعُد ذلك تكريسا للاستبداد لأنه لم يكن حينئذ في وسع الامة تغيير ائمتها ولا مراقبتهم ولا محاسبتهم ، ولما صلح الاسلام لهذا العصر الذي اصبح فيه العالم الاسلامي أقطاراً و دولاً إذ لا بد لكل عصر –على رأي الشيعة – من امام واحد منصوب من الله ، ففي أي قطر يكون ذلك الامام ؟

ان القول بضرورة تنصيب الائمة من الله انتقاص من شأن البشر واتهامهم بالقصور العقلي وفقدان الاهلية حيث يعجزون عن اختيار حكامهم ولا يحق لهم مراقبتهم ومحاسبتهم .

من هنا نقول أن طبيعة الاسلام ترفض فكرة تنصيب الائمة من الله لأنها غير واقعية ، وغير قابلة للتطبيق ، ولا تصلح لمثل هذه الازمنة ، و منافية لروح الاسلام الذي كرم الانسان واحترم عقله.

نعم يجب أن يترك الرسول لامته منهجا يسيرون عليه ، يختارون على اساسه ائمتهم ، ثم يحكم ائمتهم بذلك المنهج الذي تركه لهم . وهذا هو احد مقتضيات ختم النبوة الذي سنتحدث عنه فيما بعد وقد فعل ذلك وقال تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا : كتاب الله وسنتي. نعم كتاب الله الخالد وسنته الخالدة ، لا أهل بيته الفانون الذين لم تدم حياتهم سوى مائتين وستين سنة!

ايهما أهم : القرآن ام الامامة:

ثم هناك سؤال مهم جدا لم يطرأ لحد الآن على الاذهان ولم يُطرح على الافهام ، لامن الشيعة ولا من السنة –حسب علمي– وهو : أيهما أهم : القرآن أم الامامة؟ لاأظن ان هناك من يجرؤ على القول بأن الامامة أهم من القرآن ، فإذا ساغ للنبي أن يترك امته دون أن يجمع لها قرآنها الذي انزله الله اليه ، الذي هو دستور حياتها فكيف لا يسوغ له أن يتركهم بلا امام ؟ ايهما اخطر شأنا: ترك الامة دون ان يعين لهم اماما أم دون أن يوصيهم بجمع هذا القرآن بله جمعه لهم؟

لماذا لاتكون الوصية الاخيرة للرسول لامته أن يهتموا بجمع القرآن وهو اهم بكثير من تعيين الامام والذي حال دون بيانها –على زعم الشيعة– قول عمر : حسبنا كتاب الله فعلم الرسول ان كتاب الله لن يضيع فلم تبق حاجة بعدها لكتابة الوصية!

اذا كان الله قد أوكل الى هذه الامة جمع القرآن وهو دستور حياتها ومن اجَلِّ امور دينها، فكيف لا يُوكِل اليها نصب الامام وهو من امور دنياها؟

هناك سؤال مهم : لماذا لم يَشْرَع النبي بجمع القرآن في حياته واوكل ذلك الى امته ؟ بل وحتى لم يأمرهم ولم يوصهم صراحة بجمعه في كتاب واحد ، نعم أوصى بحفظه في الصدور وبتعلمه وتعليمه وتلاوته والاهتمام به ولكنه لم يجمعه ولم يأمر بجمعه من بعده في مصحف واحد، لأنه علم بأن امته ستجمعه وستهتم به لذا أراد الله أن يخص هذا الجيل بهذا

الشرف، فإن كان للرسول الذي اصطفاه الله من بين خلقه أن ينال شرف نزول القرآن عليه فلتنل امته التي اصطفاها الله لصحبة نبيه شرف جمعه وتدوينه ، ويختلفوا بذلك عن الامم السابقة الذين استحفظهم الله كتب انبيائهم فلم يرعوها حق رعايتها ولم يحفظوها، وليباهي الرسول بقية الانبياء بامته التي حفظت بعده كتابه وتعاليمه.

نعم لقد اثبتت هذه الامة التي رباها الرسول بالقرآن نضجها وذلك باجتماعها فور وفاة الرسول على أفضلها و بمسارعتها الى جمع كتاب ربها ثم الشروع في نشر نور ذلك الكتاب في العالم . فهل مثل هذه الامة تحتاج الى أن يُعيَّن لها قيّما ؟ ان كان هذا الجيل قاصرا ولا يقدر على اختيار امامها فعلى بقية الاجيال وعلى البشرية وعلى العقل الانساني السلام !

ان الذي حدث في السقيفة هو غاية النضج ، وحري بالبشرية أن تقتدي بهم ، فإن ابابكر وعمر غلبا سعدا في عقر داره وبين انصاره والذي كان قاب قوسين أو أدنى من المبايعة له لا بشيء الاّ بقوة منطقهم وبقوة ايمان الانصار وسرعة انصياعهم للحق وتجردهم عن الهوى وعن حظوظ النفس. فلو كان الانصار ممن تغلبهم العصبية القبلية او الوطنية لما استبدلوا بسعد بن عبادة أحدا ولكنه الاخلاص للدين والتجرد عن الهوى هما اللذان رجحا كفة ابي بكر وكان هذا واضحا في كلام بشير بن سعد بأننا ما جاهدنا لننال به حظوظ الدنيا ولا خلافة نبينا وانما جاهدنا لإرضاء ربنا ولرفع كلمته ونشر دينه .

الحيثية الخامسة :

والحيثية الخامسة هي طريقة اعتراض علي على مبايعة ابي بكر ، ففيها هي الاخرى دليلٌ كافٍ على عدم وجود نص او بيعة ، فلننظر كيف:

بعض المؤرخين – لاسيما الشيعة منهم– يروون ان عليا حين سمع بخبر السقيفة ومبايعة ابي بكر واستمع الى حجج الاطراف المتنازعة قال تعقيبا على احتجاج المهاجرين واستدلالهم على الانصار بقرابتهم لرسول الله وكونهم من قومه : لقد ذكروا الشجر ونسوا الثمر! اي اذا كانوا هم من نفس شجرة الرسول فنحن من ثمار تلك الشجرة ، اي نحن اقرب الى رسول الله منهم ، وكان الاولى بهم ان كانت هذه حجتهم في نيل الخلافة ان

يسلموها إلينا لأناّ اهل بيت النبي ، ونحن أولى بوراثة رسول الله منهم! هذه الرواية حتى لو كانت صحيحة فهي تدل على عدم وجود نص او بيعة لأنه لو كان هناك نص او بيعة لقال علي : ولكن القرآن الكريم والرسول الامين (α) قد حسما هذه المسألة ولم يتركا مجالا للاجتهاد! لا ان ينهج نفس منهج المهاجرين في الاستدلال ويذكر قرابته من رسول الله (α) .

لماذا ابتلع علي هذه الجرعة المُرّة بهذه السهولة ؟ لماذا لم يجمع الناس في المسجد او في اي مكان آخر ويذكِّرهم بالنصوص الواردة بحقه وببيعة يوم الغدير؟ لماذا لم يذهب الى سعد بن عبادة ليعاتبهم ويوبخهم على عملهم ذلك ، والذي ادى الى تفويت الفرصة عليه؟ لماذا لم يذهب الى مكة او يبعث بالرسل الى المدن والقبائل ؟ ما معنى هذا الاستسلام السريع للامر ؟ هل كان جبانا وخوارا الى هذا الحد؟ ام كان ضعيفا ؟

لايجد الشيعة جوابا على هذه الاسئلة الاّ القول بأن عليا كان مكروها من قبل قريش لأنه قتل صناديدهم ! وهذا يكذبه التاريخ والعقل والمنطق واقوال ومواقف علي واهل بيته كما قلنا سابقا . ان اكبر قبيلتين من قبائل قريش أبدوا مساندتهم لعلي وهما بنو هاشم المتمثل بالعباس وبنو امية المتمثل بابي سفيان . اما الانصار ولا سيما الخزرج كانوا سيقفون حتما الى جانبه انتقاما لزعيمهم سعد بن عبادة الذي خسر في السقيفة وعدّ ذلك اهانة له!.

اذا كان قول الشيعة صحيحا في شأن النص والبيعة لاستطعنا القول اذاً بأن التاريخ لم يشهد أضيع لحقه من علي ولا اخمل منه في المطالبة به ! وليس حقه هو فحسب بل حق الاسلام والمسلمين ! فلوكان الامر شيئا من امور الدنيا او شيئا يخصه هو لأُعذر في تهاونه في المطالبة به ، امّا وأن الامر أمر ديني و يتعلق بمصير الامة والدين اللذين تركهما الرسول امانة في عنقه بصفته اماما معينا من الله ، فما كان يحق له ان يسكت عن المطالبة بها بتلك السهولة. ان عليا لم يفعل شيئا ولم يحرك ساكنا حتى نرى حجم ردود افعال المخالفين كي نقول مع الشيعة انه سكت عنها حرصاً على مصير الاسلام والمسلمين وحفاظاً على وحدة الامة !

ان ما يقوله الشيعة من ان عليا سكت على ذلك حرصا على الاسلام تبرير واه جدا لأن الامامة في اعتقاد الشيعة ركن من اركان الدين وان اكبر مصيبة اصابت الامة الاسلامية في نظر الشيعة هي غصب الخلافة عن علي وصرفها الى غيره! اذن أي فتنة كان يخشاها علي لو طالب بحقه ووقف في وجه الغاصبين اكبر من فتنة اغتصاب الخلافة وتغيير الدين؟ والمشكلة انه لم يفعل شيئا حتى نُسلِّم مع الشيعة بانه خاف الفتنة ! انه لم يختبر الناس حتى يعلم ردود افعالهم ومواقفهم ، وانما كل ما فعله هو معاتبة ابي بكر على ابرام الامر دون علمه وانه احتج عليهم بالمنطق الذي اتبعوه في اثبات احقيتهم بالخلافة ! أما مقاطعته لابي بكر بعد ذلك فلم يكن للخلافة كما سنبينه فيما بعد وانما كان لحرمان فاطمة من ارض فدك او لانشغاله بتمريضها! أهذا هو موقف من يعتقد انه صاحب الحق وانه منصوص عليه من الله ورسوله وان الامر تكليف رباني وليس اجتهادا بشريا؟.

ايهما اهم : الخلافة ام فدك ؟ (فاطمة اكثر تمسكا بحقها من علي):

ان كان ما يقوله الشيعة او حتى بعض الروايات السنية صحيحا من ان فاطمة قاطعت ابا بكر بسبب حرمانها من نصيبها من فدك فهذا يعني انها كانت احرص على حقها في ارض فدك من علي على حقه في الخلافة التي تعد من اوجب حقوق الاسلام والمسلمين عليه ! ويبدو من مبايعة علي لأبي بكر بعد موت فاطمة ان موقفه كان تابعا لموقف فاطمة وان امتناعه عن مبايعته او مقاطعته اياه كان بسبب حرمان فاطمة من فدك لا بسبب غصب الخلافة منه وان ارض فدك كانت اهم عند فاطمة من الخلافة عند علي! .

ولاهمية موقف فاطمة نتحدث عنه بشيء من التفصيل:

نقول للشيعة: انكم تقولون ان الامامة امر عظيم وانها ركن من اركان الدين وانها كالنبوة شأن الهي ، اي ان الامام كالنبي يعينه الله ولا يختاره الناس ! اذن فان جرم الذين اغتصبوها من الامام المعين كبير جدا ويتناسب مع حجم الامامة ، وهذا نؤيدكم فيه ان كانت الامامة كما تقولون ، ولكن ما حكم الامام الذي اغتصبت منه الامامة اذا تقاعس عن المطالبة بها ولم يبذل جهدا في سبيل منع اغتصابها منه أو في سبيل استردادها من الغاصبين ؟ أليس جرمه بحجم جرم من اغتصبت الخلافة منه؟

ان ما فعله علي بعد تولي ابي بكر الخلافة لا يتفق بحال من الاحوال وحجم القضية، بل يبدو ان الامامة كانت عنده اهون من ارض فدك عند فاطمة ! ففاطمة رضي الله عنها قاطعت ابابكر بسبب حرمانها من ارض كانت ترى أن رسول الله أقطعها إيّاها ولم تكلم ابابكر بسببها الى أن ماتت ، بينما علي لم يفعل ذلك ، وانما كان تابعا لفاطمة فهو الآخر قاطعهم الى ان ماتت فاطمة ، وبعد موتها صالحهم ! اي ان مقاطعته لهم كانت لأجل فاطمة بسبب حرمانها من ارض فدك لا بسبب غصب الخلافة منه ! فبدلا من ان تقاطعهم فاطمة بسبب غصب الخلافة من علي نراها تغضب بسبب حرمانها من ارض فدك ولم تذكر قضية الخلافة لا من قريب ولا من بعيد ، وكان الاولى بها ان تغضب لله بسبب غصب الخلافة عن علي اكثر من غضبها لنفسها بسبب غصب ارض فدك منها!. والادهى من ذلك هو غضب علي لغضبها، فبدلا من ان تغضب هي لعلي نرى عليا هو الذي يغضب لها، ويقاطع ابا بكر من اجلها ، اي من اجل ارض فدك لا من اجل الخلافة !!!!

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : أيهما اعظم واهم عند فاطمة وعلي : الخلافة ام فدك؟

وايهما اكبر اثما و جرما عندهما : غصب الخلافة التي هي امر ديني–على زعم الشيعة– وتتوقف عليه مصالح الاسلام والمسلمين ام ارض فدك التي هي شأن دنيوي وتخص فاطمة فقط؟

لاشك ان الامامة اهم واعظم ليس من فدك وحدها بل ومن الحجاز وما فيها ، بل ومن الدنيا وما فيها ان كانت كما يقول الشيعة امرا الهيا وركنا من اركان الدين ، اذن كيف تُسوّغون غضب فاطمة لغصب فدك وعدم غضبها لغصب الخلافة؟ بل واكثر من ذلك متابعة علي لها بسبب غصب فدك منها وعدم متابعتها هي لعلي بسبب غصب الخلافة منه! ماهي قيمة ارض فدك قياساً الى الامامة حتى يغضبا لفدك ولا يغضبا للخلافة المغتصبة؟ هل يعقل ان تكون ارض فدك اهم عند فاطمة ، بنت الرسول وسيدة نساء العالمين ، من الامامة ؟ هل يعقل ان يكون امر دنيوي تافه اهم عند فاطمة من امر ديني عظيم؟ اللهم هذا شيء لايقول به من عرف الاسلام وعرف فاطمة ومن حكّم عقلَه ودينَه على هواه .

من هذا يتبين ان غضب فاطمة لفدك ومتابعة علي لها يدل دلالة واضحة وقاطعة على عدم كون الامامة امراَ الهيا وعلى عدم وجود نص ووصية في حق علي وعدم وجود بيعة في اعناق الناس له والاّ لكان غضب فاطمة بسببها لا بسبب فدك وهي من هي في مكانتها ودينها ..

مرة اخرى نتساءل: ألا يعد سكوت علي على غصب الخلافة خذلانا للحق وتضييعا للامانة التي أُلقيت على عاتقه والمهمة التي أُوكلت اليه ؟ أهكذا تصان الامانة و يكون الدفاع عن الحق ؟ أهكذا يكون تحمل المسؤولية ؟

ما اضيعك لحقك وحق الاسلام والمسلمين يا علي لو صح ما يقوله الشيعة في الامامة والخلافة!!!

اذا كان ما يقوله الشيعة في الامامة والخلافة حقا فعلي هو اول المضيعين لهذا الحق واول المفرطين فيه واكثر المتهاونين في حق الاسلام والمسلمين!

كان من المفروض ان يقيم الدنيا ولا يقعدها و يتحرك يمينا وشمالا ولا يترك وسيلة الاّ اتبعها، كأن يتصل بالناس ويذكّرهم بالنص والبيعة ويطلب مناصرتهم له حتى اذا تأكد من خذلان الناس له ووقوفهم الى جانب ابي بكر وعمر ورأى تماوت ابي بكر وعمر على الخلافة واستعدادهم للتضحية بمصير الاسلام والمسلمين من اجلها لجأ الى الله واعتذر اليه بعدم القدرة على تحقيق امره وحق له بعد ذلك ان يلزم بيته ويمتنع عن مبايعتهم فيكون بذلك قد اقام الحجة على الناس وبرّأ ذمته امام الله . اما ان يسكت ولا يحرك ساكنا ثم يبايع ابابكر ومن بعده عمر ثم عثمان فهذا إما تهاون منه عن المطالبة بالحق و خذلان منه للحق أو انه دليل على عدم وجود نص وبيعة والاّ لاستحق اللوم من الله ومن المسلمين الى يوم القيامة!.

لو كان ما يقوله الشيعة في الامامة صحيحا لحق لي ان اقول بأني ما رأيت صاحب حق سكت عن حقه كعلي ، ولا صاحب حق اضيع لحقه من علي ! واي حق؟ حق اوجبه الله له واكّده رسوله بأخذ البيعة له في غدير خم!

ان الناس لايسكتون عن حقوق اوجبها لهم آباؤهم او قومهم ويطالبون بها اذا اغتصبت . اما علي فانه يسكت عن حق اوجبه له الله ورسوله. فأي اضاعة بعد هذه الاضاعة واي تفريط بعد هذا التفريط؟!

ان سعد بن عبادة رشحه بعض افراد قومه للخلافة ، وحين غلبه ابو بكر عليها وحرمه منها غضب عليهم وظل مقاطعا لهم الى أن مات ، وعلي ينتدبه الله للخلافة ويأخذ رسول الله البيعة له ثم يُغتصب منه فلا يقاطع ولايراجع بشأنها ، بل يصالح و يبايع وفوق ذلك يؤازر ويصاهر !

خمسة وعشرون عاماً تغتصب منه الخلافة فلا يراجع بشأنها احدا ولا يذكّر بها بشرا ! مامعنى ان يسكت كل هذه المدة الطويلة عن المطالبة بهذا الحق؟ ألم يكن الأجدر به ان يطالب به في كل مناسبة ؟ لو أن غيره اغتُصب حقُّه لاغتنم كل فرصة بالتذكير به والمطالبة به !. كان المفروض ان يذهب الى ابي بكر في مرضه ويذكره بوصية رسول الله (α) ويذكره ببيعة الغدير ويخوفه سخط الله وسخط رسوله ويذكِّره ساعة لقائه رسول الله على هذه الحالة ويحثه على رد الامانة الى اهلها ليذهب الى الله نقي الثوب وقد برّأ ذمته . أما انه لم يفعل ذلك فليس لنا تفسير له الا عدم وجود نص بحقه ، ولابيعة في اعناق الناس له والا لعد متهاونا و مضيعا لحقه وحق الاسلام!.

وان كان فاته الذهاب الى ابي بكر في مرضه للمطالبة بحقه فما الذي منعه من الذهاب الى عمر عندما تولى الامر بعد ابي بكر فيطالبه برد الحق الى اهله ؟ وان كان يخشى من مطالبته بحقه في مقتبل خلافة عمر فما الذي منعه من المطالبة به حين طُعِن عمر واصبح على ابواب الآخرة ولم يبق له طمع في الدنيا وقد علم انه لا يريد أن يورثها احدا من اولاده او ذويه ؟ لماذا لم يذهب اليه ويذكره بالآخرة وباللحظات التي سيقف فيها بين يدي الله ، وكيف سيجيب رسول الله على اغتصابه حق علي ومخالفته لأمر الله ورسوله ؟ لماذا لم يطالبه برد الحق الى صاحبه بدلا من جعله شورى بين ستة من الصحابة احدهم هو ؟

كيف رضي علي بأن يكون احد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة؟ كيف يترك حكم الله ويرضى بحكم عمر؟ الم يحكم الله له ان يكون هو الخليفة وعمر يحكم له بان يكون

من بين الستة المرشحين للخلافة؟ لماذا لم يذكرهم بحكم الله؟ ان القول بالامامة على الطريقة الشيعية يعرض عليا الى انتقادات كثيرة وتحمله من المسؤولية مثل ما على الذين اغتصبوا حقه ! هؤلاء باغتصابهم لحقه وهو بتهاونه وسكوته على ذلك!

ثم حين جعل عمر الامر شورى في هؤلاء الستة لم يُذكِّرهم علي بالنص والبيعة ولم يخوفهم عقاب الله ولم يطلب من الاربعة الذين انسحبوا منها أن يرُدّوها الى صاحبها ويُذكِّروا عثمان بها ويثنونه عن المطالبة بها . والذين استشارهم عبد الرحمن بن عوف حول عثمان وعلي لم يقل واحد منهم ان هذا الامر قد حسمه القرآن و حسمه رسول الله في غدير خم وأن أبابكر وعمر قد خالفا القرآن والرسول و اغتصبا حق علي في الخلافة وقد آن الأوان أن تردوا اليه حقه.

كان يفترض ان تبقى المسألة حية في ذهن علي على الدوام ويُذكّر بها في كل فرصة سنحت له كما هي حية في ذهن الشيعة ويذكرونها دوما ، لا ان يذهل عنها خمسةً وعشرين عاما لا يذكّر بها احدا ولا يطالب بها منذ اجتماع السقيفة الى ان استشهد عثمان ثم يأتيه الناس ليردوا اليه حقه المغتصب فيقول اذهبوا والتمسوا غيري فاني لكم وزيرا خير لكم مني اميرا !

ان الشيعة على ما يبدو اكثر تفهما لقضيتهم من علي واكثر احساسا منه بأهميتها ، لذلك تراهم يبقونها حية ماثلة امام اعينهم في كل لحظة وكل مناسبة ولا يذهلون عنها ساعة من ليل أو نهار!

(ما بعد السقيفة)

هناك امور اخرى تتعلق بالسقيفة تنقض فكرة النص والبيعة، منها:

1. أصداء اجتماع السقيفة في المدينة وخارجها:

ان عملا مثل هذا ، أي اجتماع الصحابة في السقيفة ونقض عهد النبي و بيعة الامامة وترك النصوص وتحويل الامامة من امامة الهية وامر ديني الى اختيار الناس ، حدث كبير وامر جلل لابد أن يكون له صدى قوي ومدوّي في المجتمع وأن يُحدث ضجة كبيرة بين الناس

يتحدث به الركبان ، ولكن الذي حصل هو عكس ذلك تماما ، في اليوم الثاني من السقيفة يجلس ابو بكر في المسجد ويتوافد عليه الناس من كل صوب يبايعونه ولا يمتنع سوى نفر قليل لاعتبارات غير دينية ، منهم من يرى الامر من منطلقات قبلية كأبي سفيان ومنهم من يمتنع لعدم اعلامه بالامر كطلحة والزبير ومنهم من يرى نفسه احق بها من ابي بكر لقرابته من الرسول لا لكونه وصي رسول الله او خليفته المعين من الله كعلي رضي الله عنهم اجمعين[1] . وهؤلاء كلهم سرعان ما بايعوا وسكتوا وخفتت اصواتهم وشاركوا في الحياة العامة كغيرهم من المسلمين إلاّ سعدا فإن بعض الروايات تقول انه امتنع عن البيعة حتى مات وأنه لم يشاركهم في نشاطاتهم اليومية . أفمثل هذا الحدث يمر هكذا بسلام ولا يثيره أحد ولا يوظفه أحد لا من المنافقين ولا من المرتدين ولا من مانعي الزكاة ولا حتى من أصحاب الشأن؟ يعني لا المخلصون لهذا الدين أثاروه ولا المتربصون به ! ألا يدل هذا على أن الامر ليس بالشكل الذي يصوره الشيعة وأنه لم يكن هناك لا نص على أحد ولا وصية بحق أحد ولا بيعة في أعناق الناس لأحد وأن الاجراء الذي تم في السقيفة لم يكن لا خروجا على الدين ولا نقضا للبيعة ولا ردا للنصوص ، وإنما كان اجراءا طبيعيا لذا سارع الناس الى مبايعة ابي بكر في اليوم الثاني من السقيفة وعادت الامور الى مجاريها ورجعت الحياة طبيعية الاّ ما كان من فقد النبي △ وأثره في نفوس الناس حيث ظل الناس يتذكرونه الى أمد بعيد ويتأسون على فقد نبيهم ويجهشون في البكاء كلما تذكروا تلك الايام التي قضوها مع سيد الخلق وفي رحابه.

وليس فقط اختيار ابي بكر كان امرا طبيعيا بل حتى اجتماع الانصار في السقيفة لم يلق من المسلمين ذلك الاعتراض ولم يعيرهم به احد لأنهم يعلمون أن سادة القوم يتحتم عليهم الاسراع الى اختيار رئيس لهم بعد رحيل زعيمهم . فلو كان ما فعله الصحابة منافياً للدين وتركاً للنصوص ونقضاً للبيعة ، أو حتى منافيا للعرف ، للقي الذين نظموه والذين حضروه

[1]. هناك روايات كثيرة تقول ان عليا كان يرى ابا بكر احق بها من غيره.

لوما شديدا وعتبا شديدا من الناس ولكن لم يحصل شيء من ذلك البتة مما يدل على أن ذلك الاجراء كان أمرا طبيعياولم يكن منافيا للدين ولا خروجا عليه ، ولا منافيا للعرف .

إن امورا هي أقل شأنا بكثير من نقض العهد ونكث البيعة ورد النصوص وتبديل شرع الله من شأنها أن تحدث ضجة كبيرة في المجتمع تزلزل اركانه وتهدد كيانه ، فما بال أمر خطير كالذي حصل في السقيفة لا يحدث ضجة في المجتمع ولا تكاد تسمع له صدى ! ان استخلاف معاوية ليزيد لم يكن أعظم مما حصل في السقيفة لو صح ما يدعيه الشيعة من وجود النص والبيعة ومن كون الامامة أمرا دينيا ومع ذلك عارضه كبار الصحابة آنذاك وثار الحسين ◀ في وجهه وضحى بحياته وحياة أهله من أجله ولم تخمد الثورات حتى أطاحت في النهاية بدولة بني امية !

إن عدم حدوث ضجة بعد السقيفة وعدم ارتفاع أصوات المعارضة من منطلق ديني يؤكد على عدم كون الامامة امرا إلهيا وعلى عدم وجود نص أو بيعة في حق أحد.وهذا- عدم احداث السقيفة لأي ضجة- لا أقوله أنا بل يؤكده التاريخ والروايات فحتى الرواة الشيعة ليس عندهم ما يدل على أن ما جرى في السقيفة كان له صدى سيئ بين الناس وحتى لو اتهم الشيعة المؤرخين بكتم الحقائق فلا يملكون اتهام رواة الشيعة ومؤرخيهم بذلك فليخرجوا لنا ما عندهم من روايات وأخبار حول ما أحدثه ترك النص والوصية ونقض العهد من ضجة بين الناس لا سيما أهل البيت ومؤيدي علي ◀ .

هذا محمد رضا المظفر كتب كتابا مستقلا عن السقيفة وأفرغ وسعه لأثبات صحة وجهة نظر الشيعة ولكنه لم يهتد الى ما يسعفه في هذا المجال مما اضطره الى اتهام الصحابة بالانقلاب على الاعقاب والانصار بالضعف والاستكانة ولو وجد ما يسعفه لما بخل به ولأقام الدنيا عليه ،ولكن هيهات ! لا هو ولا غيره لن يجدوا ما يؤيد وجهة نظرهم .

2. موقف علي من سعد بن عبادة وابنه قيس:

عرفنا فيما مضى ان الذي دعا الى اجتماع السقيفة هو سعد بن عبادة الخزرجي ، وانه كان يومذاك مريضا لا يقدر على الكلام ، فكان يتكلم بصوت خافت ويردد ابنه قيس كلامَه ليُسمعه للناس . اي ان الذي تولى كبر المؤامرة ان كانت هناك مؤامرة هو سعد بن عبادة ثم

ولده قيس ، فلننظر كيف واجه علي سعدا وولده ، وكيف عاملهم على صنيعهم هذا وما هو الموقف الذي اتخذه منهما.

ان العاقل والمنصف لا يحتاج الى ان نثبت له اهمية ما فعله سعد وولده قيس وعظم الجرم الذي اقترفاه في حق الاسلام والمسلمين وفي حق علي بن ابي طالب ان كان مايقوله الشيعة في الامامة حقا، لذلك فإن اول ما يتبادر الى الذهن بداهة هو ان يتخذ علي موقفا صارما منهما ويُحمِّلهما مسؤولية ما حدث لأنهما فوتا عليه وعلى المسلمين ذلك الامر وتحملا وزر ما حل بالمسلمين من فتن ومصائب (حسب زعم الشيعة) ، ولكن الذي حصل هو عكس ذلك تماما فان قيسا كان من اخلص اتباع علي وموضع ثقته ومن كبار قادته! أهكذا يكون الموقف ممن تسبب في تلك المصيبة وجر على المسلمين ذلك البلاء (كما يعتقد الشيعة) ؟ . والغريب انه لايوجد في التاريخ اية اشارة الى معاتبة علي لسعد او ابنه على ما فعلاه ولا يذكر ان سعدا او ابنه قيسا اعتذرا لعلي عما فعلاه وارتكباه في حقه، او ما تسبباه للمسلمين من مصائب، كذلك لا توجد اشارة واحدة الى اظهار قيس او والده الندامةَ على ما فعلاه في ذلك اليوم. وليس هذا فحسب بل ان بعض الروايات تقول بان بعض الاصوات علت في السقيفة تنادي بمبايعة علي وليس فيها صوت سعد او قيس . واكثر من ذلك فان سعدا ظل ممتنعا عن مبايعة ابي بكر وعمر الى ان مات . اي انه ظل غاضبا لنفسه ولو كان يعلم ان الخلافة هي من حق علي لبادر الى الدعوة الى مبايعة علي تكفيرا عن خطيئته اولاً وتفويتاً للفرصة على ابي بكر وعمر ثانيا ، ولكنه لم يفعل شيئا لامن هذا ولا من ذاك ، لاهو ولا ولده قيس!.

ألا يدل هذا على أن الامر ليس كما يفهمه الشيعة أو كما يدّعونه وانما هو كما يفهمه اهل السنة وهو عدم وجود نص على احد ولا بيعة في اعناق الناس لأحد .

لو كان الامر كما يقوله الشيعة : ألم يكن واجبا على علي أن يوبخ سعدا وابنه على ما فعلاه في ذلك اليوم وما تحملاه من الاثم ؟ الم يكن واجبا عليه ان يظل مقاطعا لهما طيلة حياته كما فعلت فاطمة مع ابي بكر عندما رفض ان يعطيها ارض فدك؟

ان الرسول (α) وهو رسول الله طلب من قاتل عمه حمزة، الوحشي، بعد ان قبل منه اسلامه ان لايريه وجهه ، علماً انه قتله في جاهليته وان الاسلام يجب ما قبله ، فظل وحشي يقف بعيدا عن رسول الله ينظر اليه من بعيد ولا يقابله وجها لوجه الى ان توفي رسول الله (α). فهل كان غصب الخلافة عند علي اهون من قتل حمزة ؟ وهل كان جرم سعد وابنه قيس اقل من جرم وحشي؟ علما ان وحشيا قد اسلم فيما بعد وندم على فعلته تلك واقسم ان يعوضه فوفقه الله لقتل مسيلمة الكذاب فهدأت نفسه وطاب خاطره وقال : ان كنت قد قتلت بهذه الحربة خير الناس ، فقد قتلت بها اليوم شر الناس! ولكن لم يُسمع من سعد اومن قيس انهما اعلنا توبتهما ، أو ندما على ما فعلاه، بل كما قلت فقد ظل سعد غاضبا لنفسه الى ان مات سنة 14للهجرة.

ان موقف علي من السقيفة وممن شارك فيها وموقفه من الخلفاء الذين سبقوه ومن سعد بن عبادة وابنه قيس ومشاركته الفعالة في الحياة الاجتماعية والسياسية في زمن الخلفاء الراشدين واقواله وتصريحاته في خلافته هي المفتاح لحل اللغز ولكن الشيعة يطرحونها جانبا لأن النتيجة سوف تأتي على خلاف ما يشتهون ، ولذلك تراهم لا يعرجون عليه الا اذا اضطروا اليه ومع ذلك فهم يمرون عليه مرور الكرام ولا يتناولونه بالبحث والدراسة ويعترفون بأنه يشكل مشكلة عويصة لهم وانه من اقوى الحجج ضد ما يذهبون اليه.[1]

3. اقوال علي في خصومه بعد توليه الخلافة:

ان اقوال علي (◀) في خصومه بعد توليه الخلافة وردوده على طلحة والزبير من جهة وعلى معاوية من جهة ثانية وعلى الخوارج من جهة ثالثة فيها الجواب الشافي لمن يريد ان يصل الى الحقيقة . فان كانت اقواله ومواقفه وافعاله قبل الخلافة قابلة للتأويل ويمكن حملها على التقية فان اقواله وافعاله بعد استخلافه صريحة وبعيدة عن التقية لأن الموقف كان

[1].انظر السقيفة لمحمد رضا المظفر وشرح نهج البلاغة لميثم البحراني فكلاهما يعترف بأن اقوال ومواقف علي محرجة للشيعة ولذلك حملوها على التقية وبغير ذلك يجب ان يحكموا على مذهبهم بالبطلان .

يتطلب الصراحة والوضوح ولم يكن عامل الخوف موجودا آنذاك لأنه كان في حال القتال وماذا يتقي من اضطر الى خوض الحرب ؟

ان كانت التقية تمارس من قبل علي في عهد الخلفاء الذين سبقوه خشية حدوث الفتنة ، فإن الفتنة قد حدثت والحرب قد وقعت فما الداعي الى إخفاء الحقائق، بل ماكان اخفاؤه مفيدا في ذلك الوقت اصبح الآن اعلانه ضروريا لأنه اصبح جزءا من المعركة وسيكون له دور مهم في حسمها لصالح علي معنويا قبل حسمها عسكريا. فكما كان لمقتل عمار بن ياسر تأثير الصاعقة على جيش معاوية فإن الحقائق التي كانت عند علي من النص والبيعة وقضية يوم الخميس وبعثة اسامة كان سيكون لها وقع اشد على خصومه لو أعلنها واستنطق الشهود فيها . فإنه لو طلب الى اسامة بن زيد ان يتحدث للناس عن غرض تجهيز الرسول لجيشه (بالصيغة التي يراها الشيعة طبعا)، وطلب الى ابن عباس ان يتحدث عن رزية يوم الخميس التي كان يسميها ابن عباس رزية، وطلب الى الذين شهدوا خما ان يتحدثوا عن تلك البيعة وتذكير الناس بها وكان فيهم الكثير ممن شهدوها لكان وقعها شديدا على جيش معاوية وعلى جيش عائشة والخوارج ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك[1] . لماذا؟ نترك الجواب للشيعة ! اما نحن فنقول انه لم يفعلها لأنه لم يكن هناك لا نص ولا بيعة ! فكيف يحتج بشيء لا وجود له اصلا؟ فلو كانت هذه الامور(اي النص والبيعة) موجودة هل كان علي يبخل بها في مثل هذا الموقف؟ متى يظهرها اذاً ان لم يظهرها الآن ؟ الى اي يوم كان قد ادخر الاحتجاج بها؟ هل ادخرها ليوم القيامة؟! علما انه لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .على الشيعة ان يجيبوا على هذا السؤال!.

---

[1]. هناك رواية تقول بأن عليا ◄ طالب في الرحبة أيام خلافته الذين حضروا غدير خم أن يقوموا ويشهدوا بما سمعوه في ذلك اليوم من رسول الله △ فقام عدة رجال ، في رواية اثنا عشر رجلا وفي رواية ثلاثون رجلا الاّ ثلاثة أو أربعة لم يشهدوا فدعا عليهم علي فأصابتهم دعوته وحتى هذا ليس فيه دليل على النص والوصية والبيعة لأنه قال لهم أيكم يشهد أن رسول الله △ قال "من كنت مولاه فعلي مولاه " ولم يقل أيكم يشهد ان الناس قد بايعونى في غدير خم أو أن الرسول قد أخذ لي البيعة في ذلك اليوم .

وليس هذا فحسب ، بل الاغرب من ذلك ان اغلب ما قاله علي يصب ضد فكرة الامامة الالهية وفكرة النص والتعيين والبيعة، فغالبا ما كان يتحدث عن الشورى وبيعة المهاجرين والانصار وحجية بيعتهم ويبني صحة خلافته على مبايعة الانصار والمهاجرين له بدلا من ان يردها الى النص والبيعة التي يدعيها الشيعة في حقه. وحتى الخطبة الشقشقية التي يحتج بها الشيعة في كل مناسبة فانها هي الاخرى تنفي فكرة النص والبيعة وتتحدث عن اعتقاد علي باولويته للخلافة لقرابته من رسول الله ومكانته عنده .

ان نهج البلاغة المنسوب الى علي يحتوي على نوعين من الخطابات كلاهما ضد فكرة النص والبيعة ولكن الشيعة يخطئون في فهم كلا النوعين ! النوع الاول يتحدث عن شورى المهاجرين والانصار وشرعية من يختارونه ويبايعونه كقوله (◀) : "انه بايعني القوم الذين بايعوا ابابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد، وانما الشورى للمهاجرين والانصار، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى ، فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه، فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ."[1]

لكن الشيعة يحملون هذا النوع من الخطاب على التقية ! . والنوع الثاني يتحدث فيه علي عن اولويته واحقيته بالخلافة بناءَ على قرابته من رسول الله (△) لا على النص والبيعة، لكن الشيعة يحملون هذا القسم من الخطابات على انه اشارة الى النص وهو ليس كذلك ومثال هذا النوع هو الخطبة التي تسمى بالشقشقية .ان هذه الخطبة ليس فيها اشارة لا الى النص ولا الى بيعة غدير خم وانما تشير الى احقيته ، نعم مجرد احقيته بالخلافة وانه يرى نفسه اهلا لها بل اكثر اهلية من كل من عداه لذلك يستغرب ويتعجب من صرفها الى غيره ، وان هذه الخطبة تتعارض مع خطبه التى القاها في مدح ابي بكر وعمر وبقية الصحابة وتتعارض ايضا مع رسائله التي بعث بها الى معاوية وطلحة والزبير.

[1].نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج3 ص297 دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع -بيروت-لبنان

ان موقف علي واضح من امر الامامة والخلافة ولكن الشيعة يكابرون، وهو انه كان يرى نفسه اهلا لها، واما انه كان يرى نفسه أحق بها من غيره فإنه محل نزاع ، فالشيعة يؤكدونه ، والسنة ينفونه! وأنا لا أستبعد أن يكون ذلك اعتقاده في اول الامر ، وذلك لقربه من رسول الله أولاً، ولغزارة علمه ثانياً، ولدوره وحسن بلائه في الاسلام ثالثاً . وحُقَّ لمن كان مثل علي أن يرى نفسه اهلاً للخلافة ، أو يرى نفسه أحق بها من غيره، وربما كان ذلك بسبب خشيته في بداية الامر من عدم قدرة غيره على ادارة الامور او على الحفاظ على الاسلام كما هو، فحرصاً منه على الاسلام رغب ان يتولى الامر بنفسه ، ولكنه حين رأى ان ابابكر وعمر قد أحسنا في الحكم وحافظا على الاسلام النقي وجمعا القرآن وفتحا البلدان هدأ باله واطمأن قلبه فأخلص لهما في النصيحة وآزرهما وأيدهما واثنى عليهما ، بل واكثر من ذلك فقد تمنى ان يلقى الله بمثل عمل عمر(◀).

امور اضافية لها دلالات مهمة:

1.سكوت ابي ذر على مخالفة الصحابة لأمر الله ورسوله و نقضهم البيعة:

ذكرنا فيما مضى سكوت ابي ذر عما جرى في السقيفة وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل لأهميته للأسباب التالية:

اولا : هناك مصادر تاريخية تقول أن اباذر كان ممن امتنع عن مبايعة ابي بكر .

ثانيا: الشيعة يعدونه ضمن الذين لم يرتدوا بعد رسول الله△ .

ثالثا : كان أبو ذر من الذين لا يجاملون على الحق ولا يسكتون على الباطل ولو كلفه ذلك حياته .

لقد عرف ابو ذر منذ اليوم الاول من اسلامه بصراحته وثوريته ، فأول ما اعلن اسلامه طاف بالكعبة وكسر ما بها من اصنام فاجتمع عليه قريش واشبعوه ضربا وما انقذه منهم الاّ العباس عم النبي △ وذلك بتخويف قريش على قوافلهم التي تمر بديار غفار وانها لن تسلم إذا قتلوا اباذر . ومواقفه ازاء معاوية معروفة فانه كان معارضا لما يفعله من بناء القصور والاسراف في الامور الدنيوية وكان دائم الاعتراض عليه وكاد يفسد الناس عليه حتى اشتكاه الى الخليفة عثمان فاستدعاه من الشام . فمثلُ أبي ذر لايمكن ان يسكت على مثل هذه المخالفات لا سيما إذا عرفنا انه كان مؤيدا لعلي ومن الممتنعين عن البيعة ، فسكوته إذاً فيه دلالة قاطعة على أن الصحابة باجتماعهم في السقيفة واختيارهم لأبي بكر لم يخالفوا اوامر الله ورسوله ولم ينقضوا بيعة ابرمها الرسول لعلي. واني على يقين لو كان هناك نص او بيعة لما سكت ابو ذر ولأقام الدنيا ولم يقعدها على مخالفة تلك النصوص ونقض تلك البيعة ، ولو سكت كل الناس لما سكت أبو ذر.

2. العلاقة الوطيدة بين علي◄ ومحمد بن أبي بكر :

ان زواج علي ◄ من اسماء بنت عميس بعد ان توفي عنها ابوبكر ◄ واحتضانه لولديها من ابي بكر دليل على أن علاقة علي بأبي بكر لم تكن سيئة لأنها لو كانت كذلك لما تزوج زوجته ، ولو افترضنا انه خطبها نكاية بأبي بكر لما قبلت هي بالزواج منه خوفا على ولديها من ان يسيء علي معاملتهما لبغضه اباهما ، ولكن اقدام علي على خطبتها

وقبولها هي بالزواج منه ثم احسان علي معاملة ولديها من أبي بكر ثم تأييد محمد بن ابي بكر لعلي وحبه له كلها تدل على أنه لم يكن بين علي وأبي بكر شحناء ولا بغضاء ، لأنه لو كان هناك شيء من ذلك لانعكس على علاقة محمد بن ابي بكر بعلي لأنه لا يعقل أن يحب الرجل خصم ابيه إلاّ إذا كان ولدا عاقاً او انسانا لئيماً ودنيئا ، ولا يمكن ان يرضى علي منه ذلك لأنه يعرف حكم عقوق الوالدين ، فلو كان محمد من هذا النوع لنهره علي ووبخه وابعده ، ولكن حبه له وتقريبه اياه يدل على انه كان رجلا فاضلاً وباراً بأبيه . وهناك دليل قوي على ان محمدا لم يكن عاقا لابيه وذلك عندما دخل على عثمان أيام الفتنة وأخذ بلحيته قال له عثمان ◀ ان أباك كان يكرم هذه اللحية ولو رآك في موضعك هذا لما رضي به فترك محمد لحيته وانسحب لتوه .. وهناك دليل آخر على أن محمدا لم يكن عاقا لأبيه وهو علاقته الوطيدة باخته عائشة أم المؤمنين ، فلو كان محمد عاقا لأبيه لما رضيت عنه عائشة ولوبخته على ذلك ولربما قاطعته أيضا إذ كيف ترضى عمن يعادي أباها ويوالي خصمه ؟ وبما أن علاقة محمد باخته عائشة كانت قوية ، كان يفترض أن تنعكس تلك العلاقة عكسيا على علاقة علي بمحمد ، إذ كيف يثق علي بمن يحب ويوالي خصمه . إذاً زواج علي من زوجة ابي بكر، والعلاقة الحميمة بينه وبين محمد بن ابي بكر، والعلاقة الوطيدة بين محمد وعائشة كلها تنقض قول من يزعم أن أبا بكر اغتصب الخلافة من علي وأن علياً كان حانقا عليه .

وهناك دليل آخر على أن علاقة ابي بكر بعلي لم تكن سيئة كما يصورها الشيعة ، وانه لم يكن هناك نزاع بينهم ، وهو القاسم بن محمد بن ابي بكر الذي يعد من كبار علماء التابعين عند اهل السنة ، ولا يعقل ان يكون هناك نزاع بين ابي بكر وعلي ويأتي ولده محمد فيوالي عليا ثم يأتي القاسم بن محمد يوالي ابابكر ثم يأتي محمد الباقر ويتزوج ابنة القاسم . كل هذا التشابك ان دل على شيء انما يدل على قوة علاقة علي بأبي بكر رضي الله عنهم اجمعين.

ودليل آخر هو الروايات التي تقول بأن أبا بكر أرسل زوجته أسماء بنت عميس إلى الزهراء في مرض موتها حتى تخدمها ثم بعد وفاتها قامت بتغسيلها وتكفينها كما في

الاستيعاب112/2، وهذا الامر لا يدل على حسن علاقة علي بابي بكر فحسب بل ينفي ايضا ما يشاع من سوء علاقة فاطمة بابي بكر ومقاطعتها له الى ان ماتت.

3. قبول عمار بن ياسر وسلمان الفارسي الولاية في عهد عمر:

يقول الشيعة ان سلمان الفارسي وعمار بن ياسر كانا من مؤيدي علي و من المعارضين لخلافة الشيخين ، كيف إذاً قبلا بتولي الامارة في عهد عمر ؟ فقد تولى سلمان إمارة المدائن وتولى عمار إمارة الكوفة ! فهل انقلبا على علي ؟ هذا لم يقل به أحد والتاريخ يشهد أن عمارا كان من مؤيدي علي وقتل وهو في جيش علي. كيف قبلا ولاية الظالمين والامام الشرعي موجود ؟ لو كان ذلك بعد وفاة علي لكان مستساغا بعض الشيء ، أما أن يتعاونا مع عمر وعلي حي فهذا مما لا يتفق مع المنطق ويرفضه العقل الاّ إذا كان ما يقوله الشيعة عن خصومة علي والشيخين مختلقا وان امامة الشيخين صحيحة ولم يكونا غاصبين للخلافة من علي .

4. طلب ابي بكر وعمر أن يدفنا بجوار الرسول△ :

ان الله وهبنا العقل لنستعمله ونحكم به على الاشياء ونستنبط منها العبر والعظات ونميز به بين الحق والباطل لا أن نعطله ونتبع الآخرين دون دليل ، وهناك امور يمكن اخضاعها للعقل والمنطق بسهولة ولا يصعب استنباط الحكم والدلالات منها ، من هذه الامور: دفن ابي بكر وعمر بجوار رسول الله △ بطلب منهما، ووجه الدلالة فيه انه لو كانا ممن خالف الرسول أو نقضا عهده أو ظلما أهله لما تجرءا على مجاورته في قبره حياء منه وخشية أن يتعرضا لعتابه . ولو افترضنا جدلا أنهما فعلا ذلك للتمويه على الناس – وهذا لا يحصل الا ممن لا يؤمن بالآخرة ولا أحد يجرؤ على اتهامهما بذلك الاّ من لايحترم عقله وعقل قارئه– كيف رضي الصحابة الصادقون وأهل البيت وبنو هاشم بذلك ، ولو افترضنا انهم لم يقدروا على منعهم، فلا أقل من أن يعترضوا، وكان هذا ممكنا لا سيما من قبل الصحابة الشجعان كعلي وابي ذر أو بعض أزواج النبي كأم سلمة . ولكن ان يحدث ذلك دون ان نسمع باي اعتراض ولو في خفاء فانه يدل على ان الناس كانوا يرون الشيخين اهلا لأن يدفنا بجوار رسول الله△ وانهما لم يكونا يخشون مواجهة الرسول △ لعمل عملوه

بل كانا في اشد الشوق أن يلحقا به ويدفنا بجواره افتخارا بما قدموه لدينه . ولست أدري متى يُعمل العقل ان لم يُعمل هنا؟!

لماذا يكثر الشيعة الحديث عن السقيفة:

بعد ان تبين ان السقيفة تدل على عدم وجود نص او بيعة رُبّ سائل يسأل : إذا كانت السقيفة بهذا الوضوح في دلالاتها على عدم وجود نص أو بيعة ، لماذا إذاً يكثر الشيعة الحديث عنها ؟ وقد خصصوا لها كتبا، فمن القدماء سليم بن قيس ، وابو مخنف بن لوط ، وابراهيم بن محمد الثقفي ثلاثتهم خصوه بكتاب سموه "السقيفة" ومحمد بن عمر الواقدي بكتاب سماه"السقيفة وبيعة ابي بكر"، وابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري بكتاب سماه"السقيفة وفدك" ، ومن المحدثين الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه " السقيفة"، وعلي الشخص في كتابه" اضواء على السقيفة" ، وفي المقابل قلّما تجد عالماً سنيّاً تناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل والدراسة وكل مايكتبون عنه هو سرد تاريخي للوقائع دون تحليل أو تفسير يذكر! ما السبب في كلّ هذا؟ لماذا يمر السنّة على هذه الحادثة مرور الكرام في حين يبذل الشيعة كلّ هذه الجهود لدراستها وتحليلها ؟

كلّ من يدرس هذا الامر في كتب الفريقين ويرى إهتمام الشيعة به وإهمال السنّة له قد يتوهم أن هذه الحادثة تؤيد وجهة نظرالشيعة لذا يكثرون الحديث عنها، ولكنك رأيت كيف بقليل من الدراسة والتحليل ومن غير حاجة إلى مجلدات أثبتنا العكس وظهرت الحقيقة واضحة وجلية وهي أنّ الصحابة لم يكونوا متآمرين على علي وأنهم لم يكونوا امام نص أو وصية ، وليس

دعوى وجود النص والبيعة ابعد دلالاتها فحسب ، بل تعد هذه الحادثة من مبطلات تلك الدعوى كما اثبتناه في هذا الكتاب ، وإنّ الإجراء الذي حصل من قبل أبي بكر وعمر كان هو عين الصواب وبغيره كانت الأمّة ستقع من أوّل يومها في نزاعات ومتاهات وفتن لا أوّل لها ولاآخر ، بل اكثر من ذلك : فانه لو لم يتول الخلافة ابو بكر ◀ لما عُبد الله كما كان يقولها ابو هريرة، وحين استغرب السامعون كلامه هذا سألوه كيف تقول ذلك ؟ أجابهم أن

العرب قد ارتد أغلبهم بعد وفاة رسول الله △ ولولا حزم ابي بكر ووقوفه في وجوههم لقضوا على الاسلام [1] وكما كان يقول وكيع لولا ابو بكر لذهب الاسلام[2] .

---

[1]. نقل الحافظ ابن كثير في البداية (305/6) عن الحافظ أبي بكر البيهقي حديث محمد بن يوسف الفريابي الحافظ (قال البخاري : كان أفضل أهل زمانه ـ أي الفريابي) عن عباد بن كثير الرملي أحد شيوخه (قال ابن المديني ـ كان ثقة لا بأس به أي شيخ الفريابي) عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج [أحد التابعين ، توفي بالأسكندرية) عن أبي هريرة قال :" والله الذي لا إله إلا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله ، " ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة . فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا بكر رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة !؟ فقال " والذي لا إله غيره ، لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم " فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرجوا مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم ، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فتثبتوا على الإسلام.

وجاء في الروض الانف ج4 ص 457: وكان مَوْتُهُ عليه السلام خطْبا كالِحا ، وَرُزْءًا لأهل الاسلامِ فادحًا ، كادت تُهدّ له الجبالُ وترجُف الارضُ وتكسِفُ النّيّرات لانقطاعِ خبر السماء وفقدَ من لا عِوض منه مع ما آذن به موتُه - عليه السلام - من الفتن السحْم والحوادث الوُهُم والكُرَب المدلهمة والهزاهز المضلعة فلولا ما أنزل الله تبارك وتعالى من السكينة على المؤمنين وأسرج في قلوبهم مِن نور اليقين وشرح له صدورهم من فهم كتابه المُبين لانقصمت الظهور وضاقت عن الكرب الصدور ولعاقهم الجزعُ عن تدبير الأمور فقد كان الشيطان أطْلعَ إليهم رأسَه ومدّ إلى إغوائهم مطامعه فأوقد نار الشنآن ونصب راية الخلاف ولكن أبى الله تبارك وتعالى إلاّ أن يُتم نورَه ويُعلي كلمته ويُنجز موعودَه فأطفأ نار الردّة وحسم قادةَ الخلاف والفتنة على يد الصدّيق رضي الله عنه ولذلك قال أبو هريرة : لولا أبو بكرٍ لهلكت أُمّةُ محمد عليه السلام بعده .

[2].فضائل الصحابة لاحمدبن حنبل /ج1ص138

اذاً لماذا يكثر الشيعة الحديث عنها؟

الجواب : إن إكثار الشيعة الحديث عن سقيفة بني ساعدة ليس لأنها في صالحهم بل على العكس تماما، فإنها لو تركت هكذا لحالها مجردة من اي تعليق أو تعقيب لدلّت على أن الرسول (△) مات ولم ينص على احد ولم ياخذ البيعة لأحد ، وأن الرسول(△) مات والصحابة لا يدرون من هو الخليفة من بعده ، لذلك أسرع الأنصار الى الإجتماع في السقيفة لكي يتباحثوا هذا الامر ويخرجوا بموقف موحّد وينصبوا واحداً منهم خليفة على المسلمين ، فدلالة إجتماع السقيفة على عدم وجود بيعة ونص هو الذي دفع الشيعة الى الإكثار من الحديث عن هذه الحادثة لأنها تتعارض تعارضاً جذرياً مع دعوى وجود النص والبيعة ، فلو تركت هذه الحادثة هكذا دون تعقيب أو تعليق لفهم منها كل إنسان بفهمه الفطري الأولي أنّ الرسول مات ولم يوص لأحد ولم يرشح أحداً لهذا المنصب ولم يترك نصاً قطعياً يدل دلالة قطعية على أحد بعينه ، لهذا لا يتحدث السنة عنها كثيراً ، ولا يعلقون عليها كثيراً ، ولا يفلسفونها ، بل يتركونها لوحدها لتدل تلك الدلالة الواضحة البسيطة التي توحي بها تلقائياً ومن أوّل وهلة ، وهي انه لايوجد هنالك لانص ولا بيعة ولا وصية . فلو اخضعنا هذه الحادثة لقواعد المنطق وقواعد أصول الفقه لقلنا أنها تدل وتنصّ وتشير الى عدم وجود نص وتنطق بعدم وجود نص وتقتضي وتتضمّن عدم وجود نص. فدلالات هذه الحادثة واضحة وضوح الشمس في رابعة النّهار لو تركت لحالها دون توجيه لها كناقة رسول الله (△) التي قال عنها يوم وصل الى المدينة دعوها فإنّها مأمورة فتركوها لحالها إلى أن بركت في المكان الذي إختارته فاتخذ رسول الله (△) ذلك المكان مسجداً ، ولو أن أحداً أخذ بخطامها لربما وجّهها باتجاه آخر مغاير تماماً لما ذهبت اليه. كذلك الحال بالنسبة لهذه الحادثة فإنها لو تركت لحالها ولم ياخذ أحد بخطامها لدلّت دلالة واضحة صريحة على عدم وجود نص على احد وعدم وجود بيعة لأحد. لهذا يضطر الشيعة ان ياخذوا بخطامها ويوجهوها إلى الوجهة التي يريدونها هم ولتدلّ على مايريدونه هم ، ولذلك يُعملون عقولَهم ويُتعبون انفسهم ويكتبون فيها الكتب ويُفردون لها المؤلفات لكي يوجهوها الى حيث يريدون وتدل على ما يعتقدون.

ان إثبات هذه الدعوى من هذا الاجتماع (اي انقلاب الصحابة على النصوص ونكثهم للعهود) يحتاج الى الكتابة والتفلسف لكي تصرفها عن وجهتها ولكي لاتدل تلك الدلالة المعقولة البسيطة التي يستسيغها العقل وتستسيغها الفطر السليمة . فهذه الحادثة تعترض الشيعة كلما ذهبوا إلى اثبات إمامة علي بالنص والبيعة وحيثما ذهبوا وجدوها عقبة أمامهم تعترض طريقهم ، لذلك وجب عليهم أن يسعوا لازاحتها من أمامهم ولهذا كثرت كتاباتهم عنها ، وهي مثال على ما قلناه سابقا من أن الشيعة يعتقدون الشيء اولاً ثم يبحثون له عن دليل من القرآن والسنة والتاريخ ، فإن وجدوها تؤيد وجهة نظرهم أخذوا بظاهرها ، أما إذا وجدوها تخالف معتقدهم أولوها تأويلا تعسفياً ولوّوا أعناقها بطريقة تعسفية لكي تدل على ما يعتقدون ! ولكن اهل السنة على خلاف ذلك، فانهم يجعلون من القرآن والسنة اساسا لمعتقداتهم ، ولذلك تركوا هذه الحادثة دون تعليق او تعقيب او تحليل يُذكر لتدل بنفسها على تلك الحقيقة الناصعة ، وهي أن النبي △ مات ولم يوص بالخلافة لأحد ولم يعين أحدا لهذا المنصب، وانه لا توجد آيات قرآنية بحق أحد، وأن الناس ما كانوا يعرفون خليفته في حياته وأنهم لم يبايعوا أحدا بالخلافة قبل السقيفة ، ، ثم جاء مَن بعدهم فجعلوها دليلاً على أن اختيار الامام موكول الى الناس وليس أمرا دينيا منصوصا عليه من الله أو من الرسول △.

امور اخرى تتعلق بالسقيفة:

ان الحديث عن السقيفة يتطلب الحديث عن ثلاثة اجراءات مهمة قام بها الرسول (△) قبل وفاته يعول عليها الشيعة كثيرا لاثبات نظريتهم حول الامامة وهي : خطبة الرسول في الناس في غدير خم في طريق عودته (△) من الحج ، و تجهيز جيش اسامة ،و طلبه الكتف والدواة ليكتب كتابا للمسلمين وهو ما يسميه الشيعة رزية يوم الخميس ، وسنبدأ بجيش اسامة وندرس دلالاته ونظرة كل من الشيعة والسنة الى هذا الاجراء الذي اتخذه الرسول (△) قبل موته ثم نأتي الى قضية يوم الخميس ، ثم الى مسألة الغدير:

بعثة اسامة ودلالاتها:

قلنا فيما مضى ان الرسول (△) جهز جيشا قبل وفاته بقيادة اسامة بن زيد بن حارثة الذي لم يبلغ من العمر عشرين عاما وأمره ان يُوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع اسامة المهاجرون الاولون[1] ولكنه مرض قبل مغادرة الجيش المدينة . ويبدو ان بعض الصحابة تكلموا في هذه البعثة واعترضوا على تأمير اسامة ، فجمعهم الرسول (△) ودافع عن اسامة وزكّاه وبين فضله وحبه له وحث الناس على الالتحاق بالجيش والاسراع في الخروج .

[1]. سيرة ابن هشام ج/4ص253 دار احياء التراث العربي.

يقول ابن هشام : ان رسول الله (△) قد استبطأ الناس في بعث اسامة بن زيد[1] وهو في وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس المنبر ، وقد كان الناس قالوا في امرة اسامة: أَمَّر غلاما حدثاً على جلة المهاجرين والانصار. [2]

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له اهل ، ثم قال: أيها الناس ، أنفذوا بعث اسامة ، فلعمري لئن قلتم في امارته لقد قلتم في امارة ابيه من قبله ، وإنه لخليق بالامارة ، وان كان ابوه لخليقا لها . ثم نزل رسول الله (△) وانكمش الناس[3] في جهازهم ، فاستعز برسول الله (△) وجعه، فخرج اسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْف[4] ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام اليه الناس ، وثقل رسول الله (△) ، فأقام اسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله (△).

هناك تفسيران لاسباب تجهيز هذا الجيش وبقائه مرابطا في الجرف قريبا من المدينة وعدم ذهابه الى حيث أُمر . وهناك ايضا اختلاف حول الذين زجهم رسول الله (△) في هذا الجيش لاسيما ابي بكر الصديق (◀) ، فالشيعة يقولون ان ابابكر وعمر كانا ضمن هذا الجيش واهل السنة ينفون وجود ابي بكر فيه بدليل ان الرسول كلفه بالصلاة في الناس ايام مرضه ولا ينفون وجود عمر فيه . اما بالنسبة لعلي فيبدو انه لا توجد اشارة الى وجوده في ذلك الجيش لا عند السنة –حسب علمي– ولا عند الشيعة[5] .

---

[1]. اي : راى الناس يبطئون في الخروج .

[2]. اي : اعترضوا على امارته لصغر سنه وقلة خبرته وصعوبة المهمة وتأميره على كبار المهاجرين والانصار..

[3]. انكمش الناس: أسرعوا، وكذلك اورده البخاري في كتاب المغازي رقم 4469وهذا نص البخاري: "إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في امارة ابيه من قبل، وأيم الله! إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس اليّ ، وإن هذا لمن إحب الناس الي."

[4]. موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام (شمالي المدينة) .

[5]. من المعلوم ان النبي ما كان يسمي الناس في الغزوات وانما كان يعين الامير ويعقد له اللواء ثم يحث الناس على الالتحاق بالجيش حتى إذا اكتمل النصاب اوصاهم وأمرهم بالخروج ، ويبدو ان بعثة اسامة لم تكن بدعا من الغزوات وان الرسول حين حث الناس على الخروج توافد المسلمون

وهناك خلاف بين السنة والشيعة حول الغاية من ارسال ذلك الجيش ، والخلاف شديد جدا ، فأهل السنة يقولون ان الهدف كان تأديب الروم والعرب النصارى الذين آذوا المسلمين سواء قبل غزوة مؤتة أو أثناءها أو بعدها ، وللثأر لمعركة مؤتة وشهدائها، وتأمين الحدود الشمالية للجزيرة العربية ، وان اسناد القيادة الى اسامة كان سببه ان اباه قد استشهد في تلك المعركة وكون اسامة على رأس الجيش سيكون له عدة فوائد منها:

1- تطييب لنفس اسامة وذلك باعطائه فرصة للاخذ بثأر أبيه .

عليه ولكن منهم من ابطأ في الخروج ربما طمعا في ان يعدل الرسول عن قراره في تنصيب اسامة اميرا للجيش لأنه غالبا ما كان يأخذ بمشورة الصحابة لاسيما في الامور الدنيوية والادارية والعسكرية ولكن حين رأوا اصرار الرسول على ابقاء اسامة على رأس الجيش رضخوا للامر والتحقوا بالجيش. وبهذا يكون التحاق ابي بكر وعمر طوعيا ودليلا على تواضعهم ورضاهم بكل ما يصنعه الرسول وطاعتهم لكل من يوليه عليهم وهذا يضاف الى فضائلهم . اما عدم ذكر علي فيمن كان ضمن الجيش يعود الى عدة اسباب : اما انه علم ان الرسول لم يطلب من كل الصحابة الالتحاق بالجيش وانما طلب عددا معينا فراى نفسه في خيار يلتحق ام لا ، أو ان النبي استثناه واستبقاه الى جانبه وهذا ما يقوله الشيعة ليبنوا عليه نظريتهم .أو انه كان ضمن الجيش ولكن لم يُشر اليه لأنه لم يكن بأهمية ابي بكر وعمر ومكانتهما في المجتمع لذلك لا ترى له ذكرا في كثير من الاحداث المهمة كما في معركة احد حين صاح ابو سفيان : افيكم محمد ؟ افيكم ابو بكر؟ افيكم عمر؟ وكيوم الخميس حين طلب الرسول الكتف والدواة ليكتب كتابا للمسلمين، وكيوم وفاة الرسول فان التاريخ يذكر عمر شاهراً سيفه يتهدد ويأتي ابو بكر ويدخل على الرسول ثم يخرج الى الناس ويبين الامر لهم ثم يأتي رجل ويخبر عمر باجتماع الانصار في السقيفة، والذي يؤكد عدم وجود ابي بكر في الجيش هو انه حين راى رسول ﷲ مفيقا استأذنه بالذهاب الى السنح حيث زوجته ابنة خارجة ودليل آخر هو تكليف الرسول اياه ليصلي بالناس فلو كان ضمن الجيش لكلف رسول ﷲ غيره ان يصلي بالناس .، اما وجود عمر وابي عبيدة في المعسكر فتؤكده عدة امور ، منها: عودة اسامة الى المدينة يوم الاثنين للاطمئنان على رسول ﷲ وبرفقته عمر وابو عبيدة ، و تكليف اسامة لعمر بمراجعة ابي بكر بخصوص تأخير البعثة ، ثم تكليف الانصار له بمراجعة ابي بكر بخصوص تبديل اسامة بمن هو اسن منه واخيرا طلب ابي بكر من اسامة استبقاء عمر في المدينة لحاجته اليه . .

2- إظهار فضله ومكانته .

3 - سيكون لدافع الاخذ بالثأر عند اسامة أثر كبير في اندفاعه للقتال وتفانيه في مواجهة العدو وحرصه على ايقاع الهزيمة بهم .[1]

4- زرع الثقة في نفسه وتهيئته لقادم الايام . وهذا اجراء كان يلجأ اليه القادة والخلفاء مع من كانوا يريدون اعداده للمستقبل وايكال المهمات اليهم. وقد ثبت فيما بعد صدق فراسة النبي فيه وقد نجح في اداء مهمته أيما نجاح!.

5- اهتمام النبي بشريحة الشباب، وكذلك بيان المساواة الحقيقية في الإسلام فلا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا احمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، وأسامة من الموالي ومع ذلك يجعله النبي اميرا على جيش فيه الوجهاء والسادة من قريش وبقية القبائل العربية ذات المكانة والمنصب والجاه ، علاوة على امتحان الصحابة في إيمانهم وإظهار سرعة استجابتهم لمن يأتي بعدهم لأن في تجهيز جيش لخوض معركة فاصلة مع واحدة من أعظم امبراطوريتين على وجه الأرض بقيادة شاب لا يبلغ عشرين عاما ولا يمتلك شيئا من الخبرة العسكرية وفي الجيش قادة عسكريون امتحانا في غاية الصعوبة لا ينجح فيه إلا من كان على مستوى أولئك الصحابة من الإيمان وسرعة الاستجابة لنداء الإيمان .

قلنا ان بعض الصحابة اعترضوا على امارة اسامة أول الامر لصغر سنه وقلة خبرته وصعوبة المهمة وبُعد المسافة وقوة العدو وكثرتهم ولوجود من هو أكفأ منه وأخبر بالحرب ولكن رغم ذلك فقد رضخوا للامر وساروا تحت امرة اسامة الاّ ان اشتداد المرض برسول الله أقعدهم عن الخروج فظل اسامة معسكرا بجيشه بالجرف ينتظر مصير رسول الله (△) .

---

[1]. مسألة الاخذ بالثأر لم تكن مطلوبة لذاتها ولم تكن هي الهدف من تجهيز ذلك الجيش وانما كان الهدف الرئيس تأديب الروم ونصارى العرب الذين كانوا يفكرون في غزو المدينة فكان ارسال ذلك الجيش بمثابة هجوم استباقي عليهم ، ولكن قد تكون مسألة الثأر مطروحة في اختيار اسامة لقيادة الجيش ، فهذا من الوسائل المشروعة التي تزيد من عزم الانسان واندفاعه .

هذا ملخص ما يقوله اهل السنة عن اسباب تجهيز ذلك الجيش ، وتنصيب اسامة على رأسه ، أما الشيعة فانهم يقولون كلاما مغايرا تماما لما يقوله السنة، يقولون شيئا له دلالات خطيرة جدا ويعكس صورة عجيبة عن مجتمع الرسول (△) وعن طبيعة العلاقات والقيم والموازين التي كانت تحكم ذلك المجتمع.

يقولون: ان النبي (△) قد علم بدنو اجله ولذلك اراد ان يُبعد المتربصين بالخلافة عن المدينة مدة من الزمن كي تصفو الامور لعلي وتستتب له الامور وحين يعود هؤلاء يجدون أن كل شيء قد انتهى ويضطرون للتسليم بالامر الواقع والرضوخ لخلافة علي، ولذلك زج بابي بكر وعمر في هذا الجيش. وعن سبب اسناد قيادة الجيش الى أسامة البالغ من العمر 17 عاما لم أقرأ للمتقدمين من الشيعة تعليلا له الاّ ان الشيخ محمد رضا المظفر يذكر في كتابه " السقيفة " تعليلات أعتقد أن الشيعة لا يملكون أحسن منها لذلك أُوردُها كما هي كتعبير عن رأي الشيعة حول هذا الموضوع.

يقول الشيخ المظفر : انه(أي النبي) اراد ان يهيئ المسلمين لقبول "قاعدة الكفاية" في ولاية امورهم ، من ناحية عملية ، فليست الشهرة ولا تقدم العمر هما الاساس لاستحقاق الامارة والولاية ، وأن يقلل من نزوع المتوثبين للخلافة ليقيم الحجة لهم وللناس بأن من يكون مأموراً لشاب يافع ولا يصلح لإمارة غزوة مؤقتة كيف يصلح لذلك الامر العظيم وهو ولاية امور جميع المسلمين العامة وهي مقام النبوة وصاحبها أولى بالمؤمنين من انفسهم.[1]

---

[1] كتاب "السقيفة" للشيخ محمد رضا المظفر .ص73-75منشورات مؤسسة الاعلمي .بيروت-لبنان - ط/اولى سنة 1413هـ-1993م . من اين للمظفر ان من زجه الرسول في تلك البعثة لا يصلح لإمارة غزوة مؤقتة ؟ هذا كلام مناقض للعقل والمنطق والتاريخ فالذين شاركوا في بعثة اسامة كثير منهم قاد سرايا ومعارك كبيرة في عهد الرسول كخالد وعمرو بن العاص . فلو كان الامر كما يزعم المظفر ان كل من جعل جنديا في غزوة لا يصلح قائدا في غيرها لوجب ان لا يوكل قيادة الجيش الى اسامة لأنه طالما شارك في الغزوات تحت امرة غيره. لست ادري اي منطق هذا الذي يحتكم اليه المظفر؟!

دلالات التفسير الشيعي لهذه البعثة:

إذاً هذا هو التفسير الشيعي لأسباب وأهداف تجهيز ذلك الجيش ، وذلكم هو سبب اختيار اسامة لقيادته ، وقد رأيتم أنه مغاير تماما لتفسير السنة ومخالف له في كل ابعاده و حيثياته، ولكل واحد من التفسيرين دلالات ، وسنبدأ بدلالات التفسير الشيعي ونؤخر دلالات التفسير السني الى ما بعد سرد تفاصيل قصة البعثة :

1–ان اول ما يدل عليه هذا الكلام هو ان مجتمع النبي (△) مجتمع متفكك وغير متماسك وتتقاسمه النزعات الشخصية والقبلية والاطماع الدنيوية وانه لا يوجد اي اثر للتربية النبوية فيهم وان النبي لم ينشيء امة على الاسلام ولم يرب سوى اهل بيته وعدد قليل من الناس ، اما الآخرون فغارقون في الدنيا الى اذقانهم وانهم لا يفكرون الا في لحظة وفاة الرسول كي ينقضوا على الحكم وينفردوا بالامر.

2– ويدل على ان النبي لم يكن مطاعاً من قبل اصحابه وان كلمته ماكانت نافذة فيهم ، لذلك لجأ الى هذا الاسلوب لابعادهم عن المدينة.

3– وكنتيجة لذلك(أي ضعفه –حاشاه– وعدم نفوذ كلمته بين اصحابه) كان يلجأ الى اساليب ملتوية كالتي يلجأ اليها السياسيون لتحقيق اهدافهم! وانه قد لجأ الى المكر والخديعة (حاشاه) فجهز جيشا بحجة تأديب الروم والعرب النصارى وزج فيه كبار اصحابه وهو في الحقيقة لايريد سوى ابعادهم ليخلي الجو لابن عمه علي كي يتولى الحكم من بعده دون مقاومة من احد! وهذا شبيه باتهام اليهود لداود عليه السلام بأنه أُعجب بزوجة احد جنوده فارسله في غزوة ثم اوعز الى قائدالجيش ان يقدمه للمهالك حتى يقتل فيتزوج زوجته! حاشاهما مما يتهمان به ، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذا الاستنتاج لا يحتاج المرء الى عناء كبير لفهمه وادراكه فهو شديد الظهور ولا ينقصه سوى اضافة عبارات المكر والخديعة والدسيسة اليها والعبرة بالمسميات لا بالاسماء ، فلا فرق بين ان تقول لامريء انت ماكر او تصفه بالمكر فكلاهما سواء ، وهذا الذي يقوله الشيعة بالاضافة الى دلالته على ضعف الرسول وعدم نفوذ كلمته في مجتمعه وعدم خضوع الناس له ، فإنه يدل كما قلنا على لجوء النبي الى الدسيسة والمكر والخديعة.

3- ان الرسول مع لجوئه الى المكر والدسيسة(حاشاه) فانه ما كان يجيد التدبير والتخطيط . فانك لو امعنت النظر في طبيعة هذا الجيش لتبين لك بانه لم يُهيأ بالشكل الذي يمكّنه من اداء المهمة الملقاة على عاتقه وتحقيق الغرض المرجو منه، بل على العكس فانه يمكن القول بان تجهيز هذا الجيش بهذا الشكل لا يخدم الاّ الخصوم ، واليك اثبات ذلك:

لو كان الرسول يريد بهذا الجيش ان يُخلي الجو لعلي كان يجب ان يجعل على رأسه رجلا قويا نافذ الكلمة ، لا أن يجعل عليه شابا صغيرا لا يبلغ سنه العشرين عاما ولا يملك من الخبرة العسكرية شيئا ، لأن الذي يستطيع أن يزيح رجلا مثل علي صاحب القوة والشجاعة والعصبة يسهل عليه ازاحة شاب ضعيف مجرد من كل عصبة وقبيلة وهو فوق ذلك مُعترَض عليه من قبل اغلب افراد الجيش . ولو كان صحيحا ما يقوله الشيعة من ان الرسول اراد بهذه البعثة ابعاد هؤلاء من المدينة لعمد هؤلاء الى عزل اسامة من قيادة الجيش بعد سماع وفاة الرسول ، ولقادوا هذا الجيش الذي قوامه حوالي ألف مقاتل وداهموا به المدينة وعزلوا عليا بالقوة واستولوا على الحكم . اي ان الرسول (△) بدلا من ان يجردهم من القوة منحهم قوة كبيرة لتحقيق اهدافهم! . وهذا يعني أن النبي (△) والذين معه لم يكونوا يجيدون حبك الخطة وانهم فشلوا حتى في تدبير المؤامرة ورسم الخطة لتحقيق الهدف الذي يبغونه !

قل لي بربك أهكذا يكون التخطيط لتحقيق مثل هذا الهدف ؟ أليس هذا اكبر دليل على بطلان دعوى الشيعة من ان الهدف من هذا الجيش كان ابعاد كبار الصحابة عن المدينة واخلاء الجو لعلي ؟ الامر لايحتمل الاّ احد احتمالين : اما بطلان هذه الدعوى ، اي بطلان القول بان الهدف كان إبعاد كبار الصحابة عن المدينة ، او اثبات هذه الامور التي ذكرناها والتي تعد طعنا في الرسول وهي باختصار :

1- وجود نزاعات داخل المجتمع وانقسامه على نفسه.

2-عدم هيمنة الرسول △ على اصحابه .

3-لجوء الرسول (△) الى المكر والخداع والدسيسة .

4-عدم اتقان الرسول (△) للتخطيط وجهله بطريقة تدبير المكيدة .

هذا التفسير الشيعي يثير مجموعة من التساؤلات:

1. هل ما فعله الرسول (△) هو وسيلة شرعية ونبيلة ام انه وسيلة غير شرعية وغير نبيلة؟

جواب الشيعة معلوم سلفا بانه كان هدفا نبيلا وامرا مشروعا لأنه لايمكن ان يقولوا بضده لأن ذلك يعد اتهاما صريحا للرسول △ !

2. وهنا يأتي السؤال الثاني : هل أخبر الرسول △ اسامة بهدف تلك البعثة أم لم يخبره به؟

اذا كان الجواب بنعم فلم اذاً لم يغادر اسامة الجرف وبقي ينتظر مصير الرسول △؟!

ثم لماذا لم يُشر الى هذه المسألة فيما بعد حين راى اختلاف الناس على الخلافة لا سيما ايام خلافة علي .

ثم لماذا قبل بقيادة الجيش بعد وفاة الرسول △ وقد علم ان مهمة الجيش قد انتهت وانه بعدم مغادرته المدينة كان سببا في افشال خطة الرسول△ .

وان كان الجواب لا، اي ان الرسول △ لم يخبره بهدف البعثة والمهمة الملقاة على عاتق الجيش ، فهذا يدل على احد امرين : اما ان الرسول لايثق باسامة لذلك لم يخبره بهدف البعثة وهذا غير ممكن اذ كيف يكلفه بمثل هذه المهمة ولا يخبره بها وبالغرض منها . والسيرة تؤكد ان الرسول كان شديد الحب لاسامة وشديد الثقة به ، ودفاع الرسول عنه وتزكيته اياه غير خاف على احد.

أو أنه (حاشاه) لم يكن يعرف كيف يخطط لتحقيق هدفه وكيف يختار ومن يختار من اصحابه للقيام بالمهمام الخطيرة !!

لا شك ان اختيار الرسول△ لاسامة لقيادة ذلك الجيش لم يكن اعتباطا لا سيما اذا كان الهدف منه ابعاد رؤوس الصحابة من المدينة لاخلاء الجو لعلي. فهل يُعقل ان يُقدم الرسول على مثل هذا الامر الخطير ويقوم بهذا التخطيط ثم لا يُعلم قائد الجيش بغرضه وهدفه؟

ومرة اخرى ، لنعد الى اسامة بشيء من التفصيل:

هل كان اسامة يعرف هذا الامر؟

ان الاجابة على هذا السؤال سواءً بالايجاب او النفي ستواجه عقبات ومشاكل كثيرة وتتعارض مع ما يدعيه الشيعة في حق هدف هذه البعثة:

اذا كان اسامة يعرف الهدف من تلك البعثة لماذا لم يسرع في الخروج بجيشه الى حيث امره الرسول؟ ام كان هو الآخر متواطئاً مع ابي بكر وعمر؟ فان كان متواطئا معهما ، فهل كان الرسول يعلم ذلك ام لا؟ ان كان يعلم بتواطئه معهما كيف جعله على رأس ذلك الجيش في تلك المهمة الخطيرة ؟ ام خفي ذلك على رسول الله ؟ فان قلتم انه خفي على رسول الله نقول: هل يُعقل ذلك في حق الرسول القائد المؤيد بالوحي وبروح القدس؟ قائد يجهل حقيقة كل من حواليه ! اذاً اي قائد هذا واي رسول هذا الذي لا يعرف اياً من اصحابه! فيقرب النفعيين والوصوليين ويجعلهم من وزرائه ومقربيه ، ويثق بمن لا يستحق الثقة ، ويندب للمهمات الصعبة رجالا غير موثوقين او من لايعرف حقيقتهم!

قد تقولون ان اسامة كان يعلم بالخطة وبقصد الرسول ولكن الصحابة لم يطيعوه، لماذا رضي اذاً بقيادة الجيش بعد وفاة الرسول وقد فشل الجيش في اداء مهمته وتحقيق هدفه وان المحظور الذي كان الرسول قد جهز الجيش لتفاديه قد وقع؟

واذا سلمنا معكم جدلا بان اسامة كان يعرف هدف الرسول وان الصحابة عصوه فلم لم يمتثل هو لأمر الرسول وظل يتردد على المدينة بين حين وآخر ليرى ما سيئول اليه امر الرسول؟ ثم كيف تجرأ على الاشتراك في غسل النبي وقد خالف امره واحبط خطته؟ ثم لماذا لم ينهره علي على مخالفته لأمر الرسول ونكوصه عن اداء مهمته؟ كيف سمح له ان يشترك في غسل رسول الله (△) ؟ الم يكن من الأولى ان ينهره و يطرده و يقول له اذهب ولا تُرِني وجهك ، فقد احبطت خطة النبي ؟

3. هل كان اسامة من حزب ابي بكر ام من حزب علي ؟

ان كان من حزب علي كان يجب ان يعرف قصد الرسول وهدفه ليقوم بالمهمة على احسن وجه ولا يُعقل ان يجهل هذا الامر لأهميته وخطورته! واما ان كان من حزب ابي

بكر[1]، فهل يُعقل ان يُوكِل الرسول الى احد خصوم علي هذا المهام الخطير في مثل هذه اللحظة الحاسمة؟ أليس هذا من سوء التدبير وسوء التخطيط؟

4. وسؤال آخرللشيعة: من اين عرفتم ان الرسول △ كان يقصد من وراء ذلك الجيش ابعاد كبار الصحابة عن المدينة؟

هل كان علي يعلم بهذا الغرض ام لا؟

ان كان يعلم به فلماذا لم يصرح به في يوم من الايام ، لا في ايام الخلفاء الذين سبقوه ولا حين كان يجادل معاوية حول موضوع الخلافة ايام خلافته هو؟ هل كان يخجل من ذكره لانه يسيء الى النبي لانه من المكر والخديعة ام انه كان يجهله ولو علمه لصرح به؟

ان كان يعلمه فلم أخفاه؟ وان كان يجهله فمن اين علمتموه انتم ومن انبأكم به؟ أم انكم استنتجتموه من عند انفسكم؟ انكم اذاً اكثر فراسة واعمق فهما من علي!!

أرجو أن تخلوا الى انفسكم وتفكروا مليا في مثل هذه الامور التي جهلها علي وعلمتموها انتم او علمها وسكت عنها وأَثرتموها انتم ولم تسكتوا عنها في حين ان إثارتها من قبل علي كان نافعا له وللمسلمين واكثر تثبيتا لموقفه واحراجا لخصومه ولعلها كانت تعيد له بعض حقوقه المغتصبة . اما إثارتكم اياها فلا يعود على الاسلام والمسلمين الا بالضرر وبكثير من الفرقة والتشتت ولا يعيد لعلي شيئا من حقوقه.

انكم ان قلتم انه كان يعلمها ويخفيها تقية او للحفاظ على وحدة الامة ، وهذا هو الجواب الوحيد الذي يمكن ان تلجأوا اليه وترونه لائقاً لمقام علي ، فلماذا لا تتبعونه في نهجه وتتأسوا بسيرته للحفاظ على وحدة الامة في مثل هذه الظروف العصيبة؟

وان كان اخفاها ايام خلافة الخلفاء الثلاثة تقية فلماذا لم يعلنها ايام خلافته اثناء محاججاته الكثيرة سواء مع معاوية او مع غيره من الذين قاتلوه؟ او على الاقل ، لماذا لم يبح به الى احد ابنائه او اتباعه، ألا يعد هذا كتمانا للحق؟

5. وسؤال آخر: هل انتبه ابو بكر وعمر الى هذه المكيدة ام لا؟

---

[1]. وهذا هو رأي الشيعة في اسامة.

ان كانوا قد انتبهوا اليها لماذا اذاً لم يعزل ابو بكر اسامة عن قيادة الجيش نكايةً به لا سيما وان الناس كانوا معارضين لامارته وطلبوا اليه استبداله بمن هو أسَنّ منه ؟

ثم لماذا أنفذ الجيش ان كان يعلم ان مهمته قد انتهت ؟ .

ثم لماذا لم ينكل باسامة فيما بعد وقد شارك في المؤامرة ضده؟

ام كانوا هم الآخرون ايضا لايعرفون بهدف تجهيز ذلك الجيش؟!

اذاً، لا علي ، ولا ابو بكرو عمر، ولا اسامة ، ولا ائمة اهل البيت كانوا يعرفون هدف الرسول من ذلك الاجراء ، والطرف الوحيد الذي يعرف هذا السر هم علماء ومتكلموا الشيعة الذين يصدق في حقهم قول الشاعر:

واني وان كنت الاخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الاوائل

اما اذا قلتم بأن عليا وابناءه ومؤيديهم كانوا يعرفون هذه الحقيقة اذاً بم تفسرون سكوتهم عنها وعدم اعلام الناس بها ؟

واذا كان ابو بكر وعمر يعرفانه ، فبم تفسرون سلوكهما ازاء ذلك الجيش واميره اسامة؟

6. وسؤال آخر: هل جعل النبي لاسامة معاونين ومساعدين ممن يثق بهم ، أم كان هو الوحيد الذي يعلم بالخطة والهدف، وهو وحده المؤيد لعلي وبقية الجيش كله ضد علي او ممن يتعين ابعادهم؟

ان قلتم ان الرسول قد ندب له من يعاونه ويساعده فمن هم اولاً وماذا كان موقفهم ثانياً؟ وهل امتثلوا لامر الرسول ام لا؟

وان قلتم انه لم يندب له من يعاونه فهل هكذا تخطيط يتناسب مع مثل هذه المهمة الخطيرة؟

اشهد انني لا استطيع بحال من الاحوال ان اقول برأي الشيعة في سبب وهدف تجهيز هذا الجيش لأنني حينئذ سأجد نفسي مضطرا الى اتهام الرسول بسوء التدبير وبالمكيدة في اقل تقدير (حاشا رسول الله △) ! ولو درس هذا الامر من لايكن التوقير للرسول لرماه بأبشع الاوصاف والاثم كله يقع على عاتق الشيعة الذين ينسبون اليه هذا الامر.

7.ومسألة اخرى بالغ الاهمية وهي : هل يجوز ارسال مثل هذا الجيش بهذا الحجم الى ذلك المكان البعيد المليء بالمخاطر وتعريض كل هؤلاء للمهالك من اجل تنصيب علي للخلافة

؟ أليس هذا ميكيافيلية في اوضح صورها؟ الا يدل هذا على ان الرسول لم يكن يهمه شيء سوى مصلحته ومصلحة عائلته؟ أيليق هذا برسول الله؟ ألم تكن هناك وسيلة اخرى اشرف من هذه الوسيلة لتحقيق ذلك الهدف ،كأن يبعث المتربصين بالخلافة ، وعددهم قليل، بمأمورية أو يُوفدهم الى مكان ما بعيدا عن المدينة ، بدلا من أن يشكل من اجل ابعادهم جيشا قوامه قرابة الف شخص ثم يدفع بهم الى قلب العدو !

فكر معي في هذه الصورة كما يصورها الشيعة:

رجل يزعم انه نبي يبعث جيشا قوامه ألف رجل من المدينة الى تخوم الشام لقتال الروم ونصارى العرب بقيادة شاب يافع ويعرض ذلك الجيش الذي يضم كبار اصحابه وأوائل الذين آمنوا به وبدعوته وناصروه وعزروه ، للمتاعب والمخاطر والمهالك دون ان تكون هناك حاجة لقتال الروم او نصارى العرب وانما بهدف ابعادهم عن المدينة واخلاء الجو لابن عمه كي يُتوِّجَه الملك من بعده ، هل هذا عمل انساني ونبيل؟ هل يفعل هذا أخس الناس ، بله رسول الله ؟ اللهم لا، وحاشا رسول الله وهو من هو في خلقه وخصاله. واين ما يقوله الشيعة من قول الله تعالى: " لقد جاءكم رسولٌ من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" التوبة/**128**

اما اذا قلتم : انه لم يرسلهم ليقاتلوا احدا وانما مجرد لإبعادهم عن المدينة ، قلنا لكم : اين دليلكم على ذلك؟ ثم ماهو المكان المقرر ان يصله الجيش ويتوقف عنده؟ وكم هي المدة المقررة للمكوث هناك ؟ ومن المكلف بايصال خبر مبايعة علي بالخلافة واستتباب الامر له الى قائد الجيش ان كان يعرف المهمة ؟! وان كان لايعرفها – وهو الظاهر– فتخيل انت طريقة ايصال الخبر اليه!

ثم ، بماذا يجيب القائد اسامة جنده وكيف يبرر مكوثه دون قتال ان كان يعرف المهمة؟ وان كان لايعرفها فتخيل هنا ايضا ماذا يقول لنفسه اولا وبم يجيب جيشه ثانيا؟! اسئلة كثيرة تفرض نفسها ولا تجد لها جوابا !

اما اذا قلتم ان هذا الامر لم يُبحث بين النبي وقائد جيشه فهذا ان لم يدل على ضعف التدبير وسوء التخطيط فعلى ماذا يدل ؟ لكن كتب التاريخ تذكر لنا تفاصيل خطة

الرسول ووصيته لاسامة ، مَن يغزو ، وماذا يفعل وكيف يغزو الخ مما يدل على ان الجيش كانت له مهمة قتالية حقيقية وأن النبي قد بحث معه كل ما يلزمه في تلك الغزوة ، فلا يعقل أن يتباحث معه كل تلك الامور الجانبية ويغفل عن الهدف الحقيقي!

ولكن رجوع اسامة الى المدينة وعدم مغادرته لها يدل على ان اسامة لم يكن يعلم من امر هذه الخطة شيئا والاّ لسارع بالخروج الى حيث امره رسول الله (△) ولأبعد المتربصين بالخلافة عن المدينة ، بدلا من ان يترك جيشه ويعود بمعية عمر وابي عبيدة – كما يعترف محمد رضا المظفر – الى المدينة ليشارك في غسل رسول الله وتجهيزه!

ولو قدر لهذه الخطة ان تنجح ، ولم تكن لتنجح لأنها غير موجودة، كيف كانت ستكون نظرة الصحابة الى رسولهم لو اكتشفوا انه لجأ الى هذا الاسلوب وهو الذي كان يقول لهم : "لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين" اي لا ينبغي لنبي ان يشير بطرف عينه الى بعض جلسائه او اصحابه لاداء مهمة ما!

هب ان الصحابة وهم في الطريق عرفوا الهدف من تلك البعثة ، ماذا كان سيكون موقفهم ؟ هل كانوا يمضون في طريقهم لملاقاة العدو، غير المطلوب قتاله اصلا ، ام كانوا سيقفلون راجعين الى المدينة فورا وينقضون على دار الخلافة ويعزلون عليا ويفشلون خطة النبي! .هذا ما يوجبه العقل.

ان القول بان الهدف من بعثة اسامة هو ابعاد كبار الصحابة من المدينة كي يخلو الجو لعلي اضافة الى اتهام الرسول بالميكيافيلية (حاشاه △) فانه يشتمل على تناقض كبير مع ما هو معروف من هيمنة الرسول على اصحابه ونفاذ كلمته فيهم ، فاذا كان الرسول قادرا على ان يزج كبار الصحابة في جيش تحت امرة شاب حدث مجرد من الحسب والنسب والعشيرة[1]، كيف لا يقدر على تولية علي بن ابي طالب ، ابن الواحد والثلاثين

[1]. عذرا يا سيدي يا اسامة فانه يكفيك نسبا انك من صحابة رسول الله بل من احبهم اليه وانت الحب ابن الحب ولكننا نستعمل هذه الالفاظ لضرورة المناظرة، ويضطرنا اليه من يطعن فيكم وفي سادات المسلمين من الصحابة الكرام لاسيما الخلفاء الراشدين!

عاما، وهو الهاشمي البطل الشجاع زوج بضعة الرسول فاطمة الزهراء ، ووالد سبطيه سيدي شباب اهل الجنة الحسن والحسين ، المشهود له في القرآن وقد نزل فيه على زعم الشيعة اكثر من ربع القرآن؟!

ان دلالة تأمير اسامة على ذلك الجيش الذي ضم كبار الصحابة على قدرة الرسول وهيمنته على اصحابه ومجتمعه واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ولعل هذا الامر هو من اكبر دلالاته ، وربما نستطيع القول ان احد اهداف تأمير اسامة كان اختبار طاعة الصحابة للرسول ، وان كان هذا الاحتمال مستبعدا لانه لم يكن هناك حاجة الى اختبارهم لان السنين الماضية شاهدة على هذه الحقيقة وحافلة بعشرات ، بل بمئات الشواهد على طاعة الصحابة للرسول ومحبتهم له وتفانيهم من اجله وهيمنة الرسول على قلوب وارواح وعواطف المسلمين وكانت هذه من الامور المسلمة التي لا تحتاج الى الاختبار وقد ساهم القرآن بصورة مباشرة ، وغير مباشرة ايضا ، في تعزيز هذه المكانة اضافة الى ما أُوتي الرسول من الصفات القيادية التي تؤهله لقيادة اعتى المجتمعات واكثرها استعصاءً على الترويض.

8. امر آخر في غاية الاهمية: يقول الشيعة ان الصحابة لم يمتثلوا لأمر رسول الله وتباطئوا في الخروج لصغر سن اسامة[1]، اذن لماذا لم يعمل الرسول على قطع حجتهم وسد الطريق عليهم بتبديل اسامة طالما ان الهدف الاساس من البعثة كان ابعاد هؤلاء المتربصين بالخلافة من المدينة؟ هل يُعقل ان تكون هذه الوسيلة عائقا امام تحقيق ذلك الهدف العظيم ؟ اليس هذا ايضا من سوء التدبير وضعف التخطيط؟ ان العقل يقضي ان يسارع الرسول الى تبديل اسامة ليضمن خروج الجيش بسرعة ، لا أن يتمسك باسامة ويضيع الهدف الاسمى وهو ابعاد المتربصين بالخلافة .

9. وسؤال آخر في غاية الاهمية ايضا: هل كان الرسول يعلم بأنه يموت في مرضه هذا ام لا؟ وهل كان يعلم ان الانصار سيجتمعون في السقيفة ام لا ؟ وهل كان يعلم ان الناس سيبايعون ابابكر ام لا؟ او باسلوب آخر: هل كان عند النبي علم بما سيحدث بعده؟

[1]. السقيفة لمحمد رضا المظفر ص69 وما بعدها .

اظن ان الاجابة على هذا السؤال صعب وليس بالامر الهين وانه سيوقع الشيعة في حرج شديد ، لأنهم ان قالوا : نعم انه كان على علم بما سيحصل بعده وانه سيموت من مرضه ذلك وان الصحابة سيجتمعون في السقيفة ويبايعون ابابكر لماذا اذاً لم يخبر عليا بذلك ولم يخبره بما يفعله لقطع الطريق عليهم ويامره بحضور السقيفة او اي مكان يجتمع فيه الصحابة ويبث عيونه بين الناس ليأتوه بأخبارهم وتحركاتهم ؟ أو لماذا امر اهل بيته بتغسيله طالما يعلم ان الناس قد يستغلون انشغالهم به ويبرمون الامر فيما بينهم بعيدا عن علي وبني هاشم؟

ألا يُعد إشغال علي بتغسيله وتجهيزه تفويتا لتلك الفرصة عليه ؟

لو كنا نفكر كالشيعة لفسرنا هذا الامر على هذا الوجه كما يفسر الشيعة بعثة اسامة على ذلك الوجه ، ولكننا نؤمن بان الرسول (△) ما كان يخطط لا لإمارة علي ولا لحرمان غيره، وانه ادى الرسالة على احسن وجه وانه كان يعلم بعض ما سيحصل لأُمته على وجه الاجمال سواءً من خلال معرفته بطبيعة البشر او من اخبار الله تعالى له.

اننا لو كنا كالشيعة وتجردنا عن التقوى وعن الانصاف لقلنا ان رسول الله (△) كان يعلم ان عليا لو تسلم الخلافة سوف تحدث مشاكل بين المسلمين ويفتتن الناس به ويؤلّهونه لذا اراد ان يتخلص منه يوم الهجرة حين امره ان يبيت في فراشه، ثم انه حين فاته ذلك اراد ان يحرمه من الحكم من بعده لذلك امره ان يتكفل غسله وتكفينه الى ان ينتهي المسلمون من اختيار خليفتهم!

انني على يقين لو ان هذين الامرين حصلا في حق ابي بكر أوعمر لفسرهما الشيعة على هذا الوجه ولكن احدا من السنة لم ولن يفكر يوما بهذا الامر وانني ما اوردته هنا الاّ للاحتجاج على الشيعة على طريقتهم واقول لهم ان كنتم تفسرون بعثة اسامة على هذا الوجه فانه يوجد في حق علي اجراءات يمكن تفسيرها على طريقتكم ولكننا لم ولن نفعل.

لنعد الى السؤال الذي طرحناه آنفا: هل كان النبي يعلم بانه سيموت في مرضه ذلك ، وانه ستحدث بعده تلك الامور ام لا؟

اذا قال الشيعة : نعم انه كان يعلم تلك الامور بتفاصيلها ، فانه يكون بذلك مقصرا في حق علي اذ لم يخبره بها وبما يفعله وقد شغله عنها عندما امره بان يتولى غسله وتجهيزه. حاشا رسول الله ان يتواطأ مع احد او يتآمر على احد او يقصر في حق احد.

اما اذا قال الشيعة ان الرسول لم يكن يعلم بانه سيموت من مرضه ذلك وما سيحدث بعد موته ، نقول: اذاً كيف تقولون بان الهدف من تجهيز جيش اسامة كان ابعاد المتربصين بالخلافة واخلاء الجو لعلي حتى يتولى الامر من بعده طالما يعلم انه سوف لن يموت من مرضه ذلك ؟

سؤالٌ، الاجابة عليه بكلا وجهيه محرج للشيعة ، وهذا يدل على ان الهدف من تلك البعثة لم يكن ما يزعمه الشيعة وان الامر لم يكن مسرحية وانما اراد النبي على وجه الحقيقة ان يؤدب الروم ونصارى العرب وانه كان على يقين بأن الصحابة سوف لن يبخلوا على اسامة بالمشورة والنصح وأنهم سيقدمون مصلحة الاسلام على مصالحهم الشخصية وانهم سيقاتلون ببسالة تحت امرة اسامة ولن يدخروا وسعا لنصرة الاسلام وانهم سيقدمون ما تقر بهم عيون نبيهم (△).

10. نقطة اخرى ومهمة في بعثة اسامة هي :

ان التاريخ لم يذكر لنا هل زج الرسول كبار المهاجرين فقط في ذلك الجيش ام زج فيه زعماء الانصار ايضا ، لأنه ان كان قد اكتفى بزج المهاجرين فهذا يعني انه ما فعل شيئا لأن السقيفة اثبتت ان رجالا من الانصار كانوا يتطلعون الى الخلافة وهم الذين سارعوا، كما اسلفنا، الى اجتماع السقيفة لاختيار خليفة من الانصار وان سعدا المرشح للخلافة كان مريضا يومذاك اي انه كان في كل الاحوال سوف لن يشارك في تلك الغزوة ، ولو مات الرسول وكبار المهاجرين غياب لأُبرم الامر لسعد ولحُرم منه علي ، اي ان الاجراء كان سيكون لصالح الانصار لا لصالح علي لأن عليا على رواية اليعقوبي لم يكن ليترك جثمان النبي مهما حدثت من امور و بذلك كانت الامور ستتعقد اكثر عند عودة المهاجرين !

وعدم زج زعماء الانصار في ذلك الجيش يدل على ان النبي ما كان يعلم ان الانصار ايضا يتطلعون الى الخلافة وهذا ايضا دليل آخر –لو صح زعم الشيعة– على ان الرسول كان لا يعرف اصحابه جيدا وانه كان لايجيد حبك الخطط وتدبير الامور. حاشاه مما ينسبه اليه الافاكون!

11. وامر آخر هو ان طبيعة التوجيهات النبوية للجيش ولقائده –كما سيأتي– هي الاخرى تثبت ان الهدف منه كان قتال الروم ونصارى العرب وتأديبهم لا ابعاد الصحابة من المدينة .

الشروط المطلوبة في الجيش الذي يُندب لأداء مهمة ابعاد المتربصين بالخلافة:

واخيرا ، هناك شروط اساسية يجب توفرها في الجيش الذي يُراد به ابعاد الصحابة عن المدينة واخلاء الجو لعلي:

1–أن يكون على رأس الجيش رجل قوي محنك خبير بالحرب ومحل قبول الجند ، لكي يضبط الجند وتكون اوامره نافذة عليهم ولا يجدون حرجا في اطاعته.

2– أن يكون قائد الجيش من مؤيدي هذه الخطة ومن اهل ثقة المخطط(الرسول) ، لأنه لا يُعقل ان تُوكل مثل هذه الامور الى رجل معارض للخطة أو شخص لا يُوثق به.

3–أن يعلم هذا القائد الهدف من تجهيز الجيش وطبيعة المهمة الملقاة على عاتقه ويُخبَر بتفاصيل الخطة لكي يقوم بها على احسن وجه ولا يدّخر وسعاً لإنجاحها.وأن يُزَوّد بالمعلومات اللازمة حول مدة مكوثه خارج المدينة وكيف يتصرف اذا سمع بوفاة الرسول .

4– أن يُعيَّن له بعض الاعوان الاقوياء ليعينوه على تحقيق الهدف .

بهذه الترتيبات يمكن لمثل هذا الجيش ان ينجح في اداء مهمته ، ولكن يبدو ان بعثة اسامة كانت تفتقد الى كل هذه الامور لأداء مهمتها ان كانت المهمة، حقا، ابعاد المتربصين بالخلافة وتخلية الجو لعلي . أما ان كان الهدف ما ذكره السنة فان الجيش كان مكتمل الشروط سوى حداثة سن اسامة وعدم اختبار الناس له في الحرب والذي اثبت فيما بعد صحة اختيار الرسول له وصدق فراسته فيه.

تفاصيل البعثة :

وأخيرا ، أرى أنني اتعبت نفسي واتعبتكم معي بإيراد كل هذه التحليلات ، فإن ايراد قصة البعثة كانت كفيلة بإبطال وجهة نظر الشيعة ونسف فكرة المؤامرة ، فكما رأينا في السقيفة ، بمجرد ذكر تفاصيل ما حدث فيها تبين انه لا توجد هناك لا مؤامرة من قبل ابي بكر وعمر ولا هم يحزنون ! . لذلك فسوف نورد قصة هذه البعثة بكاملها وكما ذكرها الواقدي المعروف بميوله الشيعية في كتابه المغازي فاني رأيته احسن من اوردها من المتقدمين وهي كفيلة بإظهار الحقيقة ،و مليئة بالدروس والعبر، واظنك قد اشتقت الى معرفتها لتعرف تفاصيل ما حدث فيها:

يقول الواقدي: قالوا: لم يزل رسول الله (△) يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه ، ووجد عليهم وجْداً شديدا ، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة أمر رسول الله (△) الناس بالتهيؤ لغزو الروم وامرهم بالانكماش في غزوهم فتفرق المسلمون من عند رسول الله (△) وهم مجدّون في الجهاد ، فلما أصبح رسول الله (△) من الغد يوم الثلاء لثلاث بقين من صفر ، دعا اسامة بن زيد فقال : يا اسامة سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي الى مقتل ابيك ، فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش ، فأغِر صباحا على أهل أُبنى وحرّق عليهم ، وأسرِع السير تسبق الخبر ، فإن ظفرك الله فأقلِل اللبث فيهم ، وخذ معك الادلاء ، وقدم العيون امامك والطلائع . فلما كان يوم الاربعاء ليلتين بقيتا من صفر ، بدأ برسول الله (△) فصدع وحُمّ . فلما أصبح يوم الخميس ليلة بقيت من صفر عقد رسول الله (△) بيده اللواء ، ثم قال: يا اسامة أُغز باسم الله ،في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ، ولا تمنّوا لقاء العدو ، فانكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا: اللهم أكفناهم واكفف بأسهم عنا ! فإن لقوكم فاجلبوا وصيحوا ، وعليكم بالسكينة والصمت ، ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقولوا : اللهم نحن عبادك وهم عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك ، وانما تغلبهم انت! واعلموا أن الجنة تحت البارقة.

قالوا: ثم قال رسول الله (△) لاسامة : "إمض على اسم الله"! فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة بن الحصيب الاسلمي ، فخرج به الى بيت اسامة ، وامر رسول الله

(△) اسامة فعسكر بالجرف ، وضرب عسكره في سقاية سليمان اليوم. وجعل الناس يَجِدُّون بالخروج الى العسكر ، فيخرج من فرغ من حاجته الى معسكره ، ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ، ولم يبق احد من المهاجرين الاولين الا انتدب في تلك الغزوة : عمر بن الخطاب ، وابو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابي وقاص ، وابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال من المهاجرين والانصار عدة: قتادة بن النعمان ، وسلمة بن سلم بن جريش ، فقال رجال من المهاجرين وكان اشدهم في ذلك قولا عياش بن ابي ربيعة : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين ؟ فكثرت القالة في ذلك ، فسمع عمر بن الخطاب (◀) بعض ذلك القول ، فرده على ما تكلم به وجاء الى رسول الله (△) فأخبره بقول من قال ، فغضب رسول الله (△) غضبا شديدا ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: اما بعد ، يا ايها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة بن زيد ؟ والله ، لئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله ، وأيم الله ، ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق بالامارة ، وان كان لمن احب الناس الي ، وان هذا لمن احب الناس الي ، وانهما لمخيلان لكل خير ، فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم، ثم نزل (△) فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الاول ، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله (△) فيهم عمر بن الخطاب (◀) ورسول الله يقول: أنفذوا جيش اسامة ! ودخلت ام ايمن ، فقالت : اي رسول الله ، لو تركت اسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل ، فان اسامة ان خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال رسول الله (△) : أنفذوا بعث اسامة ! فمضى الناس الى المعسكر فباتوا ليلة الاحد ، ونزل اسامة يوم الاحد ورسول الله (△) ثقيل مغمور ، وهو اليوم الذي لَدُّوه فيه ، فدخل على رسول الله (△) وعيناه تهملان ، وعنده العباس والنساء حوله ، فطأطأ عليه اسامة فقبله ، ورسول الله (△) لايتكلم ، فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يصيبها على راس اسامة ، قال فأعرف انه كان يدعو لي . قال اسامة : فرجعت الى معسكري . فلما اصبح يوم الاثنين غدا من معسكره واصبح رسول الله مفيقا فجاءه اسامة فقال: اغد على بركة الله! فودعه اسامة ،

ورسول الله (△) مفيق مريح ، وجعل نساؤه يتماشطن سرورا براحته . فدخل ابوبكر (◀) فقال : يارسول الله ، أصبحت مفيقا بحمد الله ، واليوم يوم ابنة خارجة فاذن لي ! فأذن له فذهب الى السُنح ، وركب اسامة الى معسكره ، فصاح في الناس أصحابه باللحوق بالعسكر ، فانتهى الى معسكره ونزل وامر الناس بالرحيل وقد متع النهار . فبينا اسامة يريد ان يركب من الجرف أتاه رسول ام أيمن ، وهي امه ، يخبره ان رسول الله (△) يموت ، فأقبل اسامة الى المدينة معه عمر وابو عبيدة بن الجراح ، فانتهوا الى رسول الله (△) يموت ، فتوفي رسول الله (△) حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشر خلت من ربيع الاول. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف المدينة ، ودخل بريدة بن حصيب بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله (△) فغرزه عنده فلما بويع لأبي بكر (◀) امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان لا يحله ابدا حتى يغزوهم اسامة . قال بريدة : فخرجت باللواء حتى انتهيت به الى بيت اسامة ، ثم خرجت به الى الشام معقودا مع اسامة ، ثم رجعت به الى بيت اسامة ، فما زال في بيت اسامة حتى توفي اسامة. فلما بلغ العرب وفاة رسول الله وارتد من ارتد عن الاسلام ، قال ابوبكر لاسامة رحمة الله عليه: أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله (△)، واخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الاول ، وخرج بريدة باللواء حتى انتهى الى معسكرهم الاول ، فشق على كبار المهاجرين الاولين ، ودخل على ابي بكر عمر ، و عثمان ، وسعد بن ابي وقاص ، وابو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد فقالوا : يا خليفة رسول الله : ان العرب قد انتفضت عليك من كل جانب ، وانك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئا ، اجعلهم عدة لأهل الردة ، ترمي بهم في نحورهم ! واخرى، لا نأمن على اهل المدينة ان يغار عليهم وفيها الذراري والنساء ، فلو استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الاسلام بجرانه وتعود الردة الى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف، ثم تبعث اسامة حينئذ فنحن نأمن الروم ان تزحف الينا ! فلما استوعب ابوبكر منهم كلامهم قال: هل منكم احد ان يقول شيئا ؟ قالوا : لا ، قد سمعت مقالتنا . فقال : والذي نفسي بيده ، لو ظننت ان السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث ، ولا بدأت بأول منه ، ورسول الله ينزل عليه الوحي من السماء يقول : أنفذوا جيش اسامة !

ولكن خصلة ، اكلم اسامة في عمر يخلفه يقيم عندنا ، فانه لاغناء بنا عنه . والله ، ما ادري يفعل اسامة ام لا، والله ، ان راى لا أُكرهه! فعرف القوم ان ابابكر قد عزم على انفاذ بعث اسامة. ومشى ابوبكر (◀) الى اسامة في بيته ، وكلمه ان يترك عمر ، ففعل اسامة ، وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال اسامة: نعم! وخرج وامر مناديه ينادي : عزم مني ان لا يختلف عن اسامة من بعثه من كان انتُدب معه في حياة رسول الله (△) فاني لن أُوتى باحد ابطأ عن الخروج معه الاّ ألحقته به ماشيا. وأرسل الى النفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في امارة اسامة ، فغلظ عليهم واخذهم بالخروج ، فلم يتخلف من البعث انسان واحد. فخرج ابوبكر يشيع اسامة والمسلمين ، فلما ركب اسامة من الجرف في اصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم الف فارس فسار ابو بكر (◀) الى جنب اسامة ساعة، ثم قال : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، اني سمعت رسول الله (△) يوصيك ، فانفذ لأمر رسول الله (△)، فاني لست آمرك ولا انهاك عنه ، وانما انا منفذ لأمر امر به رسول الله (△). فخرج سريعا فوطأ بلادا هادئة لم يرجعوا عن الاسلام ، جهينة وغيرها من قضاعة ، فلما نزل وادي القرى قدم عيناً له من بني عذرة يقال له حريث، فخرج على صدر راحلته امامه فغدا حتى انتهى الى أبنى ، فنظر الى ما هناك وارتاد الطريق ، ثم رجع سريعا حتى لقي اسامة على مسيرة ليلتين من أبنى ، فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم ، وامره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع ، وأن يشنها غارة.

قال: فحدثني هشام بن عاصم ، عن المنذر بن جهم قال: قال بريدة لاسامة: يا ابا محمد اني شهدت رسول الله (△) يوصي اباك أن يدعوهم الى الاسلام ، فان اطاعوه خيرهم ، وان احبوا ان يقيموا في دارهم ويكونوا كأعراب المسلمين ، ولا شيء لهم في الفيء ولا الغنيمة الاّ أن يجاهدوا مع المسلمين ، وان تحولوا الى دار الاسلام كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، قال اسامة: هذا وصية رسول الله (△) لأبي ، ولكن رسول الله (△) امرني ، وهو آخر عهده الي، أن أُسرع السير وأسبق الاخبار ، وأن أشن الغارة عليهم بغير دعاء ، فأحرق وأُخرب ، فقال بريدة: سمعا وطاعة لأمر رسول الله (△).

فلما انتهى الى أُبنى فنظر اليها منظر العين عبأ اصحابه وقال: اجعلوها غارةً ولا تُمعنوا في الطلب ولا تفترقوا ، واجتمعوا واخفوا الصوت واذكروا الله في أنفسكم ، وجردوا سيوفكم وضعوها فيمن أشرف لكم . ثم دفع عليهم الغارة ، فما نبح كلب ولا تحرك احد ، وما شعروا الاّ بالقوم قد شنوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم: يا منصور أمت !. فقتل من اشرف له ، وسبى من قدر عليه ، وحرق في طوائفهم بالنار ، وحرق منازلهم وحرثهم ونخلهم، فصارت اعاصير من الدخاخين. وأجال الخيل في عرصاتهم ، ولم يمعنوا في الطلب ، أصابوا ما قرب منهم وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما اصابوا من الغنائم . وكان اسامة خرج على فرس ابيه التي قتل عليها ابوه يوم مؤتة وكانت تدعى سبحة ، وقتل قاتل ابيه في الغارة ، أخبر به بعض من سبى، وأسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهما، واخذ لنفسه مثل ذلك. فلما امسوا امر الناس بالرحيل ، ومضى الليل امامه ، حريث العذري، فاخذوا الطريق التي جاء منها، ودانوا ليلتهم حتى انتهوا بارض بعيدة ، ثم طوى البلاد حتى انتهى الى وادي القرى في تسع ليال ، ثم قصد بعد في السير ، فسار الى المدينة ، وما اصيب من المسلمين احد. فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص، فدعى بطارقته فقال : هذا الذي حذرتكم ، فأبيتم ان تقبلوه مني. قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر تغير عليكم ، ثم تخرج من ساعتها ولم تُكْلَم . قال اخوه: سأقوم فأبعث رابطة تكون بالبلقاء . فبعث رابطة واستعمل عليهم رجلا من اصحابه ، فلم يزل مقيما حتى قدمت البعوث الى الشام في خلافة ابي بكر وعمر(رض). قالوا: واعترض لاسامة في منصرفه قوم من اهل كثكث قرية هناك قد كانوا اعترضوا لأبيه في بدأته فأصابوا من اطرافه ، فناهضهم اسامة بمن معه ، وظفر بهم وحرق عليهم ، وساق نعما من نعمهم ، واسر اسيرين فأوثقهما ، وهرب من بقي، فقدم بهما المدينة فضرب اعناقهم.

قال: بعث اسامة بن زيد بشيره من وادي القرى بسلامة المسلمين ، وأنهم قد أغاروا على العدو فاصابوهم ، فلما سمع المسلمون بقدومهم خرج ابوبكر (◀) في المهاجرين ، وخرج اهل المدينة حتى العواتق سرورا بسلامة اسامة ومن معه من المسلمين، ودخل يومئذ على فرسه سبحة فكأنما خرجت من ذي خشب، عليه الدرع ، واللواء امامه يحمله بريدة ، حتى انتهى به الى المسجد، فدخل فصلى ركعتين وانصرف الى بيته معه اللواء.

وكان مخرجه من الجرف لهلال شهر ربيع الاخر سنة احدى عشرة فغاب خمسة وثلاثين يوما، عشرون في بدأته وخمسة عشر في رجعته.

وهناك امور أغفلها الواقدي لها دلالاتها ، منها:

1- طلب الانصار من ابي بكر تبديل اسامة برجل اسن منه و ردّ ابي بكر عليهم.

2- اقوال اهالي القرى الذين مر بهم الجيش والتي مفادها ان المسلمين لابد ان يكونوا اقوياء لكي يبعثوا بهذا الجيش الى تخوم الشام لمواجهة الروم .

3- تكملة كلام هرقل الذي يظهر فيه تعجبه من المسلمين وهم يغزون الروم بعد وفاة نبيهم مباشرة .

اما عن النقطة الاولى فقد اورد الطبري هذه الرواية في كتابه تاريخه ج2 ص 246تحت عنوان ذكر ماجرى بين المهاجرين والانصارفي امر الامارة في سقيفة بني ساعدة:

حدثنا عبيدالله قال حدثني عمي قال أخبرني سيف وحدثني السري قال حدثنا شعيب قال حدثنا سيف عن أبي ضمرة وأبي عمرو وغيرهما عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل وفاته بعثا على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم فوقف اسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس فإن معي وجوه الناس وحدهم ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الأنصار فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فخرج عمر بأمر أسامة وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فإن الأنصار أمروني أن أبلغك وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم وتأمرني أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقالوا له ما صنعت فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله.

وعن النقطة الثانية فقد جاء في البداية والنهاية لابن كثير ج6 ص 336:

فوجه اسامة ، فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا : لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام.

دلالات بعثة اسامة :

1-ان أول شيء يدل عليه تجهيز ذلك الجيش بقيادة اسامة بن زيد هو سلطة الرسول (△) وهيمنته على أصحابه حيث يجهز جيشا بقيادة شاب لا يبلغ عمره العشرين عاما ولا يمتلك من الخبرة العسكرية شيئا يُذكر وارساله الى مكان بعيد يفصل بينه وبين المدينة مئات الاميال ثم يزج فيه كبار الصحابة سواءَ من الذين كانوا قادة عسكريين كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص أو من الوزراء والمستشارين كعمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابي وقاص. ان مجرد اصدار أمر من هذا القبيل دليل قاطع على هيمنة الرسول على الاوضاع وعلى مجتمعه ونفاذ كلمته فيهم ويقينه بطاعة الناس له ، ولو كان الامر خلاف ذلك لما تجرأ (△) على طرح تلك الفكرة اساسا ناهيك عن الشروع بتنفيذها ، ولمَا أوقع نفسه في ذلك الموقف الحرج والاختبار الصعب وهو القائد المربي العارف بالامور والمؤيد بالوحي .

2- والامر الثاني والذي يتصل بالاول هو ان هذا الحادث يثبت مدى طاعة الصحابة للرسول (△) وثقتهم به بحيث تذوب حيال اختياره وارادته جميع الاعتبارات ويبقى امر الرسول هو الاساس لكل اعتبار ، فالقدم والخبرة والقرب من الرسول والمكانة الاجتماعية ،كلها تطرح جانبا إزاء إرادة الرسول، فالاعتبار لما اراده الرسول فقط لا لشيء آخر ، فإذا قال الرسول (△) ان القائد الفلاني ، او المستشار الفلاني سيكون جنديا تحت امرة الشاب الفلاني الذي لا يمتلك الخبرة العسكرية فالكل يطيعون ولا يُلتفت الى اي شيء سوى الامر الذي اصدره الرسول(△). نعم كان هناك بعض الامتعاض والاعتراض على هذا الاجراء في اول الامر وهذا من طبيعة البشر ولكن العبرة بالنهاية وهي الرضوخ التام للامر.

ان الذي يُقدم على مثل هذا الاجراء ثم يُطاع هل يمكن وصفه ، ولا نقول اتهامه، بانه غير مهيمن على اصحابه او انه غير مطاع في قومه؟ اظن ان الاجابة واضحة وهي النفي التام.

رد شبهة:

ولكن يبقى هناك سؤال مهم وهو : ان كان هذا الكلام صحيحا من طاعة الصحابة للرسول ونفوذ كلمته فيهم لماذا إذاً لم يغادر الجيش المدينة ولم يذهبوا الى حيث أُمروا؟ ألا يعد هذا مناقضا لما قلتموه ؟

هذا الامر يدندن الشيعة حوله كثيرا ويريدون ان يخرجوا منه بنتيجة مفادها ان الصحابة ما كانوا يطيعون الرسول ولا يمتثلون اوامره . وهم يترصدون جميع المواقف التي وقف فيها الصحابة موقف المستفسر من اوامر الرسول او المتباطيء قليلا في تنفيذها ليدعموا بها موقفهم العدائي من الصحابة دون محاولة دراسة حيثيات تلك الامور ولا دوافع الصحابة فيما كانوا يفعلونه . وفي موضوع بعثة اسامة واعتراض بعض الصحابة على تأميره وتوقف الجيش في الجرف قريبا من المدينة يلجأ الشيعة الى الطعن في الصحابة انطلاقا من هذه النظرة السوداوية لهم والمواقف العدائية منهم .

في الرد على هذه الشبهة نقول:

اولا: ان الذي تباطأ في الخروج أو مغادرة المدينة – ان صح ان نسمي ذلك تباطؤاً– هو قائد الجيش الذي ظل مرابطا في الجرف ولم يغادرها حتى يطمئن على صحة رسول الله (△) ، وكان هذا عين الصواب وما تقتضيه العلاقة الوطيدة التي تربط اسامة برسول الله(△) وهو الحب بن الحب كما كان يسميه رسول الله (△)، واي انسان يطاوعه قلبه ان يترك المدينة ورسول الله يكابد المرض ولا يُدرى ما سيؤول اليه امره؟ ولو فعله اسامة وغادر المدينة لانبرى الذين يلومونه على عدم مغادرته المدينة الى انتقاده بمغادرة المدينة ورسول الله يعاني من مرض الموت!.

ثانيا: ثم ان الرسول△ لم يغضب على اسامة حين رآه عنده بل مسح على رأسه ودعا له مما يؤكد انه (△) قدّر سبب تأخر اسامة عن المسير الى حيث امره ، وهو حب الرسول والحرص عليه △ ، وهذا دليل على ان هدف البعثة لم يكن ابعاد الصحابة عن المدينة.

ثالثا: أما عن اعتراض الصحابة على تأمير اسامة فنقول: ان الذين اعترضوا على امارة اسامة كانوا نفرا قليلا من المهاجرين على رأسهم عياش بن ابي ربيعة ، اما عمر فردّه واخبر رسول الله △ بمقولته ، أي ان عمر لم يكن من المعترضين على تأمير اسامة بل انكر على المعترضين اعتراضهم على رسول الله تأميره اسامة بن زيد[1].

3- ومن دلالات البعثة: تقيد الصحابة بتعاليم الرسول △ ، اولهم ابو بكر ، فانه:

اولا: لم يلغ البعثة ولم يؤخرها رغم حدوث ظروف جديدة تسمح باعادة النظر بهذه البعثة .

ثانيا: لم يستجب لمطالب الذين اقترحوا عليه تغيير اسامة واستبداله بمن هو اسن منه واخبر .

ثالثا : لم يزد على وصية الرسول لاسامة شيئا وانما امره بان يعمل بما اوصاه به رسول الله وقال اني سمعت رسول الله (△) يوصيك ، فانفذ لأمر رسول الله (△)، فاني لست آمرك ولا انهاك عنه ، وانما انا منفذ لأمر امر به رسول الله (△).

وثانيهم اسامة ، فإنه حين اقترح عليه بريدة بأن يبدأ بما بدأ به ابوه زيد حين بعثه رسول الله △ الى مؤتة قال له اسامة ان ذلك كان من تعاليم الرسول لأبي أما أنا فقد أمرني رسول الله △ بغير ذلك وافعل ما امرني به رسول الله△، وهذا نص كلامهما:

قال بريدة لاسامة: يا ابا محمد اني شهدت رسول الله (△) يوصي اباك أن يدعوهم الى الاسلام ، فان اطاعوه خيرهم ، وان احبوا ان يقيموا في دارهم ويكونوا كأعراب

---

[1]. يحاول الشيعة جاهدا ان يثبتوا وجود ابي بكر وعمر ضمن ذلك الجيش للطعن فيهما والانتقاص من شأنهما وجعلها دليلا على عدم اهليتهما للخلافة بحجة ان الرسول امر عليهما شابا حدثا مثل اسامة !
نقول: ان وجود ابي بكر وعمر في هذا الجيش لا يقدح في مكانتهما انما هو دليل على تمام طاعتهم للرسول (△) وتمام هيمنة الرسول (△) على اصحابه. وهذا لايعني أني أُسلّم بوجودهما ضمن ذلك الجيش لاسيما ابوبكر فهذا من المسلم به عندى انه لم يكن ضمن ذلك الجيش وقد قلت بوجودهما جدلا وتسليما لقول الشيعة لأُثبت بان هذا الذي يسعون جاهدين لأثباته لا يخدم قضيتهم بل ينعكس عليهم كما سترى فيما بعد.

المسلمين ، ولا شيء لهم في الفيء ولا الغنيمة الاّ أن يجاهدوا مع المسلمين ، وان تحولوا الى دار الاسلام كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، قال اسامة: هذا وصية رسول الله (△) لأبي ، ولكن رسول الله (△) امرني ، وهو آخر عهده الي، أن أُسرع السير وأسبق الاخبار ، وأن أشن الغارة عليهم بغير دعاء ، فأحرق وأُخرب ، فقال بريدة: سمعا وطاعة لأمر رسول الله (△).

حديث يوم الخميس:

لا يمكن الحديث عن الصحابة وعن النص والبيعة دون الحديث عن هذه الحادثة التي رواها البخاري ومسلم على لسان ابن عباس (رض) والتي يروج لها الشيعة كثيرا ، ويعولون عليها في الطعن في الصحابة أولا، لاسيما عمر ، واعتبارها دليلا على امامة علي ثانيا، ويعدونها دليلا على عزم الرسول على تنصيب علي خليفة على المسلمين وعلى عصيان الصحابة له، ويحتجون بها على اهل السنة ويقولون ان النبي △ كان يريد ان يكتب كتابا بولاية علي ولكن عمر حين علم بنية الرسول حال بينه وبين كتابة ذلك الكتاب!.

قبل ان نورد الحديث لابد ان نشير الى جملة من الامور:

1. رُوي هذا الحديث عن ابن عباس بطريقين : طريق عبدالله بن عتبة بن مسعود وطريق سعيد بن جبير وبصيغ مختلفة كلها لا تفيد الشيعة بشيء كما سنبين فيما بعد .

2. وهذه الصيغ فيها اختلاف كبير فيما بينها ، وهذه الاختلافات لها دلالاتها كما سنفصل فيما بعد .

احدى هذه الصيغ ليس فيها ذكر يوم الخميس والثانية ذكر فيها يوم الخميس.

صيغة تقول ان الرسول اوصاهم بثلاث ، واخرى لا تذكر الوصية ، وصيغة ورد فيها اسم عمر بن الخطاب ، واخرى لم يرد فيها اسمه !

فالصيغة التي تذكر الوصية تختلف عن التي لا تذكر الوصية ، فالتي لا تذكر الوصية يأتي فيها قول ابن عباس : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم

ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم، ولكن الصيغة التي تذكر الوصية لم يرد فيها هذه العبارة .

والصيغة التي تذكر الوصية بعضها يوحي انه اوصى في نفس ذلك المجلس وبعضها تقول انه اوصى عند موته .

والصيغة التي يرد فيها اسم عمر تختلف عن التي لا يرد فيها اسم عمر ، فالتي يرد فيها اسم عمر تقول انه قال : ان رسول الله △ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، اما التي لا يرد فيها اسم عمر تقول انهم قالوا : (هجر رسول الله △) او (ما به اهجر) !

وللشيعة تفسير غريب حول هذا الاختلاف في هاتين الصيغتين الاخيرتين ، نابع عن موقفهم العدائي من عمر: يقولون ان القائل في الروايتين هو عمر ولكن الراوي حين ذكر اسم عمر لم يجرؤ على نسبة كلمة (هجر) اليه !

وهذا الكلام نابع عن الجهل حيث يظنون ان ابن عباس او اللذين رويا الحديث عنه رووه في عهد عمر لذا خافوا ان يوردوا اسمه او ينسبوا اليه ذلك الكلام ولا يدرون ان الحديث روي بزمن طويل بعد عمر بدليل ان كلا الراويين اللذين رويا الحديث عن ابن عباس من التابعين ، احدهما وهو عبد الله بن عتبة ولد اما في اواخر عهد الرسول △ او بعد موته بقليل وتوفي عام **74**هجري أي انه كان صغيرا في عهد عمر ، وثانيهما وهو سعيد بن جبير ولد سنة **46** للهجرة أي بعد موت عمر بأكثر من ثلاثين سنة ، فلم يكن هناك من يخشونه .

واليك الآن بعض صيغ هذا الحديث:

أ. المجموعة الاولى، عن طريق عبد الله بن عتبة:

- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فَقَالَ النبـــــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لاخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ (صحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته)

– حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلَافَ عِنْدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا . قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ.

صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عني، باب كراهية الخلاف وَ مسلم باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

ب.المجموعة الثانية، عن طريق سعيد بن جبير:

– حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ

يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نبي تَنَازُعٌ فَقَالُوا هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ (البخاري باب/هل يستشفع الى اهل الذمة ومعاملتهم).

– حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نبي تَنَازُعٌ فَقَالُوا مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ قَالَ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا(البخاري باب مرض النبي ووفاته)

– حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ وَاللَّفْظُ لِسَعِيدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى فَقُلْتُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ قَالَ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نبي تَنَازُعٌ وَقَالُوا مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ قَالَ دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ قَالَ وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَهَا فَأُنْسِيتُهَا(مسلم باب/ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه).

– حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ الأَحْوَلِ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – يَقُولُ: يَوْمُ الْخَمِيسِ ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى . قُلْتُ يَا أَبَا عَبَّاسٍ ، مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ قَالَ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَجَعُهُ فَقَالَ « ائْتُونِى بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا » . فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِى عِنْدَ نَبِىٍّ تَنَازُعٌ فَقَالُوا مَا لَهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ . فَقَالَ « ذَرُونِى ، فَالَّذِى أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِى إِلَيْهِ – فَأَمَرَهُمْ بِثَلاَثٍ قَالَ – أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ » . وَالثَّالِثَةُ خَيْرٌ ، إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا ، وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَنَسِيتُهَا . قَالَ سُفْيَانُ هَذَا

مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ .(البخاري باب اخراج اليهود من جزيرة العرب) أي ان سليمان لا يدري هل سكت عنها سعيد بن جبير او ذكرها سعيد ونسيها هو.

المجموعة الاولى رواها الزهري عن عبيد الله (احد الفقهاء السبعة المشهورين في المدينة) عن ابيه عبد الله بن عتبة التابعي ابن اخي عبد الله بن مسعود المولود في اواخر عهد النبي او بعد موته △ بقليل و المتوفى سنة 74 للهجرة وهي تختلف عن المجموعة الثانية بامور :

1. ليس فيها اشارة الى يوم الخميس.

2. ليس فيها ذكر الوصية وانما جاء فيها ان الرسول اخرجهم من البيت.

3. ذكر فيها اسم عمر بن الخطاب .

4. ليس فيها لفظة : (هجر) او(ما به أهجر) وانما فيها عبارة: (ان رسول الله قد غلبه الوجع عندكم القرآن حسبكم كتاب الله) .

5. جاء فيها عبارة : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب . أي ان الرسول لم يكتب وصيته تلك ولم يبلغها.

اما المجموعة الثانية فقد رواها مجموعة من الرواة عن سعيد بن جبير الذي ولد سنة 46 للهجرة وتوفي سنة 95 للهجرة عن تسع واربعين سنة قتله الحجاج بن يوسف لمشاركته في ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ، نلاحظ فيها:

1. ذكر فيها يوم الخميس .

2. ورد فيها الوصية ولكن بصيغ مختلفة : واحدة بصيغة (وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلاثٍ) مما يفيد ان الوصية لم تكن في نفس اليوم ونفس المجلس واخرى بصيغة: (اوصاهم بثلاث) و (اوصيكم بثلاث) وثالثة بصيغة (فامرهم بثلاث) مما يفيد انه اوصاهم في ذلك المجلس .

3. لم يرد فيها اسم عمر .

4. ورد فيها عبارة:(هجر رسول الله) او (مابه أهجر استفهموه) .

5. ورد فيها عبارة : (دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه).

6. لم يرد فيها عبارة :(ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب)

هذه الاختلافات تدل على ان ابن عباس روى هذه الحادثة مرتين ، مرة لعبد الله بن عتبة بن مسعود ومرة لسعيد بن جبير ولكن لماذا ورد فيها كل هذه الاختلافات ؟ لا ادري ! لعل سعيد بن جبير سأله ان كان رسول الله △ قد اوصى بعد ذلك ام لا.

والمشترك بين هاتين المجموعتين هو :

1. انه كان في يوم اشتداد المرض برسول الله △ .

2. ان رسول الله △ أراد ان يكتب كتابا لا يضلون بعده.

3. حصل اختلاف وتنازع بين الحاضرين وعلى اثره لم يتم احضار الكتف والدواة ، وعليه لم يتم كتابة الكتاب الذي ازمع رسول الله △ كتابته.

فهل هاتان الروايتان تتحدثان عن حادثة واحدة ام عن حادثتين مختلفتين؟ الراجح انهما تتحدثان عن حادثة واحدة لأن المفاصل الرئيسية في الروايتين واحدة ، واهم اختلاف بينهما هو الوصية ، ففي رواية اوصى الرسول △ وفي الاخرى لم يوص! ويمكن التوفيق بينهما بالقول بان الرواية التي رواها سعيد بن جبير عن ابن عباس والتي ذكرت الوصية ، لانه قد يكون سعيد بن جبير تتبع الامر واستفسر عنه ابن عباس فتوصل الى ان الرسول △ قد اوصى في ذلك اليوم، اما عبدالله بن عتبة فيبدو انه لم يستفسر عن ابن عباس عما اذا كان النبي اوصى بعد تلك الحادثة ام لا فاوردها كما سمعها من ابن عباس مما توحي ان الرسول حين امتنع الحاضرون عن احضار الدواة والقرطاس اكتفى باخراجهم من البيت.

والآن وبعد ان سقنا هذه الروايات تعال بنا لنحللها لنرى هل فيها مستمسك للشيعة ودليل على ما يقولون ام لا؟ وسندرسها من جهتين : من جهة عدم دلالتها على امامة علي ، ومن جهة عدم دلالتها على مخالفة الصحابة للرسول△ واساءة الادب معه .

اولا : من جهة عدم دلالتها على امامة علي:

1- يقول الشيعة ان الوصية التي يدعي الراوي انه نسي الثالثة منها في الحقيقة انه لم ينسها ولكنه أخفاها عن عمد لأنها كانت في امامة علي ، فأخفاها اما خوفا من السلطة اولأنها كانت مخالفة لهواه !

والجواب:

أ. ان الذي روى هذا الحديث هو سعيد بن جبير الذي يعده الشيعة منهم فكيف يخفي هذه الوصية ان كان في امامة علي لاسيما وان سعيدا لم يكن خائفا من السلطة بل واجههم بكل شجاعة وآثر الموت على الاعتراف بخلافة عبد الملك بن مروان .

ب. لو كان الراوي متعمدا اخفاء الوصية الثالثة وتجرأ على ذلك فلماذا لم يبدلها من اساسها ويقول بانها كانت في ولاية ابي بكر بدلا من اخفائها ؟ فالذي يتجرأ على اخفاء حقيقة لأغراض سياسية أو خوفا من السلطان ، يستطيع ان يبدلها بشيء يخدم السلطة ويجلب به نفعا لنفسه ويتقرب به من السلطان.

ج. جاء في احدى الروايات هذه العبارة: (والثالثة خير) فلو كانت في امامة علي وبهذه الاهمية لما نسيها ولما قال عنها انها خير ، بل ربما قال والثالثة عظيمة لا أقدر أو لا أجرؤ على البوح بها لانني لو بحت بها لفعل بي كذا وكذا ، كما قال ابو هريرة مرة : (حفظت من رسول الله △ وعائين فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم)[1]، لا سيما وان الرواة غير متهمين بمعاداة علي !

2- هذا الحديث رواه البخاري ومسلم واحمد والنسائي وغيرهم و ظاهره ذم للصحابة فلم يثنهم ذلك عن روايته مما يدل على ان رواة السنة وعلى رأسهم الصحابة رووا كل ما سمعوه من الرسول، مالهم وما عليهم، وهو يكفي لرد اتهام الشيعة لهم بانهم لم يرووا جميع ما سمعوه من الرسول خوفا من السلطات او لاعتبارات سياسية او مذهبية او غيرها. فلو كان الصحابة من النوع الذي يخفون الحقائق أو يبدلونها لما رووا الاحاديث التي توحي ظاهرها بذمهم ، او الاحاديث التي تمدح عليا واهل بيته . فوجود مثل هذه الاحاديث يدل دلالة قاطعة على ان الصحابة والتابعين ماكانوا يراعون السلطة السياسية في رواية الاحاديث وانهم اتسموا بالصدق والامانة والانصاف في كل ما رووه من احاديث. واما احتجاج الشيعة بقول ابي هريرة بانه لو بثّ كل ما عنده من احاديث لقُطع بلعومه يفسر بأن أبا هريرة قصد منه ذلك المجلس فقط وليس على الدوام لأنه روى احاديث كثيرة يوحي ظاهرها بذم

---

[1]. رواه البخاري في صحيحه (1 / 216) / باب حفظ العلم .

حكم بني امية ، واحاديث كثيرة اخرى في مدح علي واهل بيته وسائر افراد أهل البيت ، فلو كان ابو هريرة مُخفياً شيئاً لأخفى هذه الاحاديث ، ولكنه لم يفعل مما يدل على ان الخوف من السلطة لم يكن حائلا دون رواية ما سمعوه من رسول الله△ . نعم جاء فيما بعد اناس وضعوا احاديث على لسان الصحابة لدعم فكرة سياسية او للترويج لمذهب معين وقد تصدى علماء الحديث لتلك المحاولات ووضعوا قواعد صارمة للحيلولة دون تشويه الاسلام وقد نجحوا في ذلك ايما نجاح، ولكن لم يستطيعوا ان يوقفوا تلك الحملة لأن ذلك ليس في مقدورهم ولا في مقدور غيرهم ، ويكفي انهم وضعوا لنا قواعد متينة للحكم على الروايات وتمييز صحيحها عن سقيمها.

3– ان كان المقصود من ذلك الكتاب كتابة عهد بامامة او خلافة علي، كما يقول الشيعة، عندئذ نسأل: ما الحاجة الى كتابة هكذا عهد لعلي وقد أُخذت له البيعة في غدير خم ،كما يزعم الشيعة، قبل بضعة اشهر ؟ وان القرآن، في زعمهم ، قد نص على امامته قبل ذلك في آيات عديدة ، والرسول نص عليه في احاديثه ، وانه قد تَوّج آيات القرآن ووصاياه ببيعة غدير خم ، فما الحاجة بعد ذلك الى كتابة كتاب يعهد فيه بالخلافة لعلي ؟ اليس هذا بمثابة تحصيل الحاصل؟

اذا كان الصحابة قادرين على اخفاء او اهمال بيعة جرت امام الملأ واشترك فيها مالايقل عن مائة الف رجل وامرأة، كما يزعم الشيعة[1]، فما الذي يمنعهم من اهمال كتاب كتبه في مرض موته امام بضعة اشخاص ؟ وإذا كان علي◀ قد تقاعس او خشي، حاشاه، عن المطالبة بحق شهد عليه مائة الف و الاحتجاج به على ابي بكر وعمر، فهل يجرؤ على الاحتجاج بكتاب يكتبه الرسول امام بضعة أشخاص؟

وليس هذا فحسب بل يقول الشيعة ان النبي △ اعلن امامة علي في مكة في حديث الدار قبل غدير خم بحوالي عشرين سنة، والآيات التي يستدلون بها على امامة علي جاءت

---

[1]. هذا الرقم غير صحيح لانه ليس كل الذين حضروا حجة الوداع رجعوا مع رسول الى المدينة بل تفرقوا عنه وما بقي معه الا اهل المدينة وما حولها والذي لا يتجاوز عددهم عشرين الفا في احسن الاحوال .

بين هاتين الفترتين ، وهذا يستلزم ان تكون امامة علي قد وصلت خلال تلك الفترة الى مرتبة الامور المسلمة و المعلومة من الدين بالضرورة، ولا يمكن ان تكون مسألة بهذه الاهمية وهذا الوضوح خافية على الصحابة ، وعليه كان يجب ان يتعامل الناس مع علي كنائب للنبي في كل الامور وان ينظروا اليه كولي للعهد فيرجعوا اليه في امورهم وان يكون له دور حيوى في حياة النبي، لاسيما في مثل هذه المواقف، كذلك يستلزم ان يُوكل النبي اليه الامور في حياته وان يجتمع الناس اليه فور وفاة الرسول△ ليبايعوه ، فلم يكن هناك ادنى حاجة الى كتابة كتاب بامامته .

كذلك لم تكن هناك حاجة الى مخاطبة جميع الموجودين في البيت ان كان القصد منه كتابة كتاب بامامة علي بل كان يكفي ان يستدعي عليا ويكلفه باحضار الدواة والقرطاس بصفته نائبا له ، لا ان يخاطب جمهور الحاضرين باحضار الدواة والقرطاس ليكتب لهم وصيته ، و يستلزم ان يتعامل مع علي على اساس انه خليفته فيوصيه ، لا ان يكتب له كتابا بامامته وكأنه لم يبينها من قبل ، ولأنه لو كانت هذه الايات والاحاديث والاحداث دالة على امامة علي كان يجب ان تصبح امامة علي من الامور المسلمة التي لا يعذر احد بجهلها كالايمان بالله ورسوله واليوم الآخر والصلاة والصوم ، وان كان هناك حاجة الى تذكير الناس بها لاستوجب ان يكون شبيها بصيغة التذكير ببقية الامور كالصلاة والصوم وتقوى الله ، أي التذكير بعدم التهاون في شان الامامة والتاكيد على طاعة علي لا عرضها بصيغة كانها لم تعرف من قبل وكأنها تذكر لأول مرة!

4– ان القول بأن الرسول△ كان يريد ان يكتب كتابا بإمامة علي مع وجود كل تلك النصوص و بعد حادثة الدار وبيعة الغدير –كما يسميها الشيعة– يلزم منه القول بأن الرسول ما لجأ اليه الاّ لعلمه بأن الصحابة سوف يتنكرون لكل تلك الامور لذا اراد ان يوثقها بالكتاب والاّ لو علم انهم سيمتثلون اوامر القرآن واوامره لما لجأ الى كتابة الكتاب ولأوكلهم الى ايمانهم ، وفي هذه الحالة كان يستوجب ان يتخذ اجراءات اكثر صرامة مما فعل، كأن :

أولا– يأمر بكتابة ذلك الكتاب قبل ذلك اليوم، أي في ايام صحته لا يوم يشتد به المرض ولا يقوى على الحركة !

ثانيا– يجمع الناس في المسجد ويبلغهم صراحة وبوضوح دون لبس بان عليا خليفته من بعده ليقطع الطريق على المعارضين ، او يدعو بعض اصحابه ممن عرفوا بالولاء لعلي كالعباس وابو سفيان وابوذر والمقداد وغيرهم ويملي عليهم الكتاب ويأمرهم بأن يقرؤوه على الناس بعد موته اذا احسوا أنهم مالوا عن علي الى غيره ، او يقرؤوه بعد موته مباشرة ولم يكن احد يجرؤ على اتهام كتبة الوصية بالتزوير او يخرجوا على مقتضى الوصية ،كما فعل ابو بكر عندما املى وصيته على عثمان بتولية عمر ولم يجرؤ احد على اتهام عثمان باختلاق الوصية من عنده ، كما لم يجرؤ احد على مخالفة وصيته ، وكما فعل سليمان بن عبد الملك حين اراد ان يصرف الخلافة عن اخوته ويوصي بها لابن عمه عمر بن عبد العزيز دعا حاجبه رجاء بن حيوة واملى عليه وصيته وامره ان يقرأه على الناس فقرأه عليهم بعد موت سليمان ومع ذلك لم يملك احد مخالفته رغم المعارضة الشديدة من ابناء عبد الملك .

ثالثا– يأمر عليا بأن يؤم الناس بالصلاة وان يرسله اميرا على الحج بدلا من ابي بكر لكي لا يتخذوها ذريعة للمطالبة بالخلافة، فهذه الاجراءات توحي للناس بأن هذا الشخص هو نائبه . والغريب في الامر ان الشيعة يحتجون بارسال علي مبلغا لسورة براءة ويستدلون بها على امامته ونيابته للرسول في حين ان ابا بكر ظل هو الامير على الحج ، فهذه الحادثة واضحة الدلالة على ان عليا كان بمثابة المبعوث الخاص للرسول لابلاغ تلك الرسالة الى المشركين ، وهذا الامر يحدث في عصرنا ايضا فان الرؤساء يبعثون بمبعوثيهم الخاصين الى بعض الاماكن للاشراف على بعض الامور بانفسهم مع وجود نواب رسميين لهم او وجود رؤساء لتلك المقاطعات، كما ان هناك ناطقين رسميين باسم الرؤساء او مكاتبهم دون ان يكونوا نوابا لهم في ادارة البلاد او نوابا لهم بعد موتهم .

ربما يقول الشيعة أن الرسول اتخذ اجراءا عمليا لتولي علي الخلافة وذلك بتجهيز جيش اسامة وزج كبار الصحابة فيه لابعادهم عن المدينة ريثما يتم الامر لعلي ، نقول : لقد اثبتنا بطلان هذا الرأي وتحدثنا عنه بما فيه الكفاية واثبتنا ان مثل ذلك الاجراء لم يكن ليحقق

ذلك الهدف . ولو سلمنا جدلا بان الهدف كان اخلاء الجو لعلي فقد فشلت الخطة وعلم الرسول بذلك ، ألا يستوجب هذا أن يجد البدائل ؟ ولنفترض انه لم يجد متسعا من الوقت لاتخاذ اجراءات جديدة، ألم يكن في وسعه ان يؤكد عليه شفويا كما فعل في جيش اسامة فظل يكررها : أنفذوا جيش اسامة فيقول ولُّوا عليا من بعدي ؟

5- أن الشيعة حين يتحدثون عن حادثة يوم الخميس يتحدثون عنها بصيغة توحي وكأن الامر لم يُذكر من قبل، ولم يكن معروفا للناس قبل ذلك، ولم يتخذ بشأنها اجراءات ولم ترد في حقها آيات او احاديث! وعليه فالقول بان النبي △ اراد بهذا الكتاب ان ينص على امامة علي ◀ يهدم كل الادلة التي يسوقها الشيعة على امامة علي بدءا بحديث الدار ومرورا بالآيات والاحاديث التي جاءت في امامة علي ، وانتهاءا ببيعة الغدير ، لأنه لو كان قد بويع بالخلافة لعلي في غدير خم وورد في حقه كل هذه الآيات والأحاديث، لم تكن هناك حاجة الى كتابة كتاب جديد حول هذه المسألة ولاكتفى بالتأكيد على انفاذ وصيته في امامة علي كما كان يوصي بانفاذ جيش اسامة ويؤكد عليه ، او كما اوصى في عرفة وغيرها.

6- لنفترض ان عمر حال بين رسول الله وكتابة ذلك الكتاب ، وكان ذلك يوم الخميس ، ولكن الرسول ظل على قيد الحياة الى يوم الاثنين ، اي عاش بعد تلك الحادثة اربعة ايام ، لماذا لم يَدْعُ احدَ اصحابه او مجموعة منهم ليملي عليهم كتابه وعهده، لاسيما اذا كان الكتاب بهذه الاهمية؟

7- هل كان علي والعباس وباقي افراد اهل بيت النبي △ حين اراد ان يكتب الوصية في البيت ام لا ؟

ان قلتم انهم لم يكونوا هناك ، فهل يعقل ان يقدم الرسول △ على مثل هذا الامر الخطير المتعلق بامامة علي في غياب علي والعباس ؟ أليس هذا الاجراء منافياً للحكمة لا سيما وأن رسول الله △ يعرف ان هناك معارضين لهذا الامر على رأسهم عمر؟

وماذا عن علي ؟ هل يعقل ان يسكت حين سمع بالخبر ؟ ألم يكن من المفروض ان يذهب الى الرسول △ فور سماعه بالحادث ويطالبه بكتابة الوصية ، او يذهب الى الذين حالوا

دون كتابة الوصية فيعنفهم ويوبخهم ويجمعهم عند الرسول ليملي عليهم الكتاب ؟ لكنه لم يفعل شيئا من ذلك مما يدل على ان الامر لم يكن بذلك الاهمية ولم يكن يخصه هو.

وان قلتم انهم كانوا في البيت فأين دورهم لاسيما علي والعباس ؟

الم يدرك علي او أي واحد من اهل بيت الرسول بان الرسول △ كان يريد كتابة عهد لعلي؟ لماذا لم يقفوا في وجه عمر او الذين ارادوا صرف الرسول عن كتابة وصيته ؟ ولماذا لم يستكتبوه طوال تلك الايام ؟ لماذا لم يذهب علي، وهو صاحب الشأن، الى رسول الله ويسأله عنه او يطلب منه ان يكتبه، وكذلك ابن عباس الذي ظل متحسرا على ذلك اليوم وذلك الكتاب، لماذا لم يذهب هو الآخر الى رسول الله△ ليسأله عنه ويستكتبه اياه بدلا من ان يظل متحسرا عليه؟

اين دور علي ؟ لماذا لا يُشاهَد في مثل هذه المواقف والاحداث الخطيرة ؟ ! لماذا لم يبادر الى احضار الكتف و الدواة ليكتب رسول الله كتابه؟ ما له يسكت على هذه المخالفة لاسيما وهو يرى ان المسألة تعنيه وأن الرسول△ يريد ان يكتب كتابا لتثبيت امامته ؟ ما باله يجبن امام عمر ولا يعترض على اي شيء يفعله وهو البطل الشجاع القوي الذي لا يقدر على مقارعته احد[1]!. ألم يكن من كبار الصحابة ومن اجلّهم ؟ ام انه لم يكن كذلك وكان دوره هامشيا وكان ابوبكر وعمر مقدَّمين عليه واصحاب الكلمة في تلك الامور الخطيرة. انك لاتكاد تجد لعلي مشاركة فعلية ولو بكلمة في مثل هذه الامور. هل يتفق هذا مع ما يدعيه الشيعة من ان النبي كان يمهد لولاية علي وان الناس كانوا يرونه خليفة رسول الله من بعده؟

8- وامر آخر بالغ الاهمية وهو انه لو كان المراد بالكتاب النص على ولاية علي لماذا اذاً لم يحتج علي او ابن عباس بهذه الواقعة في محاججة الخصوم ؟ هل الشيعة اعلم بمراد رسول الله من علي او ابن عباس الذي روى الحديث؟

---

[1]. حاشا سيدنا عليا فانه لم يكن جبانا ولا مداهنا في يوم من الايام ولكن طبيعة الحوار تستدعي استعمال مثل هذه الالفاظ.

من أين عرف الشيعة بأن الرسول△ كان يريد ان يكتب كتابا بولاية على؟ هل عندهم دليل على ذلك من اقوال علي اوذريته او حتى ابن عباس الذي ظل متحسرا على ذلك اليوم؟ وهل كان علي يعلم بذلك ؟ ان كان يعلم به لماذا لم يصرح به وسكت عنه؟ وان كان لايعلم بنية الرسول فمن اين عرف الشيعة ذلك ؟ هل هم اعلم من علي ؟

هذا يدل على احد احتمالين لاثالث لهما : اما ان تكون الرواية مختلقة او ان يكون المراد به شيئا آخر غير امامة علي.

اما كون الرواية مختلقة فلا يمكن القول به لانه من رواية البخاري ومسلم ، صحيح انه لم يروها من الصحابة سوى ابن عباس وكان يتطلب ان يرويها اكثر من واحد لاهميتها ولحدوثها امام جمع من الناس ، ولكن مع ذلك لا نملك ردها لانها جاءت كما قلت في كتب الصحاح ولست من اهل الصنعة حتى اتكلم في سندها والذي به صُحح الحديث .

يبقى ان نبحث في مدلولها الذي حار فيه كثير من العلماء ، فشرقوا وغربوا دون ان يأتوا بتفسير يشفي الغليل ! اما الشيعة فقد كفوا انفسهم عناء البحث وسارعوا الى القول بانها كانت في امامة علي ويجزمون بذلك ويتخذونها كما قلت مطية للطعن في الصحابة واتهامهم بمعصية الرسول والرد عليه في حياته وبعضهم يذهب الى ابعد من ذلك حيث يستدل بها على كفر الصحابة لا سيما عمر! اما انا فقد رأيت فيها غير ما يرى الشيعة وقد فتح الله عليَّ فهمها فوجدت فيها دليلا قاطعا على طاعة الصحابة للرسول △ والتي انا بصدد بيانها .

وهذه الحادثة ، كغيرها من الحوادث التي يتخذها الشيعة مطية للطعن في الصحابة ، هي في الحقيقة قبل ان تكون طعنا في الصحابة طعن في علي ، لتهاونه هو الآخر في احضار القرطاس والدواة ، وعجزه عن اسكات المعارضين ، في حين كان يجب عليه ان يبذل كل ما في وسعه من أجل تمكين الرسول △ من كتابة وصيته بصفته نائبا عن النبي اولا وصاحب الشأن ثانيا، ثم سكوته عن الاستدلال بها لتأكيد حقه في الخلافة ! ..الخ

9- ان عدم رواية علي ◀ لهذا الحادث فيما بعد وعدم احتجاجه به على خصومه ومنافسيه يدل على احد امرين:

اما أنه لم يفهم منه ان الرسول △ كان يريد ان يوصي بامامته هو، أو انه كان هو الآخر من الممتنعين عن احضار الكتف والدواة مخافة ان يوصي رسول الله بالخلافة لغيره فلا يناله بعده ابدا . وهذا الاحتمال الاخير يؤيده الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس ان العباس طلب من علي ان يذهبا الى الرسول فيسألاه عن الخلافة بعده فامتنع علي قائلا : انا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده. وهذا هو نص الحديث في البخاري:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَقَالَ النَّاسُ يَا أَبَا حَسَنٍ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ الْعَصَا وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَنَاهَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه البخاري فب باب مرض النبي△

10- وامر آخر له دلالات مهمة وهو : لماذا يؤكد الراوي على ذكر اسم عمر دون بقية الصحابة الموجودين في الدار، لاسيما ابو بكر وعلي وباقي كبار الصحابة ؟ هل هذا اشارة الى قوة شخصية عمر ونفوذ كلمته ، أو ان هناك ايدي شيعية وراء هذه الرواية التي تضمر الطعن لعمر بن الخطاب وتريد ان تحمله مسؤولية عدم كتابة الوصية ؟

عندي انها دليل على مكانة عمر◄ واهميته لا سيما وانها رويت بعد وفاة عمر ، أي بعد ان حكم المسلمين عشر سنين وكسب فيها اهمية كبرى اضافة الى اهميته ومكانته في عهد

الرسول △ حيث اصبح لاقواله ومواقفه ثقلا اكبر واهمية اكبر، عليه لا يمكن القول بان هناك ايدي شيعية وراء زج اسمه في الحادثة .

11- لماذا انفرد ابن عباس بذكر هذه الحادثة رغم اهميتها وخطورتها؟ اليس من المفروض لمثل هذه الاحداث المهمة التي تقع على مرآى ومسمع عدد كبير من الصحابة ان يرويه اكثر من واحد ممن حضرها وشهدها؟ ولو كان الامر بهذه الاهمية لانتشر خبره بين الصحابة ولذكر لنا التاريخ تحدث الناس به وتناقلهم له فيما بينهم ، ولكن بما انه لم يروه احد ممن حضر هذه الحادثة لاعلي ولا غيره من المقربين منه والمؤيدين له فانه يدل على ان الامر لم يكن بتلك الاهمية ، وانه لم يكن في شأن امامة علي. ويبدو ان ابن عباس روى هذا الحديث في ايام الفتن وايام الصراع على السلطة ظنا منه ان الرسول كان سيحسمه في تلك الوصية او انه لولعه بالعلم تحسر على فوات ذلك الشيء عليه وود لو انه عرفه.

ثم ان من المؤكد أن ابن عباس روى هذا الحديث بعد موت عمر بمدة طويلة بدليل ان سعيد بن جبير ولد سنة 46 للهجرة كما اسلفنا و عبد الله بن عتبة كان صغيرا عندما مات عمر ومع ذلك لم يطعن في عمر ولا في الذين حالوا دون كتابة تلك الوصية وانما كل ما في الامر انه تحسر على ذلك اليوم وما حدث فيه من الحيلولة دون كتابة الوصية.

12- لوكان الرسول يقصد فعلا كتابة عهد بالولاية لعلي فهذا يعني أن تولي علي للخلافة كان سيقي المسلمين من الوقوع في الضلال الى الابد، والشيعة على قناعة تامة بهذا الامر ، ولكن هل حقا تولي علي للخلافة كان سيقي المسلمين من الوقوع في الضلال ؟ هذا يجيب عليه التاريخ وتخبرنا الوقائع بأن تولي علي للخلافة لم يكن غير عاصم للمسلمين من الوقوع في الضلال فحسب بل كان عهده من اكثر العهود اضطرابا وان الناس في عهده وقعوا في فتن شديدة، فمنهم من عاداه وخرج عليه ، ومنهم من غالى فيه ورفعه فوق مقام النبوة، وبعضهم رفعه الى مقام الالوهية ، والذين لم يغالوا فيه واتّبعوه قد أتْعبوه أيّما إتعاب وكانوا

كثير العصيان له وكان هو كثير الشكوى منهم وقد ملئوا قلبه غيظا وقيحا وود لو ان معاوية صرفهم بجنوده صرف الدينار بالدرهم كما يقول هو ◀ في نهج البلاغة .[1]

إذن فان ولاية علي لم تعصم الناس من الضلال كما رأينا ، ولكن الشيعة يكابرون ويصرون على أن ولاية علي كانت ستقي المسلمين من الوقوع في الضلال لو انه تولى الامر مباشرة بعد وفاة رسول الله △ ! وبعضهم يقر بهذه الحقيقة –اي ان ولاية علي لم تعصم الناس من الضلال– ولكنه يلجأ الى تأويل غريب وهو ان المراد من ولاية علي الولاية الدينية وليس الولاية السياسية ، وللاجابة على هذا نقول:

اولا: لو كان المراد بالامامة ، الامامة الدينية، لما حصل كل هذا النزاع بين السنة والشيعة عبر التاريخ ولما استشهد الحسين ولما تعرض ائمة اهل البيت الى ما تعرضوا اليه في زمن الامويين والعباسيين . وهناك فرق كبير بين الامامة الدينية والامامة السياسية ، فالامام السياسي (الخليفة) طاعته واجبة على كل المسلمين اما الامام الدينى فطاعته غير واجبة على كل المسلمين لذلك لو ادعى اي شخص الامامة الدينية لما تعرض للسجن والقتل بعكس الامامة السياسية ، فالذين تبوؤوا مناصب دينية كمحمد الباقر وجعفر الصادق لم يتعرض لهم احد بسوء الاّ في عهد هيمنة المعتزلة الذين نصبوا محاكم التفتيش للعلماء ومارسوا الارهاب الفكري على مخالفيهم ، ثم انه لايجوز ان يكون للمسلمين خليفتان في آن واحد ولكن يجوز ان يكون هناك عشرات من ائمة الدين ليس في آن واحد فحسب بل في بلد واحد ايضا..

ثانيا: ولو افترضنا ان الرسول كان يريد بالامامة الامامة الدينية ، فهذا ايضا ما منع اتباع علي من الوقوع في الضلال وهو على قيد الحياة فضلا عن غيرهم ،كما حدث للخوارج والغلاة.

---

[1]. أيها القوم! الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلًا منهم!

ثالثا: لم تكن هناك حاجة لكتابة كتاب باتباع علي فاتباعه ايضا لايعصم الناس من الضلال الابدي لأنه لابد ان يموت ، واذا مات فسيترك بعض التعاليم ، وهذه التعاليم حتما سوف لن تكون مغايرة للكتاب والسنة وليس فيها شيء جديد كما انها ليست اهم من الكتاب والسنة ، فالكتاب والسنة هما الاصل واذا كان هناك حاجة الى دعوة الناس الى التمسك بشيء فدعوتهم الى التمسك بالكتاب والسنة اولى من دعوتهم الى التمسك بغيرهما ، واذا كان هناك تعاليم يفترض لها ان تقي الناس من الوقوع في الضلال فتعاليم القرآن والسنة اولى من غيرهما بتحقيق ذلك.

13- وامر آخر: ان اكثر تعاليم الرسول كانت شفاها فحفظها الصحابة وبلّغوها ونفذوها ، فإذا حال بعض الناس دون كتابة الوصية لماذا لم يلجأ الرسول△ الى هذا الاسلوب فيخبرهم بفحوى تلك الوصية فيبرىء ذمته امام الله ويقيم الحجة على الصحابة ويقطع الطريق على من اراد ان يحول دون كتابة تلك الوصية ان كانت بتلك الاهمية وكان تبليغها واجبا؟!.

14- من المعلوم ان علاقة ابن عباس بعمر كانت قوية جدا وانه كان من المقربين اليه وان عمر كان يوقره جدا ويقدمه على كثير من الصحابة ، فهل يعقل ان يعتقد في حق عمر هذا الشيء ويتهمه بهذه التهمة ثم يخالطه تلك المخالطة الشديدة؟ ثم ان علاقة ابن عباس بعمر كانت اقوى وافضل من علاقته بعلي وان علاقته بعلي ساءت في اواخر خلافة علي بعد ان اتهمه بالاختلاس وعزله ، وان عهد عمر كان افضل من عهد علي بمئات المرات ، فهل يعقل ان يورد حديثا فيه ذم لعمر ومدح لعلي او فيه اشارة الى امامة علي وهو في هذه الحال؟ وليس هذا فحسب بل يتحسر عليه كل ذلك التحسر! نعم لو كان عهد عمر عهد فتن واضطرابات وعهد علي عهد استقرار وازدهار لحق لكل من شهد حادثة الخميس وظن انها كانت في امامة علي ان يذكرها بأسف ويتحسر على عدم امتثال الناس لها .

15- سؤال آخر : هل بلغ الرسول△ فحوى الكتاب الذي كان مزمعا على كتابته ام لا؟ ان قلتم نعم بلغه فلم يبق فيه مستمسك لكم على امامة علي الاّ اذا اصررتم على ان قول الراوي انه نسي الوصية الثالثة انها كانت فحوى ذلك الكتاب، وهذا رددناه من قبل

وبينّا بطلانه ، اما اذا قلتم انه لم يبلغه فعندئذ يكون عمله هذا متعارضا مع جملة من الامور: انه يتعارض مع القرآن والسنة ، ومع العقل والمنطق، ومع القيم والاخلاق النبيلة، ويتعارض ايضامع روح الرسالة التى جاء بها محمد△ ، واخيرا يتعارض مع حقائق التاريخ التي تؤكد هيمنة الرسول على الصحابة وخضوع وطاعة الصحابة له . واليك هذا الامر بشيء من التفصيل:

انه يتعارض مع القرآن لأنه يعارض الآية التي تقول " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا"، كما يعارض آية " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس". كما انه يعارض سنة الرسول، فهناك احاديث صحيحة صريحة على ان الرسول △ قد بلغ رسالة الله كاملة وادى الامانة التي القاها الله على عاتقه ، منها حديث : "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك"[1]، وحديث "ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه إن جبريل ألقى فى روعى أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية فإن الله عز وجل لا ينال فضله بمعصية"[2].

---

[1]. أخرجه أحمد في المسند 126/4، ضمن حديث العرباض بن سارية في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا ابن ماجه في سننه 16/1، وقد صحح الحديث الألباني بمجموع طرقه في ظلال الجنة. انظر: ظلال الجنة مع كتاب السنة لابن أبي عاصم ص26.

[2]. أخرجه الحاكم عن ابن مسعود (5/2 ، رقم 2136) . أخرجه أيضًا : الشافعى (233/1) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (67/2 ، رقم 1185، 299/7 ، رقم 10376) .

أخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (79/7 ، رقم 34332) ، وهناد فى الزهد (281/1 ، رقم 494) ، والدارقطنى فى العلل (273/5 ، رقم 875) .

و نحن نسأل: ماهو هذا الشيء الذي تتوقف عليه هداية الامة ولم يبينه الرسول الى تلك اللحظة ثم حين جاء وقت بيانه امتنع عنه لمعارضة بعض الصحابة؟ ألا يعد هذا مخالفة من الرسول △ للامر الالهي الذي ذكرناه آنفا؟ هل يحق للنبي ان يخفي شيئا تتوقف عليه هداية الامة لمعارضة عمر او غيره من الصحابة، في حين يقول الله تعالى "أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (الزخرف/5) اي ان الله جل جلاله لم يمتنع عن ارسال الرسل رغم تكذيب الناس لهم وقتلهم اياهم واضطهادهم لهم واعراضهم عنهم وعن دعوتهم.

كيف يخفي رسول الله△ امرا يقي الامة من الوقوع في الضلال الى يوم القيامة ؟ اليس هذا مخالفا لما فعله خلال ثلاثة وعشرين عاما ؟ لقد ظل رسول الله △ يدعو الناس ويجاهد ويتعب طوال كل تلك المدة من اجل هداية الناس ، حتى اذا وصل الى اللحظة الاخيرة وقارب الرحيل الى ربه وفي جعبته الوصية التى تقي امته من الوقوع في الضلال الى يوم القيامة فاذا به يمتنع عن كتابتها أو بيانها لموقف صدر من بعض اصحابه او لمقولة قالها احدهم! فهل يجوز ان تنسب هذه التهمة الى رسول الله △ ؟ الا يعد هذا هدما لجهود ثلاثة وعشرين عاما من الدعوة والجهاد؟ هذا العمل لا يليق بالقادة العاديين فكيف برسول الله الذي ارسله الله رحمة للعالمين؟

ان هذه الحادثة تعني أن القرآن والسنة ليسا كافيين لهداية الناس وعصمتهم من الضلال وانما تتوقف هدايتهم على وصية واحدة يكتبها رسول الله لهم وهو على فراش الموت! ومع ذلك لم يكتبها !.

ثم نتساءل : ماهو هذا الشيء الذي تتوقف عليه هداية الناس ويعصمهم من الضلال الى الابد؟ لماذا لم يبينها رسول الله من قبل او يبينها القرآن قبل نزول آية " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" ؟

ما معنى ان يؤخر رسول الله △ بيان ما يعصم امته من الضلال الابدي الى حين وفاته ثم هو بعد ذلك لا يبينها؟

واي شيء هذا الذى يقي الامة من الضلال الابدي : هل هو من امور الدين ام من امور الدنيا؟ فان كان من امور الدين فما كان يسوغ لرسول الله ان يكتمها، لانه حينئذ يكون مقصرا في تبليغ ما أُنزل اليه من ربه وقد حذره الله من ذلك اذ قال : "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة/67)، ثم ان آية اكمال الدين صريحة وقاطعة بان اصول الدين من العقائد والعبادات والتشريعات قد كملت ولا حاجة الى مزيد. اذاً فالمسالة لا يمكن ان تكون من امور الدين ، لانه لو كان كذلك لما تراجع الرسول عن كتابته ولو عارضه جميع الصحابة . وان كان امرا امره الله به لأنفذه رغم معارضة المعارضين كما فعل في صلح الحديبية ، فانه ابرم المعاهدة مع قريش رغم معارضة جميع الصحابة لتلك المعاهدة ، بمن فيهم علي بن ابي طالب، الذي رفض ان يشطب العبارات التي امره الرسول بشطبها حتى اضطر رسول الله △ الى شطبها بنفسه. اذاً لو كان الامر من امور الدين او مما امر الله به لأبرمه رسول الله وأجراه مهما كلفه ذلك .

بقي هناك احتمال آخر وهو ان يكون ذلك الامر من امور الدنيا ومما لم يؤمر رسول الله بابلاغه وانما كان اجتهادا من عنده، او شيئا كان يحب ان يفعله لهم ، وفي مثل هذه الحالات يُعلِم الرسول اصحابه بانه لا يستند فيها الى الوحي وانما الى الخبرة والتجربة ، وقد يكون بعض الصحابة اكثر خبرة منه في بعض الامور الدنيوية كما حدث في معركة بدر حين اشار عليه الحباب بن المنذر بتغيير المكان ففعل وكذلك في غزوة الاحزاب حين اشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق فاخذ بمشورته ، وقد اقر في مسألة تأبير النخل بأن الناس أعلم منه في امور دنياهم .

اقول لو كان ذلك من امور الدنيا لجاز للصحابة التهاون فيه، ولكن صيغة الرواية لا تدل على كونه من امور الدنيا لانه يقول فيها لن تضلوا بعده ابدا مما يوحي الى انه من امور الدين !

قد يقول قائل ان الرسول △ كان يريد ان يوصي الصحابة باتباع الكتاب والسنة فهما الكفيلان بوقاية المسلمين من الوقوع في الضلال ان هم تمسكوا بهما . وهذا تأويل مستساغ

ولكنه ايضا لايحتاج الى كتابة كتاب في ذلك ويكفي فيه الحث شفاها على الالتزام بهما علاوة على انه مبين من قبل ومامور به في القران والسنة وهناك آيات واحاديث كثيرة تأمر بذلك وتحث عليه. [1]

ثانياً : من جهة عدم دلالتها على مخالفة الصحابة للرسول △ واساءة الادب معه:

لقد أثبتنا فيما مضى بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الحادثة ليس فيها أي دليل على امامة علي ، يبقى ان نبحث دلالته من جهة اخرى وهي مخالفة الصحابة للرسول وإساءة الادب معه من عدمها:

1- قلنا ان ظاهر هذه الرواية يوحي بعصيان الصحابة للرسول واساءة الادب في حضرته وانها تتناقض مع ما ندعيه من حب الصحابة للرسول △ وطاعتهم له وهيمنة الرسول عليهم ، مع ذلك فأهل السنة حين يروون مثل هذه الروايات لايروونها من باب ذم الصحابة ولا لاظهار سوء ادبهم مع الرسول △ ، لماذا ؟ لانهم قد بنوا عقيدتهم في الصحابة على قواعد متينة هي مجموع الآيات والاحاديث التي وردت في حقهم ، وعلى مجموع ما قدموه للاسلام من تضحيات ، وهذه هي القاعدة الاصولية : رد المتشابهات الى المحكمات وفهم الامور في ضوء القواعد الكلية ، فطاعة الصحابة للرسول △ وحبهم له وهيمنة الرسول△ عليهم ورضى الله والرسول عنهم ثابتة بأدلة الآيات والأحاديث والوقائع ، هذا هو الاصل وهذه هي القاعدة ، وكل ما خالف هذه القاعدة يعد شاذا أو يؤول ، ويفسر في ضوء هذه القاعدة العامة ، ويبحث له عن وجوه مستساغة تتمشى معها . وسنذكر ان شاء الله امثلة على مخالفة الصحابة للرسول نثبت فيها أن هذه المخالفات لم تكن مما يسخط رسول الله △ او يزعجه بل كانت من دواعي سروره وافتخاره . وبهذا الاعتبار فهم العلماء هذا الحديث وشرحوه وقالوا ان ذلك لم يكن مخالفة

---

[1]. لقد أثبت الاستاذ خالد كبير علال في كتابه " تناقض الروايات السنية الشيعية/ الفصل الثالث" بشواهد كثيرة- غير التي ذكرناها- عدم دلالة هذا الحديث على خلافة سيدنا علي، ولولا طوله لاوردته هنا ولا غنى للقاريء عنه ، لذا اوصي بقراءته ، وهو موجود على موقع " صيد الفوائد".

للرسول ولا طعنا فيه وانما كان نابعا من علم الصحابة بأن ذلك لم يكن من الامور الدينية أو الامور الموحى بها الى الرسول ، والتي تلزمهم طاعته لأن الدين بنص القرآن قد كمل ، ومن حرصهم على صحته من الارهاق والتعب ، وهذا وارد في تعامل الاتباع مع متبوعيهم حين يمرض المتبوعين فيمنع الاتباع الزيارة عنهم ويبعدون كل ما يرهقهم او يؤثر على صحتهم .

2- كنت اول الامر اقول لابد ان يكون هذا الحديث ضعيفا او موضوعا رغم وروده في الصحاح لان في ظاهره دليلا على عصيان الصحابة للرسول وردهم لامره واساءة الادب في حضرته ، وهو بهذا مخالف لما عرف عن الصحابة من توقير الرسول وحبه وطاعته، ولكني بعد دراسة متأنية توصلت الى عكس هذه النتيجة ، وهي ان هذه الحادثة تدل على تمام معرفة الصحابة للرسول . قد يستغرب بعض الناس ذلك ، وهذا من حقهم لانهم ربما قد لا يعرفون حقيقة علاقة الصحابة بالرسول ولا يميزون بين محمدٍ البشر ومحمدٍ الرسول ، الامر الذي عرفه الصحابة جيدا ولم نعرفه نحن ، لأن محمدا البشر قد رفع من بيننا وبقي عندنا محمد الرسول المشرع الذي لاينطق عن الهوى . وهذا الامر يحتاج الى تفصيل اكثر وتقعيد أدق ، واليكه باختصار:

لنبدأ المسألة بتوجيه بعض الاسئلة : هل كانت نظرة الصحابة الى النبي كنظرتنا اليه نحن اليوم ام انها كانت مختلفة ؟ فان كانت مختلفة ، فهل نظرتنا اصح ام نظرتهم ؟

وهل كانوا يتعاملون معه كما نتعامل نحن معه اليوم ؟ فان كان تعاملهم مع النبي يختلف عن تعاملنا معه، فهل تعاملهم معه اصح ام تعاملنا؟

وهل وجوده بينهم بنفسه كان يفرض نوعا من التعامل مع شخصه يختلف عن تعامل الذين جاؤوا من بعده ، الذين لا يجدونه بشخصه بل بتعاليمه ، ولا يخالطون شخصه بل تعاليمه ؟ هذه الامور يجيب عليها احداث السيرة النبوية .

اننا إنْ قلنا أننا اعلم برسول الله من الصحابة فهذه مكابرة وسوف لن يُسلِّم لنا به احد . إذاً يبقى السؤال : ما سر هذا النوع من التعامل مع النبي من قبل الصحابة وما سر هذه التصرفات ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب ان نبحث طريقة تربية الرسول للصحابة ، فإذا عرفناها انحلت لنا العقدة وانكشف لنا السر وفهمنا مثل هذه الاحداث والاحاديث على وجوهها الصحيحة. وهذا الامر – أي دراسة طبيعة تربية الرسول للصحابة – يحتاج الى التجرد والحيادية لا الى التعامل مع النصوص بمقررات مسبقة او بمواقف عدائية او بتعصب سواء لهم او عليهم ، فنقول:

لقد كان الرسول △ حريصا على ان يميز الصحابة بين ثلاثة امور: بين ما كان يفعله بالوحي ، و ما كان يُحب ان يفعله ويرغب فيه ، و ما كان يفعله اجتهادا ، فالصحابة كانوا يتعاملون مع محمد البشر ومحمد الرسول في آن واحد فيفرقون بينهما ، وكان الرسول △ يؤكد على هذا المعنى ويغرسه في أذهانهم ، لذلك كانوا يراجعونه فيما يأمرهم به ويسألونه عما إذا كان ما يفعله إنما يفعله بوحي من الله أم شيء يحبه هو (أي تميل اليه نفسه كبشر) أم اجتهاد من عنده (أي يذهب اليه بفهمه واجتهاده كبشر) ، فإذا قال انه وحي من الله سارعوا الى تنفيذه ، واذا قال بل شيء يحبه نظروا فيه فان كان في امكانهم تنفيذه نفذوه وان لم يكن كذلك اعتذروا ولم يوبخهم الرسول ولم يلمهم احد ، وان كان شيئا من اجتهاده ناقشوه وأشاروا اليه برأيهم وربما أخذ بها وتخلى عن رأيه. وهذا يظهر بوضوح في كثير من المواقف ، كما حصل في غزوة بدر حين نزل بجيشه عند ادنى ماء من مياه بدر ، فقال الحباب بن المنذر: " يارسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه، ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة ، فقال : فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فنهض رسول الله △ وتحول الى المكان والرأي اللذين أشار بهما الحباب ◄.[1]

[1]. فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطي ص 157ط 11 / دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان ودار الفكر / دمشق- سورية نقلا عن الاصابة لابن حجر وسيرة ابن هشام.

وفي غزوة الاحزاب حين اتفق مع غطفان ان يعطيهم ثلث ثمار المدينة مقابل ان يرجعوا عن المدينة رفض قادة الانصار ذلك ، واليك نص ما جرى بين الرسول △ وبين زعيمي الاوس والخزرج حول هذه المسألة:

"لَمّا اشْتَدّ عَلَى النّاسِ الْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرّيّ ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصّلْحُ حَتّى كَتَبُوا الْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ الشّهَادَةُ وَلا عَزِيمَةُ الصّلْحِ إلاّ الْمُرَاوَضَةَ فِي ذَلِكَ . فَلَمّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا ، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيــهِ فَقَالا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْرًا تُحِبّهُ فَنَصْنَعُهُ ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَك اللهُ بِهِ لا بُدّ لَنَا مِنْ الْعَمَلِ بِهِ ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا ؟ قَالَ بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ ، وَاَللهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إلاّ لأنــــني رَأَيْت الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلّ جَانِبٍ فَأَرَدْت أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إلَى أَمْرٍ مَا ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ كُنّا نَحْنُ وَهَؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشّرْكِ بِاَللهِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ لا نَعْبُدُ اللهَ وَلا نَعْرِفُهُ . وَهُمْ لا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إلاّ قِرًى أَوْ بَيْعًا ، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللهُ بِالإِسْلامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزّنَا بِك وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ، وَاَللهِ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ وَاَللهِ لا نُعْطِيهِمْ إلاّ السّيْفَ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَنْتَ وَذَاكَ . فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ الْكِتَابِ ثُمّ قَالَ لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا".[1]

التفريق هنا بين هذه الامور الثلاثة من قبل الصحابة واضح جدا ، وان الرسول لم ينكر عليهم استفسارهم بل اقرهم على ذلك واخبرهم بأن ما يفعله هو شيء يصنعه من أجلهم .

وحول التفريق بين اوامر الرسول △ وبين رغباته النفسية نسوق لك مثالين :

1. حكاية مغيث وبريرة:

[1]. الروض الانف/ 425، السيرة النبوية لابن كثير ج3/201، السيرة النبوية لابن هشام ج3/ 234وغيرها من كتب السيرة.

روى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِى وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– لِلْعَبَّاسِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ :« أَلاَ تَعْجَب مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ». فَقَالَ لَهَا النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– :« لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ ». قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِى قَالَ :« لاَ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ ». قَالَتْ : فَلاَ حَاجَةَ لِى فِيهِ.[1]

2. دَين عبد الله الانصاري:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِىِّ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِى قَتْلِ أَبِيهِ وَاشْتِدَادِ الْغُرَمَاءِ عَلَيْهِ فِى التَّقَاضِى قَالَ فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : « ادْعُ لِى فُلاَنًا » ، الْغَرِيمَ الَّذِى اشْتَدَ عَلَىَّ فِى التَّقَاضِى فَقَالَ : « أَنْسِئْ جَابِرًا بَعْضَ دَيْنِكَ الَّذِى عَلَى أَبِيهِ إِلَى هَذَا الصِّرَامِ الْمُقْبِلِ ». قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَاعْتَلَّ قَالَ إِنَّمَا هُوَ مَالُ يَتَامَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :« وَأَيْنَ جَابِرٌ ». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِى قَضَاءِ الدَّيْنِ.[2]

وفي رواية اخرى عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

"تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ قَالَ وَتَرَكَ دَيْنًا فَاسْتَشْفَعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ شَيْئًا فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ فَأَبَوْا فَقَالَ لِي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ وَعِذْقَ ابْنِ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ وَأَصْنَافَهُ ثُمَّ ابْعَثْ إِلَيَّ قَالَ فَفَعَلْتُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ فِي أَعْلاهُ أَوْ فِي أَوْسَطِهِ ثُمَّ قَالَ كِلْ لِلْقَوْمِ قَالَ فَكِلْتُ لَهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمْ ثُمَّ بَقِيَ تَمْرِي كَأَنْ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ"[3]

في الرواية الاولى طلب النبي من بريرة ان تعود الى زوجها الذي كانت تكرهه فاستفسرت ان كان الرسول يامرها فتنفذ أمره، ام يخيرها، فلما أخبرها بانه لا يأمرها وانما يشفع لمغيث

---

1. أخرجه البخارى (2023/5 ، رقم 4979) ، وأبوداود (270/2 ، رقم 2231) ، والنسائى (245/8 ، رقم 5417) ، وابن ماجه (671/1 ، رقم 2075) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (96/10 ، رقم 4273) .

2. السنن الكبرى للبيهقي5/ 375

3. سنن النسائي باب قضاء الدين قبل الميراث

رفضت طلبه ، فلم يوبخها الرسول △ ولم يلمها أحد . وفي الرواية الثانية طلب الرسول △ من غرماء ابي جابر ان يضعوا شيئا من دَينه فأبوا لأنهم علموا أن طلب الرسول ذلك ليس امرا او وحيا وانما شفاعة منه يسعهم مخالفته، ولذلك لم يعنفهم الرسول والصحابة على ذلك لأنه يعلم انه من حقهم ألاّ يتنازلوا عن حقهم.

وزبدة القول ان الصحابة كانوا اعلم برسول الله و اطوع له واكثر حبا له منا و أن حبهم وطاعتهم وتوقيرهم له كان عمليا واكثر واقعية .

3- ان من أهم صفات النبي △ صدقه وأمانته ، فقد كان أميناً على كل شيء ، ولكنه كان أشد أمانة على الوحي و على عقيدة التوحيد ، فكان إذا جنح احدهم الى التقصير في حقه او الغلو فيه رده الى الحد الوسط ، وما مات الرسول الا والصحابة تعلموا من طول مصاحبتهم له ما يجوز لهم في حقه وما لايجوز، بخلافنا نحن اذا قصرنا بحقه او غلونا فيه لم نجد ما يردنا الى الرشد الاّ تعاليمه التي قد نختلف في تفسيرها وتأويلها.

قلنا ان من الامور التي تعلمها الصحابة من طول مصاحبتهم للرسول ومعايشتهم لنزول القرآن التفريق بين محمد البشر ومحمد النبي المبلِّغ عن الله، فمحمد البشر يعتريه ما يعتري سائر البشر من العوارض الجسدية والنفسية كالمرض والالم والتعب والارهاق والحزن والبكاء والنسيان والميل الى النساء والطعام والشراب والانس بالجمال والنفور من القبح وو...الخ ، اما من الناحية الخُلقية والعقلية فانه مجبول على الفضائل ومكارم الاخلاق ورجاحة العقل والادب الرفيع والبيان وعفة اللسان وو ..الخ . أما محمد النبي المبلغ ، فانه معصوم بالوحي من الخطأ والذنوب والنسيان ، فلا يخطيء في فهم مراد الله وتبليغ رسالته ولا ينسى ما يوحى اليه.

من هذا المنطلق كان الصحابة يستفسرون النبي عما يأمرهم به هل هو وحي أم اجتهاد أم رغبة شخصية ، وقد ذكرنا أمثلة على ذلك ، ومن هذا المنطلق ايضا تعامل معه بعض الصحابة بمن فيهم عم النبي العباس وبعض أزواجه حين لدُّوه △ في مرضه [1] .

---

[1]. من الغريب ان الشيعة يجعلون من هذه الحادثة وحادثة يوم الخميس دليلا على ضعف الرسول فيقولون انه كان مغلوبا على امره حيث يلُدُّونه على كره منه ويعصون امره ويرمونه

والسؤال هو : إذا كان النبي يعتريه ما يعتري سائر البشر من المرض فهل يعتريه عوارض المرض كالاغماء والهذيان ؟ اما الاغماء فقد ذكر التاريخ انه حصل له ذلك في مرضه الذي توفي فيه ولذلك لدّه ازواجه ، ولكن الهذيان لم يثبت عنه ذلك ، وذلك ربما للفارق بين الاغماء والهذيان ، فالذي يغمى عليه لا يتكلم في العادة بشيء ويشل لسانه لذلك لا يترتب عليه شيء وان كان بعض الناس قد يتبول او يتغوط على نفسه ولكن الرسول△ قد عصمه الله من ذلك ايضا ، أما الهجر والهذيان فممنوع على النبي لأنه تفوُه بكلمات غير منضبطة ، وقد تكون كفرا، او شيئا قبيحا ، او مضحكا ، او امرا غير منطقي ومخالف لما كان يقوله سابقا، او يأمر بشيء غير منطقي وغير شرعي . ولكن هل انتبه الصحابة الى هذه الامور في تلك اللحظة؟ الجواب : يبدو انهم لم يعلموا ذلك من قبل لأنه لم يسبق أنْ مرِض النبي بتلك الصورة وانما علِموه فيما بعد كما تعلموا كثيرا من الامور بعد وقوعها، ولقد فوجئوا بقول الرسول △ في تلك اللحظة الحرجة واستغربوا كلامه لذلك قال بعضهم : مابه أهَجَرَ ؟ اسستفهِموه ، فأخذوا يرددون عليه ليعلموا هل ما يقوله عن وعي او عن غير وعي ، والذي دفعهم الى هذا التصرف هو غرابة الموضوع ، فالرسول هنا يأمرهم بشيء لم يكن يفعله من قبل ، وهو طلب الكتف والدواة ليكتب لهم كتابا، لانه كان قبل ذلك يكتفي بالامر شفاها ، ثم انه يقول لن تضلوا بعده ، فاستغربوا من هذا الذي يعصمهم من الضلال ولا يبينه الرسول الا في حال اشتداد المرض عليه ، وهم يعلمون ان

بالهجر، وقد تكلمنا عن حادثة الخميس في المتن اما هنا سنلقي بعض الضوء على حادثة اللد فنقول :

اولا: ان هذه الحادثة تدل على عكس ما ذهب اليه الشيعة من استضعاف الرسول (△) بل يدل على تمام هيمنته △ على اصحابه ، فالرواية تقول انه بعدما أفاق وعلم بأنه قد لُدّ أمر بكل من في الدار ان يُلَد الا عمه العباس ، وقد لُدّ مع من لُد زوجته ميمونة رغم كونها صائمة وذلك مجرد لقوله فليلد كل من في الدار. فهل مثل هذا يتهم بأنه مغلوب على امره؟!

ثانيا: انها تبين ان صحابة النبي وازواجه كانوا ينظرون اليه كبشر من هذه الناحية و يعتريه ما يعتري سائر البشر من المرض وعوارضه و يحتاج كغيره من المرضى الى الدواء ، ولكن الرسول △ لم يرقه ذلك لذلك عاقبهم .

الله قد قال في كتابه" اليوم اكملت لكم دينكم" ، وان الرسول نفسه قال "تركتكم على البيضاء، وفي رواية على مثل البيضاء ، لا يزيغ عنها الا هالك" .فهذه الامور كانت مدعاة لاستغرابهم ففوجئوا ولم يعلموا ماذا يفعلون، لذلك اختلفوا، فقال بعضهم إيتوا بالكتاب وقال الآخرون حسبنا كتاب الله . فاشتداد المرض على رسول الله △ هو الذي دعاهم الى هذا التساؤل ، لانهم يعلمون كما قلنا ان الله قد أكمل الدين ولم يبق أمر ذو بال لم يبلغه الرسول ، فالذين راودهم الشك كانوا معذورين حين استفسروا عن حالة النبي △ ، لأن الصيغة توحي بأن الامر جد خطير ولكن حالة الرسول الصحية حرجة ، وقد اشتد به المرض وكان عنده متسع من الوقت فيما مضى لاملاء وصيته او تبليغه ، ثم ان النبي لم يكن مرضه مفاجئا له حتى نقول لولا المرض لبلَّغ ما كان ينوي تبليغه في ذلك اليوم ، فانه قد علم قبل ذلك بان أجله قد دنى وأنه لم يبق عنده شيء سوى لحوقه بالرفيق الاعلى وانه كرر ذلك مرارا وقد نعى نفسه الى المسلمين في مواضع عديدة وكان يقول " إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله "[1]

---

[1]. أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس يوما فقال(إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله) فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} عن رجل يخير فكان المخير رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان أبو بكر أعلمنا به فقال لا تبك يا أبا بكر إن من أمنِّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لأتخذته ولكن أخوة الإسلام لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر
وأخرج أحمد وابن سعد والدارمي والحاكم والبيهقي والطبراني عن ابي مويهبة مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أنبهني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الليل فقال يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر الله لأهل هذا البقيع فخرجت معه حتى أتيت البقيع فرفع يديه واستغفر لهم ثم قال ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى يا أبا مويهبة إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي ثم انصرف فلما أصبح ابتدأ وجعه الذي قبضه الله فيه

4- قلنا ان هذه الحادثة تدل على طاعة الصحابة للرسول وليس مخالفته ، لننظر كيف؟

قلنا ان الصحابة كانوا يفرقون بين ثلاثة امور ، ماكان وحيا من الله ، وما كان اجتهادا من الرسول △ وما كان نابعا من رغباته الشخصية ، لذلك حين كان يأمرهم بشيء يُشكل عليهم كانوا يحاولون ان يعرفوا طبيعته ، هل هو وحي ام اجتهاد ام مما يرغب فيه الرسول ويحبه ، وربما تباطؤوا في تنفيذ بعض الاوامر أملاً منهم ان يتراجع الرسول عن قراره كما فعلوا في صلح الحديبية حين تباطؤوا في حلق رؤوسهم وتقديم هديهم علَّ رسول الله △ يلغي المعاهدة، ولكن بعد ان كانوا يتبينون من جدية الامر لم يكونوا يتوانون لحظة في تنفيذه . وفي هذه الحادثة كان الامر مختلفا عن غيره ، فانه قبل كل شيء كان مفاجئا بالنسبة للمتواجدين في البيت ، سواء بالنسبة الى حساسية وضع الرسول او طبيعة طلب الرسول ، لذلك تباطؤوا في تنفيذ الامر لأنهم يعلمون ان الامر اذا صدر من الرسول وثبت لا يسعهم مخالفته ، فهم في سعة من امرهم مالم يصدر الامر ويؤكَّد، فاذا صدر وأُكِّد فلا خيرة لهم حينئذ ولا يسعهم إلاّ تنفيذه . هنا كانوا يخافون ان يصدر الامر فلا يستطيعون مراجعته في شأنه ومناقشته فيه لاضطراب وضعه الصحي فيصدر الامر منه وهو بهذه الحال فلا يقدرون على تنفيذه فيقعون في الاثم . انهم لم يكونوا على يقين بأن ما صدر عن النبى

وأخرج ابن سعد نحوه من حديث أبي رافع مولى النبي {صلى الله عليه وسلم}

وأخرج البيهقي عن طاوس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعتكف من كل شهر رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يوما وكان جبريل يعرض عليه القران كل رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه مرتين

وأخرج الشيخان عن عائشة عن فاطمة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أسر إليها فقال أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضني به العام مرتين ولا أرى أجلي إلا قد حضر (الخصائص الكبرى للسيوطي) .

كان عن وعي تام لذلك قالوا استفهموه ، لأن طلبه كما قلت كان مفاجئا بالنسبة لهم سواء في توقيته او صيغته، وانهم كانوا يرونه يعاني من شدة المرض فلم يستبعدوا أن يكون ذلك من تأثير المرض عليه لذلك قال عمر : ان رسول الله قد غلبه الوجع . ولو كان الشيعة هناك لربما فعلوا ما فعله الصحابة أو اكثر ، بدليل ان اصحاب علي خالفوا عليا اكثر مما خالف اصحاب محمد محمدا ، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم ان شاء الله .

على كل حال فاعتقاد الصحابة بأن الرسول قد لا يعي ما يقول لاشتداد المرض عليه لايدخل لا في باب الكفر ولا في باب المعصية وانما هو في اسوأ احواله خطأ في الفهم ليس الاّ.

5- واخيرا ، أن الكتاب الذي كان الرسول △ ينوي كتابته ، ان كان قد بلّغه شفاها كما تقول احدى الروايتين فقد انتهت المشكلة وكفى الله المؤمنين القتال ، وان كان لم يبلغه شفاها فهو في هذه الحالة شبيه بما فعله مع غطفان فإنه كما ذكرنا اتفق معهم على ان يدفع لهم ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا عن المدينة ويفكوا الحصار عن المسلمين وكتب بذلك الكتاب وختمه ولكن حين رأى أهلَ المدينة يكرهون ذلك مزق الكتاب وألغى المعاهدة ولم يغضب على الذين ردوا اتفاقه ذلك ، هنا أيضا يبدو أن الرسول △ أراد أن يكتب لهم شيئا من ذلك القبيل ولكنه لما رآهم اختلفوا فيما بينهم أحجم عن كتابته وأوكل الامر اليهم ، ثم أخرجهم من البيت للغطهم واختلافهم ، ولو كان الرسول ضعيفا لما تجرأ على القول : اخرجوا عني ، فهذا لا يقوله الضعفاء.

بين اصحاب النبي وأصحاب علي:

بما ان الشيعة وحدهم هم الذين يتخذون من هذه الحادثة مطية للطعن في الصحابة وجب ان نخاطبهم بلغة يفهمونها فنسألهم : أأنتم أعلم بعلي ◀ أم أصحابه الذين عاصروه ونصروه وحاربوا معه خصومه؟

لا شك أن أصحاب علي كانوا أعلم بعلي من الشيعة الذين لم يعاصروه ، ولا أظن الشيعة يقولون بعكس ذلك إلاّ إذا كابروا . ولكن تعال لننظر الى تعامل هؤلاء الاصحاب مع علي لنرى هل تتوافق مع نظرة الشيعة الى علي واعتقادهم فيه . بالتأكيد لا، فإن تعامل اصحاب علي معه يختلف كثيرا عن نظرة الشيعة اليه ، انهم كانوا يناقشونه ويشيرون عليه ويردون عليه ويعصون اوامره ويتثاقلون في الخروج معه للقتال ! فلو حاكمنا ممارسات اصحاب علي تجاهه الى معتقدات الشيعة فيه لاضطررنا الى تكفيرهم ورميهم بكل نقيصة ، لأن الشيعة يسوُّون بين النبي والامام في وجوب طاعتهما وتوقيرهما ولا يفرقون بين من يرد امر الرسول ومن يرد امر الامام ، ولكن مع ذلك فإن الشيعة لم يكفروا اصحاب علي على الرغم من عصيانهم المستمر له و شكاية علي منهم ، وسنورد بعض اقواله فيهم ، علماً أن الرسول لم يقل في حق اصحابه عشر معشار ما قاله علي في اصحابه مع ذلك كفروا اصحاب النبي و فسّقوهم ولم يذكروا اصحاب علي بسوء ، وليس هذا فحسب بل إن احدهم يَقِفُّ شعر رأسه حين يُذكر احد اصحاب علي بسوء !

وهذه بعض اقوال سيدنا علي في اصحابه ، فقارن بينها وبين ما قاله الرسول ﷺ في اصحابه ، علما انك لا تكاد تجد مدحا لعلي لاصحابه أو ثناءا منه عليهم ، بينما الآيات والاحاديث متوافرة في مدح الصحابة والثناء عليهم:

"منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم، أما دين يجمعكم، ولا حميّة تحمشكم؟!

أقُوم فيكم مستصرخًا، وأُناديكم متغوّثًا، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمرًا، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يُدرَك بكم ثأر، ولا يُبلَغ بكم مرام، دعوتكم إلى نصر إخوانكم، فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون"[1]

"أما بعد يا أهل العراق! فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمت أملطت، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختيارًا، ولكن جئت إليكم سوقًا، ولقد

---

[1]. شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد (2/300) .

بلغني أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله تعالى! فعلى من أكذب؟ أعلى الله، فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه، فأنا أول من صدق به؟"[1]

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًا وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنّت عليكم الغارات ومُلكت عليكم الأوطان"[2]

"فيا عجبًا! عجبًا والله يميت القلب ويجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقّكم، فقبحًا لكم وترحًا حين صرتم غرضًا يرمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى اللهُ وترضون!

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمارّة القيظ، أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارّة القرّ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كلّ هذا فرارا من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرون، فأنتم والله من السيف أفرّ!".

"يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم.. معرفة والله جرَّت ندمًا، وأعقبت سدمًا، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسًا، وأقدم فيها مقامًا مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرّفت على الستين! ولكن لا رأي لمن لا يُطاع!" [3]

"كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر، كلما أطلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشام، أغلق كل رجل منكم بابه، وانجحر انجحار الضبّة في جحرها، والضبع في وجارها.

الذليل والله من نصرتموه، ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل.

---

[1]. نفس المصدر (127/6).

[2]. نفس المصدر (74/2).

[3]. (نفس المصدر 74/2.

إنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي.

أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم! لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق"[1]

وقال ◀ لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشيًا حتى أتى النخيلة، وأدركه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين! نحن نكفيكهم، فقال ◀:

"والله ما تكفونني أنفسكم، فكيف تكفونني غيركم! إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، فإني اليوم أشكو حيف رعيتي، كأنّني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة" [2]

لقد كنت أمس أميرًا فأصبحت اليوم مأمورًا، وكنت أمس ناهيًا فأصبحت اليوم منهيًا، وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون!"[3]

ويقول في موقع آخر ذاماً أصحابه ومثنياً على صحابة الرسول:

"ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحق بي منكم، قوم والله ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي، مضوا قدمًا على الطريقة، وأوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة" [4]

"ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساغ ريقه.

أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطلهم، وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي.

---

[1]. نفس المصدر (102/6) .

[2]. (نفس المصدر (145/19) .

[3]. نفس المصدر (29/11) .

[4]. نفس المصدر (115/7) .

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرًا وجهرًا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا.

شهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي، فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحنيّة عجز المقوُّم وأعضل المقوَّم.[1]

"أيها القوم! الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلًا منهم!

يا أهل الكوفة ! منيت منكم بثلاث واثنتين، صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جُمعت من جانب تفرقت من آخر.

والله لكأني بكم – فيما إخالكم– أن لو حمس الوغى، وحمي الضراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قُبُلها، وإني لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيي، وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطًا" [2]

"أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرتُ لم تطع، وإذا دعوتُ لم تجب.

إن أُهملتم خُضتم، وإن حوربتم خِرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجئتم إلى مشاقة نكصتم.

لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم، والجهاد على حقكم! الموت أو الذل لكم، فوالله لئن جاء يومي وليأتيّني، ليفرقن بيني وبينكم، وأنا بصحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير.

---

[1]. نفس المصدر (70/7).

[2]. نفس المصدر (70/7).

لله أنتم، أما دين يجمعكم، ولا حمية تشحذكم، أوليس عجبًا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام، فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم –وأنتم تريكة الإسلام وبقيّة الناس– إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتتفرّقون عني وتختلفون عليَّ.

إنه لا يخرج إليكم من أمري رضىً ترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاقٍ إلي الموت.

قد درّستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرّفتكم ما أنكرتم، وسوغتم ما مججتم، لو كان الأعمى ينحط أو النائم يستيقظ!" [1]

"أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء.

تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد!

ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، دفاع ذي الدَّين المطول.

لا يَمنع الضيم الذليل، ولا يُدرك الحق إلا بالجد.

أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم.

ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم رجال أمثالكم.

أقَولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعًا في غير حق؟!"[2]

"أفّ لكم، لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضًا، وبالذلّ من العز خلفًا، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة.

---

1. نفس المصدر (67/10).
2. نفس المصدر (111/2).

يرتج عليكم حواري فتعمهون، فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يُمال بكم، ولا زوافر عزّ يُفتقر إليكم، ما أنتم إلا كإبل ضلّ رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس لعمر الله سُعر نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون!

وأيم الله! إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى، واستحرَ الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس.

والله إن امرءًا يمكّن عدوه من نفسه، يعرق لحمه وينهش عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره.

أنت فكن ذاك إن شئت، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

ويقول مخاطبا الذين خرجوا عليه من جيشه :

"أيها الناس! إن لي عليكم حقًا، ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم؛ وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم" [1]

فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فلِمَ تضللون عامة أمة محمد △ بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب، وقد علمتم أن رسول الله ص رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله △ بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءَهم من بين أهله.

ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيهه.

---

[1]. نفس المصدر (189/2) .

وسيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة، وإياكم والفرقة".

"والله ما تكفونني أنفسكم، فكيف تكفونني غيركم! إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، فإني اليوم أشكو حيف رعيتي، كأنني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة").

هذه هي صورة اصحاب علي كما يرسمه لنا سيدنا علي نفسه ، فلو اتبع الشيعة في دراسة حياة هؤلاء المنهج الذي يتبعونه في دراسة حياة أصحاب النبي △ لوجب عليهم أن يكفروهم ويفسقوهم ويرموهم بالنفاق والجبن والبخل وغيرها من النقائص لأنهم كما رأيت آذوه وخالفوه وعصوا اوامره واتهموه وملئوا قلبه قيحا وغيظا واشتكى منهم وود ان لم يرهم ولم يروه وتمنى فراقهم ودعا عليهم ووصفهم بأبشع الاوصاف . ولكن الشيعة لا يفعلون ! وهذا إن دلّ على شيء فانه يدل على اتباع الهوى وعدم توخي الحق ، او ان هناك أجندة شعوبية معادية للاسلام ولكن الشيعة العرب لم ينتبهوا اليها، والاّ ما معنى السكوت عن اصحاب علي الذي ذمهم بنفسه في عشرات المواطن والتجرؤ على ذم أصحاب النبي الذين مدحهم الله وأثنى عليهم ووعدهم الجنات والرضوان ومدحهم الرسول △ في عشرات المواقف؟!

ربما يقول قائل إذا حكمنا على اصحاب علي الذين قاتلوا معه خصومه بالكفر والفسوق والنفاق فبم نحكم على خصومه الذين قاتلوه وناصبوه العداء ؟ وهذا اعتراض وجيه، ولكنه بحق اصحاب النبي △ الذين آمنوا به وهاجروا معه وجاهدوا معه ونصروه ثم حاربوا المرتدين وثبّتوا أركان الاسلام وجمعوا القرآن ونشروا الاسلام أليق ، فيقال : إن قيل بحق هؤلاء الصحابة أنهم كفار ومنافقون وفساق فماذا يُقال بحق الذين قاتلوهم من المشركين والمرتدين والنصارى والمجوس؟

اقرأ ما قاله علي ◄ في أصحابه ثم قارن بينهم وبين اصحاب محمد△ ثم احكم بنفسك : أي الفريقين أحق بأن تُلصق به هذه الاوصاف التي يُلصقها الشيعة بأصحاب

النبي لا سيما إذا عرفت أن مخالفة الامام كمخافة النبي في نظر الشيعة وأن الراد على الامام كالراد على النبي سواء بسواء!

إذا كان الشيعة يبحثون عن مبررات لمخالفات اصحاب علي ، فلماذا لا ينهجون نفس النهج مع اصحاب محمد ؟ أليس اصحاب محمد أولى بالانصاف من اصحاب علي؟ أم ان لاصحاب علي خصوصية ليست لأصحاب محمد؟ لا أستبعد ذلك لأنهم يروون حديثا قدسيا عن الله انه قال لعلي :" يا علي سادخل الجنة من اطاعك وان عصاني وادخل النار من عصاك وان اطاعني"[1]

إذا جاز لهم ان يبرروا كل هذه المخالفات التي آذت علياً وأحزنته والتي دفعته الى إظهار كل هذه الشكاوى منهم ، فلماذا لا يبررون بعض مخالفات اصحاب النبي التي لم تسبب للنبي من الألم والحزن عشر معشار ما سببته مخالفات اصحاب علي لعلي ، علما أن النبي △ لم يشْكُ منهم بل مدحهم وأثنى عليهم في أكثر من موطن ، والقرآن أيضا مدحهم وأثنى عليهم ؟ بأي مكيال يكيلون وعلى أي منهج يسيرون؟؟!

اننا لو درسنا هذا الموضوع بعلمية وحيادية وتجنبنا اثارة العواطف والصيد في الماء العكر والضحك على الذقون لتفهّمنا موقف الصحابة جيدا ولعددناه امرا طبيعيا لخطورة الموضوع وحراجة الموقف، ولكن الشيعة يتخذونه ذريعة للوصول الى غاياتهم وهي النيل من الصحابة وتجريحهم ! وليتهم اتبعوا نفس المنهج مع اصحاب علي واستخدموا نفس المعايير لتقويمهم ولكن مع الاسف يكيلون بمكيالين ، تغاضٍ شديد عن ممارسات واخطاء اصحاب علي و عما كانوا يفعلونه بحقه، وتحامل شديد على صحابة رسول الله وابراز وتفخيم الهفوات ، واغلب الاحيان قلب المناقب الى مثالب!

---

[1]. هذا الحديث اورده الدكتور محمد الهاشمي في حوار رمضان من عام 1431 للهجرة على قناة المستقلة ناقلا اياه من مواقع شيعية واقر بصحته الشيخ ثامر الميالي ممثل المدرسة الشيعية التقليدية ولكن رده الشيخ علي الامين دون تردد عملا بقول الائمة اذا خالف قولنا كتاب الله فاضربوا به عرض الحائط

حقيقة مخالفة الصحابة للرسول:

ذكرنا فيما مضى بعض القواعد للحكم على الصحابة منها:

1. **تقويمهم من خلال مجموع ما عملوا وقدموا لا من خلال موقف واحد أو تصرف واحد . وكان هذا منهج رسول الله △ في تعامله معهم ، ففي فتح مكة مثلا ، وقع حاطب بن ابي بلتعة في خطإ كبير يعد في ميزان السياسة من الخيانة الكبرى حين كشف سر المسلمين وبعث الى اهل مكة من يخبرهم بأن الرسول △ قادم لفتح مكة وحين كُشف أمره استعظم الصحابة هذا الفعل وطلبوا ايقاع العقوبة الشديدة عليه ، ولكن الرسول△ قال : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.[1]**
2. **ومن خلال مجموع ماورد في حقهم من آيات وأحاديث لا من خلال نص واحد او نصين .**
3. **رد النصوص المتشابهة الى النصوص المحكمة.**
4. **تحكيم المتأخر في المتقدم في النزول .**

ولكن الشيعة يعملون عكس ذلك تماما فانهم يعمدون الى إغفال جميع ماورد في حق الصحابة من آيات قرآنية واحاديث نبوية محكمة وصريحة ويعرضون عنها صفحا ويتشبثون بالآيات والاحاديث المتشابهة والتي توحي ظاهرها بالذم او فيها عتاب على بعض مواقفهم ويبنون عليها احكامهم ثم يرصدون المواقف التي وقف فيها الصحابة موقف المستفسر من اوامر الرسول△ او التى تباطئوا فيها في تنفيذ اوامره ليدعموا بها مواقفهم السلبية من الصحابة وعقيدتهم فيهم دون محاولة دراسة حيثيات تلك الامور او دراسة دوافع الصحابة فيما كانوا يفعلونه . ان الشيعة لايريدون ان يفهموا او يدركوا دوافع الصحابة فيما كانوا يفعلونه وذلك لنظرتهم السوداوية عنهم وموقفهم المعادي لهم حيث لا يدعهم ذلك ان يفكروا بتجرد وانصاف وعقلانية ، وهذا هو حال كل من يتعامل مع الامور بمقررات

---

[1]. تهذيب سيرة ابن هشام/ ص 283

مسبقة، فهذه المقررات لا تدعه يضع الامور في ميزان العقل المتجرد عن الهوى ويحللها تحليلا عقليا ومنطقيا بحياد وانصاف! .

ان الشيعة، كما قلنا من قبل، لم يبنوا موقفهم من الصحابة من مجموع الآيات والاحاديث التي تتحدث عنهم ، ولا من مجموع ما قدموه للاسلام من تضحيات ولا من خلال ما بذلوه من الجهود في سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه ، وانما بنوا موقفهم منهم على شيء واحد فقط : هو موقفهم من علي ومن خلافة علي! فالشيعة حين رأوا عليا احق الناس بالخلافة ورأوا الصحابة قد عدلوا عنه الى غيره اتهموهم بالخيانة والظلم والكفر والردة الخ من الاتهامات . ان عدم تولي علي للخلافة فور وفاة الرسول △ هو المعيار الوحيد لتقويم الصحابة ، فما دام الصحابة لم يختاروا عليا للخلافة واختاروا غيره إذاً فهم متهمون وظالمون وفاسقون ومرتدون.. !.

اما اهل السنة فانهم يبنون مواقفهم منهم من مجموع ما نزل بشأنهم من آيات وورد في حقهم من أحاديث ، ومن مجموع ما قدموه للاسلام من تضحيات وما بذلوه في سبيل حفظ مبادئه ونشر تعاليمه ، وهم بعد ذلك بشر يخطئون ويصيبون . وانهم يعتقدون ان الرسول△ قد سُرَّ بهم وقرت عينه بهم وذهب الى ربه قرير العين طيب الخاطر راضيا عن اصحابه فرحا بما حققه للاسلام وبما انجزه من منجزات مفاخرا الانبياء باصحابه وبمنجزاته حيث انجز ما لم ينجزه غيره وخلف من لم يخلفه غيره من الرجال المؤمنين الصادقين الحاملين لراية التوحيد الى العالمين ، الجامعين لكتاب ربهم والحافظين لسنة نبيهم والامناء على ما تركه في ايديهم . هذه هي القاعدة التي ينطلق منها اهل السنة لتقويم الصحابة وتفسير مواقفهم وتصرفاتهم ، واستصحاب حسن الظن بهم في كل ما فعلوه وتفسيرها بما يتلائم وحقيقة ايمانهم وصدق بلائهم لا سيما المواقف التي توحي ظاهرها بالمخالفة او التباطؤ او العصيان.

يجب الاخذ بنظر الاعتبار دوافع الصحابة في عدم امتثال اوامر الرسول △ ، فإذا لم يكن الدافع هو المعصية أو الرفض وانما الاخلاص للرسول والاعتزاز بالاسلام لم يتوجب الذم بل ربما كان ذلك سببا للمدح والثواب ، ولنضرب بعض الامثلة من واقع الحياة لنقرب الى ذهن القاريء طبيعة مخالفات الصحابة لاوامر الرسول:

1. لو ان مسؤولا قال لحراسه اذهبوا وناموا ولا تحرسوني هذه الليلة، ثم جاء ووجدهم قد عصوه وخالفوا امره ووقفوا على بابه يحرسونه حتى الصباح ، هل هذا سيغضبه ويدفعه الى معاقبتهم ام انه سيُسَر بهم ويكافؤهم على صنيعهم ذلك ولو كان في ظاهره مخالفة لامره؟. لا شك انه سيُسر بهم وقد يكافؤهم عليه لان ما فعلوه نابع من حبهم له وحرصهم على حياته .

2. ولو ان مسؤولا زار بعض اعوانه وطلب منهم ان لا يتكلفوا في صنع الطعام ويقدموا له ما يصنعونه لانفسهم ثم وجدهم قد خالفوا امره وذبحوا له الذبائح وعملوا على شرفه وليمة كبيرة ، فهل يا ترى يضيق صدرا بذلك ويغضب عليهم ويعاقبهم ام انه سينبسط به ويزداد حبه لهم؟ . لاشك انه سينبسط بذلك ويزداد اعتداده بهم وقد يكافؤهم على صنيعهم لانه نابع من حبهم له واكرامهم وتقديرهم وتعظيمهم إيّاه.

3. ولو أن قائدا أراد ان يبرم صلحا مع اعدائه لقوة عدوه وكثرة جنوده ثم رآى جنده يخالفونه في الرأي ويحرصون على مواجهة العدو ولا يرضون باعطاء التنازلات ، فهل يا ترى سيغضب هذا القائد على جنده أو انه سيُسر بهم وينشرح صدره بهم وان خالفوه في الرأي وأصروا على مواجهة العدو؟ لا شك انه سيُسر بهم وينشرح صدره بهم وتزداد محبته لهم وثقته وافتخاره بهم لما يراه فيهم من الحماسة والاستعداد للتضحية وعدم التنازل للعدو، ولكنه مع ذلك قد يخالفهم ويبرم المصالحة لمصلحة يراها هو.

4. ولو ان رجلا او قائدا مرض مرضا شديدا ومنع اهله او اتباعه الناس من زيارته حرصا على سلامته وابعدوا عنه كل ما يضر بصحته ، فهل يا ترى يغضب عليهم ام يشكرهم على صنيعهم ذلك؟ لا شك انه سوف لن يعاتبهم ولن يوبخهم بل يشكرهم عليه لانه نابع عن حبهم له وحرصهم على راحته وسلامته.

كل مواقف الصحابة التي توحي ظاهرها بمخالفة الرسول كانت من هذا القبيل ، لذا لم يغضب الرسول عليهم ولم يعاتبهم الله عليها. ففي صلح الحديبية مثلا اعترض الصحابة على ابرام ذلك الصلح ورفضوا الامتثال لاوامر النبي △ في اول الامر فلم يحلقوا رؤوسهم ولم ينحروا هديهم ولكن عندما رأوا الرسول △ قد حلق راسه ونحر هديه علموا ان الامر جد

ولا يجوز لهم الاستمرار في الاعتراض اكثر من ذلك، فحلقوا رؤوسهم ونحروا هديهم وقد بلغ الغيظ بهم حدا جعلهم يحلقون بعضهم بعنف شديد يكاد احدهم يقطع رأس صاحبه ، ومع ذلك لا الرسول ذمهم ولا القرآن عاتبهم بل على العكس من ذلك فقد نزل القرآن في أعقاب صلح الحديبية يمتدحهم ويثني عليهم حيث نزلت آية: " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا" الفتح/18 وكذلك قال في حقهم : " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة.." الفتح/29.

كان يرتقب ان يعاتبهم الله على موقفهم ذلك ويعنفهم ولكننا نرى العكس تماما فقد مدحهم الله في موقعين من السورة التي نزلت مباشرة بعد صلح الحديبية . لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى قدّر دوافعهم ونواياهم وعلم انهم لم يفعلوا ذلك رغبة في مخالفة الرسول وانما فعلوه لأنهم ظنوا ان ذلك تنازل لقريش وكانوا يعتقدون انهم اقوى منهم واكرم وليس لهم حاجة الى اعطاء التنازلات وانهم بما حباهم الله بالاسلام وكرمهم بالايمان اصبحوا اعز من ان يتنازلوا للمشركين [1]. وهذا الشعور يحمدون عليه ، وهذا ما كان الرسول يريد ان يزرعه في نفوسهم : الاعتزاز بالايمان والاستهانة بالدنيا وبالاعداء .

---

[1]. هذا ظاهر في كلام عمر ◀ كما جاء في سيرة ابن هشام: " فلما التأم الامر ولم يبق الاّ الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى ابابكر، فقال : يا أبا بكر، أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال ابوبكر : يا عمر، الزم غرزه (امره) ، فاني اشهد انه رسول الله . قال عمر : وأنا اشهد انه رسول الله. ثم أتى رسول الله △ فقال : يارسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى. قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أُخالف أمره ، ولن يضيعني. تهذيب سيرة ابن هشام ص 257/ دار احياء التراث العربي.

ان مخالفة الصحابة للرسول △ لم تجعله يضيق بها صدرا بل كانت مدعاة لسروره لانه من آثار التربية الايمانية في نفوس اتباعه ، ولذلك مدحهم الله بدلا من ان يذمهم[1]. ولكننا نرى الشيعة حين يتناولون هذا الموضوع يركزون على الصورة التي تبدي المخالفة فيلومون

---

[1]. ومن الأمثلة الصحيحة على ذلك ما وقع من مخالفة علي وأبي بكر لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، الأول في مسح كلمة رسول الله في صلح الحديبية، والثاني في الأمر بثبوت أبي بكر في مكانه إماما في صلاته التي صلاها بالمسلمين في مرض النبي، ومعلوم أن مخالفتهما لم تكن عصيانا لمره صلى الله عليه وسلم ، بل كان تعظيما لقدره الشريف وتأدبا أمام مقامه الرفيع.

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا أُحْصِرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عِنْدَ الْبَيْتِ صَالَحَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا فَيُقِيمَ بِهَا ثَلاَثًا وَلاَ يَدْخُلَهَا إِلاَّ بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ السَّيْفِ وَقِرَابِهِ. وَلاَ يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا وَلاَ يَمْنَعَ أَحَدًا يَمْكُثُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ.

قَالَ لِعَلِي « اكْتُبِ الشَّرْطَ بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ». فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابَعْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا فَقَالَ عَلِيٌّ لاَ وَاللَّهِ لاَ أَمْحَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَرِنِي مَكَانَهَا ». فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ « ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ». فَأَقَامَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ قَالُوا لِعَلِي هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ فَأْمُرْهُ فَلْيَخْرُجْ. فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ « نَعَمْ ». فَخَرَجَ. وَقَالَ ابْنُ جَنَابٍ فِى رِوَايَتِهِ مَكَانَ تَابَعْنَاكَ بَايَعْنَاكَ.-صحيح مسلم

وكذلك مخالفة الصديق لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالبقاء في مكانه إماما للناس في صلاته:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ كَانَ بَيْنَ نَاسٍ مِنَ الأَنْصَارِ شَىْءٌ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَجَاءَ بِلاَلٌ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ قَدْ حَضَرَتِ الصَّلاَةُ وَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- هَا هُنَا فَأُؤَذِّنُ وَأُقِيمُ فَتَقَدَّمَ وَتُصَلِّىَ. قَالَ مَا شِئْتَ فَافْعَلْ. فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَفْتَحَ الصَّلاَةَ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَصَفَّحَ النَّاسُ بِأَبِى بَكْرٍ فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَنَحَّى فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَىْ مَكَانَكَ فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَصَلَّى فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ ». قَالَ مَا كَانَ لاِبْنِ أَبِى قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. قَالَ « فَأَنْتُمْ لِمَ صَفَّحْتُمْ ». قَالُوا لِنُعْلِمَ أَبَا بَكْرٍ. قَالَ « إِنَّ التَّصْفِيحَ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسبِيحَ لِلرِّجَالِ - مسند الإمام أحمد وقد ورد بمعناه في البخاري ومسلم.

الصحابة ويقدحون فيهم دون ان ينظروا الى ما قاله القرآن فيهم وكيف عقب على تلك الحادثة . هذا مثال على ان الشيعة لا يبنون مواقفهم من الصحابة على القرآن وانما على مقررات مسبقة عندهم وهي كره الصحابة .

أما تأخر جيش اسامة في مغادرة المدينة فهو كذلك من المواقف التي يُحمدون عليها ولذلك لم يذمهم الرسول لأنه كان يعلم انهم لا يفعلون ذلك رغبة في معصيته وانما يفعلونه حبا له وحرصا عليه وخوفا من ان يغادروا المدينة ورسول الله يحتضر فلا يتاح لهم رؤيته بعد ذلك . فحبهم لرسول الله △ هو الذي منعهم من الاسراع الى مغادرة المدينة. واذا قلت اذا كان قولك هذا صحيحا لماذا تركوا جثمان الرسول △ وراحوا يبحثون عمن يخلفه ؟ نقول : ان ذلك لم يكن من قبل جميع الصحابة كما مر بنا وانما كان من قبل بعض الانصار وبتحريك بعض رؤسائهم او المتخوفين منهم من هيمنة قريش ولم يكن يعكس الجو العام لاهل المدينة لان المدينة كانت يوم توفي الرسول△ اصبح الناس كما يروي بعض الصحابة كالشاة التي فقدت راعيها في اليوم شديد المطر وان الناس ظلوا مشدوهين لا يدرون ماذا يفعلون من شدة وقع وفاة الرسول △ عليهم. وان اغفال هذا الجانب، اي تأثر الناس بموت الرسول △ وابراز الجانب الاخر، اي اجتماع الانصار في السقيفة ، تشويه متعمد للصورة واظهارها على غير حقيقتها . وهذا لايفعله الا من يريد الوصول الى هدف معين حدده من قبل وهو تشويه صورة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

هناك مسألة اخرى في علاقة الصحابة بالنبي وهي تمييزهم بين ارادة الله و رغبات الرسول وقد أجاد الدكتور موسى الموسوي في تصويرها فلا بأس بنقلها هنا كاملة:

الفصل بين الأوامر الإلهية ورغبات النبي الشخصية:

إن فصل هذين الجانبين في الشخصية المحمدية صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يساهم مساهمة كبيرة في إعطاء صورة واضحة عن الجانب الإلهي والشخصي في رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وإذا علمنا أن النبي الكريم كان يحاول جاهداً التفريق بين الجانب الإلهي في أقواله وما يصدر عنه من أقوال وأعمال لا صلة لها بالسماء لعرفنا عظمة النبي وعظمة نفسه الكريمة، فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم بهذه الآيات البينات "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى" النجم الآيات 3– 5 ، لا شك أنه يقصد بذلك أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عندما يقرأ القرآن ويبلغ المسلمين بالآيات الإلهية وبالأحكام المنزلة عليهم إنما ينطق بالوحي وبكلام الله المنزل على قلبه وهذا هو شرط الإيمان بالإسلام ، وبرسالة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وبالقرآن المنزل عليه، ولكن القرآن الكريم حتى يبين الفرق الأساسي بين ما هو رغبة من رغبات النبي الخاصة وما هو أمر إلهي قد حسم الموقف بصورة واضحة وصريحة في آيات العتاب وفي آيات النهي عن أمور كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يرغب الإتيان بها ولنقرأ معاً هذه الآيات :

" يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ....." 67 المائدة.

" واذكر ربك إذا نسيت"24 الكهف

" سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى...."6–7 الأعلى

"ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ....؟176 آل عمران

" ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ....؟8" الحجر

" وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ......"67 الأنفال

" عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ...."43 التوبة

" وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم نهم أصحاب الجحيم ...."113 التوبة

" وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ...." .3 الأحزاب

" يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم؟"1 التحريم

" عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة..."1–11 عبس

" قل غنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد .....؟11" الكهف

" إنك ميت وإنهم ميتون ....."30 الزمر.

إن من يتدبر في هذه الآيات البينات سيعلم علم اليقين أن القرآن الكريم يؤكد تأكيداً قاطعاً على أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن ملَكاً ولا عنصراً سماوياً ولا موجوداً خارج نطاق هذا الكون وطبائعه إنما هم بشر مثل سائر البشر، كان يأكل وينام ويصح ويمرض ويحب ويكره ويتزوج وينجب الأطفال حسب الناموس الطبيعي للكون فيسري عليه من التفاعل الطبيعي كل ما هو يسري على سائر أفراد البشر، ومن الواضح جداً أن التأكيد على هذا الجانب في رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما كان ليثبت للناس أن كل ما يصدر من النبي لا يعني أنه وحي أو كلام إلهي أو أمر سماوي، أما الناحية الإلهية في وجود النبي وهي الاتصال بالمبدأ الأعلى فكان يؤكدها شخص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عندما كان ينزل عليه الوحي ويطلب من كتبة الوحي أن يدونوا قول الله تعالى، ويبدوا واضحاً للمتتبع لأخلاق الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما قلنا قبل قليل إنه كان يسعى جاهداً لتأكيد الفصل بين الجانب السماوي والأرضي في شخصه وهذه كانت من أكبر السمات الدالة على قوة النبي النفسية وصدقه في الرسالة وإخلاصه لربه وعظمة شخصيته وهي خصال لا تضاهيها خصال أي رسول من رسل السماء وأي عظيم من عظماء الأرض، فهذا الدور البارز العظيم الذي كان يؤديه ليظهر بالمظهر الذي خصه به ربه وبالصفات التي وصفه بها إلهه (فهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ولكنه بشير ونذير أرسله الله للعالمين، فعندما كانت تنزل عليه آيات الثناء كان يقرؤها من موقع العبد المطيع فلم ير النبي في نفسه انتقاصاً عندما تلا على المسلمين آيات العتاب التي نزلت عليه كما لم يظهر عليه الخيلاء والتكبر عندما تلا آيات الثناء التي أنزلها الله على قلبه، وهكذا كانت آيات العتاب والتحذير تعطي للرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قوة لا تقل عن قوة آيات المدح والثناء ، فلا غرو انه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تلقى من ربه كلمات لم تنزل قط على من سبقوه من أولي العزم من الرسل" وإنك لعلى خلق عظيم "4 القلم، ولم يقتصر دور الرسول البارز في فصل موقعه

السماوي من البشري إلى هذا الحد فحسب بل تجاوزه إلى أبعد ما يمكن للمرء أن يتصوره فعندما هابه رجل من الأعراب التقى به قال له " هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد " ، وهذه العظمة الروحية في نكران الذات تتجاوز آفاق الأرض والسماء وتتجلى في أعظم مظاهرها عندما كسفت الشمس في يوم وفاة ابنه إبراهيم فقال الناس:(انكسفت الشمس لوفاة ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ! وسمع الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما قاله القوم فصعد المنبر وخاطب المسلمين بقوله:" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد وإنما ما ت إبراهيم بقضاء وقدر من الله"، وهكذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يدفع عن نفسه مظاهر القدسية وهالاتها ليثبت عبوديته لله ، وإنه بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً" قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ...."49 يونس، ويزيد النبي في العبودية والعبادة حتى أنزل الله عليه قوله:" طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ...."1–2 طه.

الحرية الفكرية والاجتماعية في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

لكن الوجه الآخر المكمل لهذه السيرة النبوية يتجلى في شيء آخر هو الحرية الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول الكريم لأصحابه وللمسلمين، حقاً إن المرء ليطأطئ رأسه خضوعاً وخشوعاً لعظمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عندما يتابع عصر الرسالة وما فيها من الحريات الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأصحابه وللمسلمين وهذا هو الجانب المكمل للطريقة التي كان يتبعها الرسول الكريم للفصل بين شخصيته " كرسول الله " و " كمحمد بن عبد الله " ولو أن المتتبعين والمحققين للتاريخ درسوا هذه الناحية في عصر الرسالة وهذا الجانب من سياسة النبي الاجتماعية لسهل عليهم فهم كثير من الغوامض التاريخية المتعلقة بعصر الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبعد وفاته، ولحلت كثيراً من الخلافات الفكرية والمذهبية بين المسلمين التي انتهت إلى إراقة الدماء تارة وإلى الشتم والتنابز بالألقاب تارة أخرى.

لقد منح الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صحابته والمسلمين من الحرية الفكرية والاجتماعية والمساواة منذ إبان دعوته وعند انتشارها وحتى آخر يوم من حياته ما لم نجده في أي عصر آخر ولدى أية أمة أخرى ولم نجده حتى في عصرنا هذا لدى أرقى الأمم ديمقراطية وحرية، ولا اعتقد أنه يوجد في تاريخ الديمقراطية والمساواة قديماً وحديثاً أن سيد قوم ومؤسس أمة وقائد فكر يجلس مع صحابته في صورة دائرية لكي لا يكون لمجلسه الصدر والذيل ويكون كل فرد في ذلك المجلس مساوياً مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في جلسته حتى أن الأعرابي عندما كان يدخل إلى مجلس الرسول فلا يميزه بين الصحابة كان يسأل: من هو محمد؟ فكان الصحابة يشيرون إليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ويكفي لذلك العصر فخراً وجلالاً أن بروتوكولات الديمقراطية في عصر الفضاء قلدت فكرة المائدة المستديرة لاجتماع الملوك والرؤساء من مجلس الرسول العربي، والنبي إذا صافح رجلاً كان يمسك بيد الرجل حتى يرسلها صاحبها احتراماً منه لذلك الرجل، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما وصفه علي بن أبي طالب : " يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه" ، ولعل هذه الديموقراطية والحرية تجلت في أكبر صورها عندما كان الكثير من الناس يستغلونها ويخرجون عن حدود الأدب وطوره بالنسبة للقائد الإلهي، وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحتمل ذلك بصبر وأناة وابتسامة حتى أنْ نزل أمر الله على المسلمين معاتباً إياهم في ذلك، ولكن حتى الآيات الإلهية لم تنه نهياً قاطعاً من كيفية تعامل الناس مع الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل ألقى الملامة عليهم ووصفهم بالجهل أو وضعت ضريبة غير ملزمة لأولئك الذين يخرجون عن الاحترام اللائق بالنسبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولكن الله لم يحرم شيئاً من ذلك ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات" يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور

رحيم " – 5 الحجرات، " يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم "12 المجادلة، وأعتقد أن من الضرورة بمكان أن أثبت في هذا الفصل حادثة أخرى وقعت في حياة النبي الكريم وكانت لهلا صلة مباشرة بزوجته السيدة عائشة أم المؤمنين ألا وهي قصة الإفك.

إن المتتبع لقصة الإفك يتضح أمامه صورة كاملة للحرية التامة التي كان المسلمون يتمتعون بها في الفكر والتعبير والكلام ، فكل من يقرأ تاريخ تلك الحقبة يعلم علم اليقين أن إشاعة الإفك عندما انتشرت في المدينة وأصبحت حديث الناس في مجالسهم ونواديهم ، وكانت تلك الأخبار المحزنة تصل إلى سمع رسول الله فلم يصدر منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يوحي بالغضب على صحابته أو أهل المدينة ، ولا شك أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يعلم زيف التهمة الموجهة إلى أم المؤمنين ،وهي أعز أزواجه بعد السيدة خديجة الكبرى ، وابنة صاحبه في الغار ومن أقرب الصحابة إليه ، ولكنه أراد أن لا يستعمل صلاحية القائد أو يحد من صلاحية الأمة في التعبير عن الكلام، فالتاريخ لا يشير قط إلى أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طلب من أصحابه أن يكفوا عن حديث الإفك أو أنه اعترض عليهم في القول أو صدر منه ما يشعر المسلمين بأنه غاضب عليهم لما يقال في همس أو علن في أم المؤمنين ، أو أنه أجرى تحقيقاً مع المشتبه بأمرهم في إشاعة الإفك وكان للنبي في المدينة أعداء ألدّاء تتجسد في الجالية اليهودية ومن المنافقين والمتربصين به وبكل ما يحيط به فلم يتخذ النبي وجود الأعداء بين ظهور المسلمين ذريعة ليطلب من أهل المدينة الكف عن حديث الإفك حتى يهونوا عليه ولا يثخنوا في الجراح بل بالعكس من كل هذا عالج الإفك بالصبر حتى أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شاور علي بن أبي طالب و زيد بن حارثة وبعض الصحابة في الطريقة التي ينبغي عليه أن يعالج ذلك الأمر ولكن ليس مع الأفاكين بل مع أم المؤمنين.

ومع أن الوطأة كانت شديدة على السيدة عائشة وعلى أبيها وأسرتها فهزلت ومرضت ولزمت الفراش، ولكن هذا اللغط الاجتماعي الغريب يعصر قلبها كلما تصورت ما يقول عنها الآفكون إلاّ أن كل ذلك لم يغير من سياسة النبي العظيم في الحد من إطلاق الحريات

الاجتماعية أو حمل الناس على السكوت وعدم الخوض في ما يدور في مجالس المدينة ونواديها، وهنا ظهرت المشيئة الإلهية وإرادته البالغة فوضعت حداً سماوياً للأحاديث الجارحة والاتهامات الباطلة التي ينسبها البعض إلى البعض بلا دليل أو شاهد أو بينة فأنزل الله على قلب رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :" إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؟1" النور، وهكذا بَرَّأَ الرحمن ساحة السيدة عائشة ووضع سبحانه وتعالى حداً للحريات الكلامية الجارحة التي فيها إساءة للناس وحط من كرامتهم.

وهنا نريد أن نستنتج شيئاً أهم من هذه الحادثة وهو أن المجتمع الذي يصل فيه التعبير عن الرأي وحرية الكلام سواء أكان ذلك صحيحاً أو سقيماً إلى هذه المرحلة بحيث لا يرعى فيه حرمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي أنقذهم من الضلال والهلاك وهداهم إلى خير الدنيا والآخرة وخير البركات حتى أن نزلت آيات التأديب بحق الناس في ذلك المجتمع، هل يمكن للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يحمل مجتمعاً مثل هذا على أمر وهو مكره عليه إلاّ إذا كان ذلك الأمر من الله وبنص من كتابه فحينئذ كانت الحريات الفكرية والاجتماعية كلها تتبخر أمام الأوامر الإلهية ويصبح الفرد والمجتمع أمام أوامر الله ونواهيه عباداً مطيعين منقادين لا يسعهم إلا الامتثال لأمره والعزوف عن نواهيه.

لقد كان باستطاعة الرسول الكريم أن يخلق مجتمعاً من المسلمين يطيع إرادته الشخصية لا يحيد عنها إذا أمرهم بها، ولكن مثل هذا الأمر كان مناقضاً للرسالة التي جاء لأجلها ألا وهي إلغاء كل العبوديات والتقاليد المتعلقة بها ما عدا عبادة الله الواحد الأحد، وكما نعلم فإن الإسلام قد جاء ومحمداً قد بعث للقضاء على كل الرواسب والأفكار الجاهلية التي كانت أهم مظاهرها عبادة الفرد للفرد وإطاعة الفرد للفرد، وهكذا أخرج الإسلام الناس من ظلمات العبودية الفكرية والجسدية إلى حيث النور والحرية، ولذلك كان المجتمع الإسلامي الفتيّ يرى في الدين الجديد كل مقومات الحياة وكرامة الفرد والإنسان، إنها الرسالة السماوية التي جعلت من ذلك المجتمع الطبقي المؤلف من السادة والعبيد مجتمعاً موحداً يتألف من أناس كلهم سواسية أمام الله (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) ،" إن

أكرمكم عند الله أتقاكم " 13 الحجرات، وكان من نتائج الخروج من عبودية الأصنام والآلهة المتفرقة والتخلص من سادة قريش والدخول في عبادة الله الواحد الأحد تلك الحرية التي أنعمها الله على المسلمين والتي بفضلها بدأ المجتمع الإسلامي الجديد ينعم بحرية الرأي والتعبير والفكر ما دام لم يكن في تلك الحرية غضب الله وسخطه، وعندما أراد المجتمع الإسلامي ذلك أن يتجاوز القيود المفروضة عليه في التعبير عن الرأي لم يمنعهم الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من ذلك حتى لا يعيد إلى أذهانهم دور الإطاعة لسادة القوم وكبرائه ، بل انتظر في ذلك أمر السماء ونزول الوحي ، وجاء الأمر الإلهي يقيد المسلمين بالالتزام بالأخلاق الفاضلة وبعدم إشاعة الفحشاء في الذين آمنوا" إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة " 1 النور، كما أمرهم بالالتزام بحرمة المسلمين وعدم الإساءة إليهم بالكلام الجارح والسب المقذع: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراًً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون* يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم "1-12 الحجرات، وهكذا تظهر عظمة الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بكل قداستها وجلالها حيث لا يريد لأمته ومجتمعه إلا ما يريده الله لهم.

وهنا أعود لموضوع الخلافة وأقول: إذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يدافع عن زوجته في أخطر اتهام وجهته إليها عصبة جاءت بالإفك وهو يعلم أنها بريئة منه كل البراءة حتى لا يعيد الناس إلى دور الجاهلية وإطاعة السادة والكبراء بدون ضابط ومبرر فلم يكن في ذلك أمر إلهي، وإذا كان الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يرغب رغبة شخصية أن يكون عليّ خليفة من بعده كما تدل على ذلك الأحاديث التي رواها

الفريقان بأسانيدهما الصحيحة[1] لكنه لم يرغم أمته على قبول ذلك الخليفة بنفس الطريقة التي لم يرغم الناس فيها على أن يكفوا عن حديث الإفك في أعز أزواجه ولم يرغمهم في الكف عن معاملته بصورة لا تليق برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عندما كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته أو يتناجون بين يديه حتى أن نزلت الآيات الكريمات التي أمرت الناس بالتأدب والاحترام للنبي الذي أطلق للناس حرية استغلها البعض استغلالاً غير حسن وكريم.

ومرة أخرى نلقي نظرة فاحصة على عهد الرسول الكريم والحرية التي كان المجتمع الإسلامي الفتي ينعم بها إلى درجة تجاوزت الحدود ووصلت إلى مرحلة خطيرة أغضبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنها كانت خروجاً على التقاليد المرعية والمتبعة في إطاعة القائد الأعلى أثناء القتال فقد أجمع أرباب السِّيَر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما مَرِضَ مَرَضَ الموت دعا أسامة بن زيد بن حارثة فقال له: " سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش وإن أظفرك الله بالعدو فأقلل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع ......" فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في ذلك الجيش منهم أبو بكر و عمر فتكلم قوم وقالوا: "يستعمل هذا الغلام على جلة من المهاجرين والأنصار" [2] فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما سمع ذلك وخرج عاصباً رأسه فصعد المنبر وعليه قطيفة فقال:" يا أيها الناس ما مقالة بلغتني عن

---

[1]. تحدثنا عن الاحاديث التي رواها اهل السنة بخصوص سيدنا علي وأثبتنا أنها لم تأت بمعنى الخلافة وانما لأغراض أخرى ، بل على العكس تماما فإن الامور التي فعلها بحق سيدنا أبي بكركاستصحابه في رحلة الهجرة ، وتأميره على الحجيج ، وامره له أن يصلي بالناس، أكثر دلالة على رغبته في استخلاف ابي بكر أو رغبته في أن يفهم الناس بأن أبابكر هو خليفته من بعده .هذا بالاضافة الى كل تلك الاحاديث التي قالها بحق ابي بكر.

[2]. أثبتنا بما لامجال فيه للشك أن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش وإن كان وجوده فيه لا يضيره ولكن الحق احق ان يتبع ، وقائل ذلك القول ليس ابو بكر أو عمر وانما هو شخص آخر أشرنا الى اسمه عند الحديث عن بعثة اسامة وان عمر وبخه على كلامه ذلك.

بعضكم في تأمير أسامة لئن طعنتم في تأمير أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبل وايم الله إنه كان خليقاً بالإمارة وابنه من بعده لخليق بها وإنهما لمن أحب الناس إليَّ فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم ".

وهكذا نرى بوضوح أن قلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان أكبر من أن يأمر بمعاقبة قوم طعنوا في القيادة التي اختارها لجيشه وتجاوزوا على صلاحيات القائد الأعلى الذي هو في الوقت نفسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومؤسس أمة وباني مجد وقائد عسكري عظيم حيث يصفه الإمام علي بقوله:" كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن منا أقرب للعدو منه "، مثل هذا الرسول العظيم وأمام هذه البادرة الخطيرة لم يزجر ولم يهدد ولم يتهم بالفسق والخروج عن الإسلام أحداً من الذين طعنوا في إمارة أسامة وكل ما قاله في آخر عتابه:" واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم " ، كل هذا يثبت للمسلمين أن اختياره لأسامة لم يكن بأمر من الله ولا علاقة لهذا الاختيار بالسماء والوحي بل إنه اختيار شخصي ينبع من كفاءة أسامة وحبه لقيادة جيش المسلمين، وإن غضبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للمقالة التي قالوها لا يحملهم مسؤولية أخروية أو عذاباً إلهياً، ولذلك ختم كلامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معدداً الأسباب التي كانت وراء اختياره للقائد الشاب وطلب من المسلمين أن يسيروا وراءه.

ونذكر هنا رواية رواها ابن عباس عن الخليفة عمر صريحة كل الصراحة في موقف الصحابة نحو الرغبات الشخصية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والأوامر الإلهية التي كان يصدع بها فقد روى ابن عباس قال: "خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته فانفرد يوماً يسير على بعير فاتبعته فقال: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك ، سألته أن يخرج معي فلم يقبل ولم أزل أراه واجداً، فيم تظن موجدته؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة ، قلت: هو ذاك إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له ، فقال: يا ابن عباس وأراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك ، إن رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره فنفذ مراد

الله تعالى ولم ينفذ مراد رسول الله أَوَكلٌّ ما أراد رسول الله كان؟ إنه أراد إسلام عمّه ولم يرده الله فلم يسلم" (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج3 ص114)[1]،[2]

حادثة الغدير أو حديث الغدير:

قبل الخوض في حادثة الغدير لابد من ذكر بعض الملاحظات :

اولا: قلنا عند الحديث عن منهج الشيعة في التعامل مع القرآن ان الشيعة يفسرون النصوص وفق مقررات مسبقة ، وضربنا بذلك امثلة منها لفظ "الطهارة " و "الولاية" اللتين وردتا في عدة مواضع من القرآن ، فما كان في نظرهم نازلا بحق(علي) فسروه بمعنى مغاير لما نزل بحق غيره من المؤمنين ، فلفظ "الطهارة" اعطوه معنى العصمة في حق علي ولم يعطوه نفس المعنى في حق غيره ، ولفظ "الولي" و"المولى" اعطوهما معنى ولاية الامر في حق علي ولم يعطوهما هذا المعنى في حق غيره دون مرجح او قرينة سوى الادعاء بانها نزلت في علي، وهذا منهج غير علمي ولا يليق بكلام الله وكلام نبيه.

ثانيا: لم يكن علي ◀ الوحيد من بين الصحابة يرد في حقه احاديث او ينزل في شأنه قرآن وانما كثير من الصحابة المقربين من الرسول △ جاءت في حقهم احاديث تثني عليهم وتظهر فضلهم ونزل في حقهم قرآن يمتدحهم ويثني عليهم، على رأسهم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي ثم ابو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعد بن معاذ وعمار وابو ذر وهكذا الخ ، وقد خص الرسول △ كل واحد منهم بصفة، فمنهم من سماه امين الامة ومنهم من سماه حواري رسول الله △ ومنهم من كان امين سر الرسول △ ...الخ. وهذا امر طبيعي لانه على اكتاف هؤلاء جميعا قام الاسلام وقد أكد القرآن ذلك عندما قال " هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين" وقال: "محمد رسول الله والذين

---

[1]. الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص20- 30

[2]. هذه الرواية الاخيرة التي رواها عن ابن عباس لم أجدها في كتب السنة ، لا في كتب التاريخ ولا الحديث ولا العقيدة ! وكونها في المصادر الشيعية أبلغ في الحجة (إن صدقت) على أن امامة علي لم تكن امرا الهيا وانما كانت رغبة من النبي أراد الله خلافها !

معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ...الآية". وفيه دلالة كبيرة وواضحة على معرفة الرسول △ لأصحابه فانه كان يشخص فيهم ابرز خصائصهم ويوكل اليهم الامور وفق مؤهلاتهم. وهكذا يجب ان يكون القائد[1] .

ثالثا: كما ان معرفة اسباب النزول ضرورية لفهم الآيات القرآنية كذلك معرفة مناسبة ورود الاحاديث ضرورية لفهم الاحاديث واستنباط الاحكام منها، وهذه قاعدة لا يختلف عليها اثنان.

رابعا وهو الاهم : ان الاحاديث التي وردت في شأن علي تصنف الى اربعة اقسام، قسم جاء في بيان فضله كحديث " سأُعطي الراية غدا رجلاً يحبُ اللهَ ورسولهَ ويحبُهُ اللهُ ورسولُهُ" وغيره من الاحاديث ، وقسم آخر جاء لتطييب خاطره كحديث المنزلة الذي قاله الرسول △ لعلي عندما اعترض علي على استخلافه على النساء والاطفال في غزوة تبوك " ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي". وقسم ثالث كان للدفاع عنه كحديث "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" والقسم الرابع عام في علي وسائر اهل البيت يوصى بهم الرسول △ .

حديث الغدير هو من النوع الثالث والرابع ، في جزء منه يدافع النبي △ عن علي ◄ وهو قوله " من كنت مولاه فعلي مولاه" وفي الجزء الثاني يوصي الرسول △ بعامة أهل بيته وهو قوله " تركت فيكم الثقلين.."، ونحن سنتحدث ان شاء الله عن كلا الحديثين:

حديث من كنت مولاه فعلي مولاه:

[1]. يمكن تشبيه مدرسة اهل السنة ببيت فيه غرف كثيرة كلها مجهزة ، هذه غرفة ابي لكر وتلك غرفة عمر وثالثة غرفة عثمان والرابعة غرفة علي والخامسة غرفة ابي عبيدة والسادسة غرفة عائشة وهكذا الى آخره ، أما مدرسة التشيع فيها غرفة واحدة وهي غرفة علي واهل بيته ، ويأتون الى البيت السنى فيأخذون منه ما يؤثثون به غرفة علي ثم يدعون الناس الى زيارتها ويزعمون ان ليس في الاسلام الا هذه الغرفة فيضيقون واسعا ويحصرون الاسلام في علي وبنيه من بعده! فأي البيتين يمثل الاسلام : البيت الواسع ذي الغرف الكثيرة ام البيت الضيق ذي الغرفة الواحدة؟

هذا الحديث هو من الاحاديث العمدة عند الشيعة في امامة علي وقد نسجوا حوله قصصا كثيرة ، و تحدث عنه كثير من العلماء لا سيما المهتمين بالجدل الشيعي السني ، سنورد بعض روايات الحديث ثم نعلق عليها:

روى النسائي عن زيد بن ارقم قال: لما رجع رسول الله △ من حجة الوداع ونزل غدير خم امر بدوحات فقُمِّمن ثم قال:" كأني قد دُعيت فأجبت ، اني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض "ثم قال: " الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

وقال ابن ماجة: أقبلنا مع رسول الله △ في حجة الوداع فنزل في الطريق فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: الست بأولى المؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألست بأولى من كل مؤمن بنفسه؟ قالوا بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

وروى النسائي من حديث اسرائيل عن ابي اسحاق عن عمر ذي أمرقال: نشد علي الناس بالرحبة فقام اناس فشهدوا انهم سمعوا رسول الله △ يقول يوم غدير: " من كنت مولاه فان عليا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره".

وروى الامام احمد عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله △ ذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله △ يتغير فقال : يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قلت بلى يارسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وآخرون زادوا فيه:" وأدر الحق معه حيث دار"، وبعضهم زاد فيه قول عمر لعلي : "هنيئا لك اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن" وللعلماء كلام طويل حول هذه الزيادات ونحن سنناقش اصل الحديث وهذه الزيادات بكل علمية وحيادية لنرى هل حقا هذا الحديث فيه دلالة على امامة علي .

مناقشة الحديث:

اولا: في سبب ورود الحديث :

قلنا لابد لفهم الحديث من معرفة مناسبة وروده، و الحاجة هنا الى معرفة اسباب الورود اكثر لاهمية الموضوع وحساسيته، وقد كفانا ابن كثير مؤونة البحث وبحث الامر في موضعين في السيرة احدهما تحت عنوان : بعث علي بن ابي طالب وخالد بن الوليد الى اليمن أورد فيها مجموعة من الاحاديث والثانية تحت عنوان : فصل في ايراد الحديث الدال على انه △ خطب بمكان بين مكة والمدينة فبين فيها فضل علي بن ابي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من بأرض اليمن بسبب ماكان صدر منه من المعدلة التي ظنها بعضهم جورا وتضييقا وبخلا والصواب كان معه في ذلك ، ولهذا لما تفرغ عليه الصلاة والسلام من بيان المناسك ورجع الى المدينة بين ذلك في اثناء الطريق فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ وكان يوم الاحد بغدير خم تحت شجرة هناك فبين فيها اشياء وذكر من فضل علي وامانته وعدله وقربه اليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه .

اليك اولا الروايات التي تتحدث عن تذمر الناس من علي ◄:

روى البخاري عن البراء بن عازب قال: " بعثنا رسول الله △ مع خالد بن الوليد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه قال : مر اصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقب معه ، قال: فغنمت اواقي ذات عدد" .

وروى البخاري عن بريدة عن ابيه قال :"بعث النبي △ عليا الى خالد بن الوليد ليقبض الخمس وكنت ابغض عليا فأصبح وقد اغتسل فقلت لخالد : ألا ترى الى هذا؟ . فلما قدمنا على النبي △ ذكرت ذلك فقال: يابريدة تبغض عليا ؟ فقلت نعم ، فقال : لاتبغضه فان له في الخمس اكثر من ذلك".

وقال الامام احمد:حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الجليل قال: انتهيت الى حلقة فيها ابو مجلز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة: حدثني ابي بريدة قال: ابغضت عليا بغضا لم

ابغضه احدا قط، واحببت رجلا من قريش لم احبه الاّ على بغضه عليا. قال : فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه الا على بغضه عليا ، قال: فأصبنا سبيا فكتب الى رسول الله△ : ابعث الينا من يخمسه قال: فبعث الينا عليا وفي السبي وصيفة من افضل السبي قال: فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر فقلنا : يا ابا الحسن ما هذا؟ فقال : الم تروالى الوصيفة التي كانت في السبي فاني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في اهل بيت النبي △ ثم صارت في آل علي ووقعت بها، قال: فكتب الرجل الى نبي الله △ فقلت ابعثني فبعثني مصدقا قال: فجعلت اقرأ الكتاب واقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب فقال : اتبغض عليا ؟ قلت : نعم ،قال : فلا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حبا، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس افضل من وصيفة. قال: فما كان من الناس بعد قول النبي △ احب اليّ من علي.

وقال محمد بن اسحاق : حدثنا ابان بن صالح عن عبد الله بن نيار الاسلمي عن خاله عمرو بن شاس الاسلمي وكان من اصحاب الحديبية قال: كنت مع علي في خيله التي بعثه رسول الله △ الى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت في نفسي عليه فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوما ورسول الله △ جالس في المسجد فلما رآني انظر الى عينيه نظر الي حتى جلست اليه فلما جلست اليه قال: انه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني فقلت: انا لله وانا اليه راجعون اعوذ بالله والاسلام ان أُوذيَ رسول الله فقال: من آذى عليا فقد آذاني. ورواه البيهقي من وجه آخر.

وروى البيهقي عن ابي سعيد الخدري انه قال: بعث رسول الله△ علي بن ابي طالب الى اليمن فكنت فيمن خرج معه ، فلما أخذ من ابل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح ابلنا –وكنا قد راينا في ابلنا خللا– فأبى علينا وقال: انما لكم فيها سهم كما للمسلمين. قال: فلما فرغ علي وانطلق من اليمن راجعا أمّر علينا انسانا وأسرع هو وأدرك الحج فلما قضى حجته قال له النبي △ : ارجع الى اصحابك حتى تقدم عليهم. قال ابو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا اياه ففعل، فلما عرف في ابل الصدقة أنها قد ركبت ورأى أثر الركب قدم الذي أمّره ولامه ، فقلت : اما ان لله عليّ لئن

قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله △ ولأُخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق . قال: فلما قدمنا المدينة غدوت الى رسول الله△ اريد ان افعل ما كنت حلفت عليه فلقيت ابا بكر خارجا من عند رسول الله△ فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته وقال متى قدمت ؟ فقلت قدمت البارحة فرجع معي الى رسول الله△ فدخل وقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد فقال ائذن له، فدخلت فحييت رسول الله △ وحياني وأقبل عليَّ وساءلني عن نفسي وأهلي وأحفى المسألة فقلت: يا رسول الله ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق فاتّأد رسول الله △ وجعلت انا اعدد ما لقينا منه حتى اذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله△ على فخذي وكنت منه قريبا وقال: يا سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي فوالله لقد علمت انه اخشن في سبيل الله. قال: فقلت في نفسي: ثكلتك امك سعد بن مالك ألا اراني كنت فيما يكره هذا اليوم ولا ادري ؟ لا جرم والله لا اذكره بسوء ابدا سرا ولا علانية. قال ابن كثير : وهذا اسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة.

وقال يونس عن محمد بن اسحاق: حدثني يحيى بن عبد الله بن ابي عمر عن يزيد بن طلحة بن ركانة قال: انما وجد جيش علي بن ابي طالب الذين كانوا معه باليمن لانهم حين اقبلوا خلف عليهم رجلا وتعجل الى رسول الله △ قال: فعمد الرجل فكسا كل رجل حلة فلما دنوا خرج عليهم علي ليستقبلهم فاذا عليهم الحلل قال علي : ما هذا؟ قالوا كسانا فلان قال: فما دعاك الى هذا قبل ان تقدم على رسول الله △ فيصنع ما شاء؟ فنزع الحلل منهم فلما قدموا على رسول الله △ اشتكوه لذلك وكانوا قد صالحوا رسول الله△ وانما بعث عليا الى جزية موضوعة . قلت(اي ابن كثير) : هذا السياق اقرب من سياق البيهقي.
قال محمد بن اسحاق –في سياق حجة الوداع– : حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي عمرة بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: " لما اقبل علي من اليمن ليلقى رسول الله △ بمكة تعجل الى رسول الله △ واستخلف على جنده الذين معه رجلا من اصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل قال: ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت القوم

ليتجملوا به اذا قدموا في الناس ، قال: ويلك ! انزع قبل ان تنتهي به الى رسول الله△ قال: فانتزع الحلل من الناس فردها في البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

وروى الامام احمد عن ابي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس عليا فقام رسول الله △ فينا خطيبا فسمعته يقول : ايها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لأخشن في ذات الله او في سبيل الله من ان يشتكى.

والآن ! ازاء كل هذه الشكاوى من علي والاعتراضات عليه ماذا يفعل رسول الله △ ؟ هل يدع الامور على حالها ولا يتخذ اي اجراء فيتفاقم الامر ، ام يستدعي عليا ويحاسبه على ما فعله ؟ ولكن عليا لم يفعل ما يستحق المحاسبة وانما كان كما قال عنه رسول الله △ خشنا في ذات الله ولم يبال في تنفيذ ما رآه مشروعا بغضب الناس، لذلك لم يبق امام رسول الله △ الاّ أن يعمد الى الدفاع عنه و تبرئة ساحته فكان غدير خم حيث التقاء الجيش المتذمر برسول الله، المكان الانسب لذلك الاجراء .

و قال ابن كثير معقبا على هذه الاحداث: والمقصود ان عليا لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه اياهم استعمال ابل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي اطلقها لهم نائبه، وعلي معذور فيما فعل، لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج فلذلك – والله اعلم– لما رجع رسول الله △ من حجته وتفرغ من مناسكه ورجع الى المدينة فمر بغدير خم قام في الناس خطيبا فبرّأ ساحة علي ورفع من قدره ونبه على فضله ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس.

ثانيا: في دلالات الحديث:

ان كلمة " مولى " هي من الالفاظ التي تسمى بالمشترك اللفظي الذي له معان مختلفة بعضها بخلاف البعض، على سبيل المثال تأتي بمعنى السيد والمحب والناصر والعبد المعتق الخ . يقول الشيعة انها اتت في هذا الحديث بمعنى الاولى بالامر وبمعنى ولي الامر ، اما السنة فيقولون انهاجاءت بمعنى الحب والنصرة، وفي هذه الحالات نحتاج الى قرائن خارجية لتحديد معنى ذلك اللفظ .

اهل السنة يقولون ان لفظ المولى لا يمكن ان يأتي بمعنى الاولى أو ولي الامر لاسباب:

اولا : جاء الحديث في مناسبة الدفاع عن علي امام الذين انتقدوه عند الرسول ، فقال الرسول من كنت مولاه فعلي مولاه أي من يحبني فليحب عليا .

ثانيا: والذي يؤيد هذا الكلام هو تكملة الحديث التي تتحدث بصراحة عن المحبة والمعاداة : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فالحديث هنا عن الحب والمعاداة لا عن الطاعة والعصيان ولو كان بمعنى ولي الامر لقال : اللهم وال من اطاعه وعاد من عصاه وخرج عليه .

والزيادة الاخرى التي يضيفها بعضهم وهي " وأدر الحق معه حيث دار " ليس لها علاقة بولاية الامر وانما هي دعاء من الرسول لعلي ان يصيب الحق في جميع احواله، وقد تحقق دعاءه له فكان محقا في كل الاجراءات التي اتخذها في حياته ، فكان مصيبا حين بايع ابا بكر وعمر وعثمان ، وكان محقا حين آزرهم ونصح لهم وزوج عمر ابنته وسمى ابناءه باسمائهم ، وكان محقا في قتاله للذين خرجوا عليه .

ثالثا: منطقيا لا يجوز ان يأتي بمعنى ولاية الامر لأنه لا يعقل ان يكون للمسلمين اكثر من ولي امر في آن واحد لاسيما وان احدهما نبي.

رابعا: لو كان الامر كما يقول الشيعة لأخبرتنا كتب السيرة بأن الناس كانوا ينظرون اليه في حياة الرسول على انه خليفته ولظهر ذلك جليا في واقع المسلمين ، ولكن الواقع كان غير ذلك بل انه لم يكن حتى من وزراء النبي △ ولكن ظهر دوره كمستشار في عهد أبي بكر وكمستشار أول في عهد عمر، ثم في عهد عثمان ◢ .

خامسا: لو كان المقصود من هذا الحديث وهذه الواقعة امامة علي لأشار اليهما علي عقب السقيفة وحين بويع ابو بكر وعمر وعثمان ولذّكّرهم بها ، فعدم استشهاد علي ولا غيره من الصحابة الموالين له دليل على انهم لم يفهموا منها الخلافة وولاية الامر . نعم هناك روايات تقول ان عليا ◀ بعد ان خرج عليه جيشه وشكلوا فرقة الخوارج جمع الناس في الكوفة في موقع يسمى "الرحبة " وسألهم ان كان احد منهم سمع الرسول △ يقول في غدير خم "من كنت مولاه فعلي مولاه" . رواية تقول قام اثنا عشر رجلا فشهدوا بذلك ، وفي رواية اخرى شهد بذلك ثلاثون رجلا وبعضها تذكر اقل من هذا العدد ، وهذا دليل على ان النبي

قصد منها الحب والنصرة وعدم المعاداة لأنه استشهد بها امام الذين خرجوا عليه وناصبوه العداء وهو خليفة يومئذ ، فلو كان بمعنى الخلافة لاستشهد بها من اول يوم بويع فيه ابوبكر ، ولكن يبدو أن الشيعة اكثر فهما من علي لمراد النبي!

سادسا: لو سلمنا جدلا بأن القصد من هذه العبارة هو ولاية الامر فهو يخص الذين كانوا تحت امرته في اليمن الذين انتقدوه على بعض الاجراءات التي اتخذها ، والرسول △ دافع عنه بحكم معرفته به وبصفته ممثلا له لذلك قال في حقه مدافعا عنه : انه لأخشن في ذات الله ، فقال لهم من منكم يعُدُّني وليا لامره فان عليا ولي امره لانني انا الذي وليته وطاعته من طاعتي ، وهناك أحاديث كثيرة تتحدث عن طاعة الامراء واولياء الامور الذين كان يوليهم النبي △.

انني ومن خلال دراستي لهذا الحديث ومناسبة وروده توصلت الى نتيجة ان النبي △ كان يعني بهذا الكلام فئتين من الناس : فئة كانت تكره عليا كبريدة الاسلمي وابي سعيد الخدري وغيرهم وقد صرحوا بذلك امام النبي فأمرهم أن يحبوا عليا .

والفئة الثانية هم اهل اليمن الذين جاؤوا معه وكان علي اميرا عليهم فانتقدوه فقال لهم النبي من كنت مولاه فعلي مولاه وكان يقصد ذلك الجيش ، والدليل على ان النبي لم يقصد جميع المسلمين ولم يقصد بها خلافته بعد موته انه △ لم يذكر ذلك في عرفة يوم كان الحجيج كلهم مجتمعون فيها، ففي هذا اليوم ألقى الرسول△ خطبته المشهورة وذكر فيها امورا كثيرة أقل شأنا بكثير من الامامة ولكنه لم يشر الى الامامة لا من قريب ولا من بعيد ، فما الذي كان يمنعه من ذكرها؟

ان قول الشيعة ان الرسول △كان مترددا من اعلان امامة علي وخائفا ألاّ يقبل الناس منه ذلك تكذبه حياته △ ، فقد بلّغ ماهو أخطر من ذلك عقائديا كعقيدة التوحيد والبعث والنبوة وتكذيب النصارى واليهود واتهامهم بتحريف كتبهم وقتل انبيائهم وهاجم الشرك والمشركين وسفه أحلامهم (عقولهم) ، واجتماعيا كإعلان الزواج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، وعسكريا كالبدء بقتال قريش في بدر ومهاجمة اليهود في خيبر والنصارى في الشام الخ وتشهد له بدر وأحد والحنين وغيرها من المعارك ويشهد له علي ◀ بقوله: كان

إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله △ ، فلم يكن الرسول جبانا ولم يعرف عنه انه خاف من احد ، ويكفيه شجاعة انه واجه العرب لوحده بعقيدة التوحيد وانتصر عليهم .

وقول الشيعة انه كان خائفا طعن فيه واتهام له بالجبن حاشاه.

حديث الثقلين :

ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة ، سنورد بعضها ونناقشها:

1- رواية مسلم: عن زيد بن ارقم ◀ قال: قام رسول الله فينا خطيبا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال : ألا ايها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن ياتي رسول ربي فأُجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : واهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي أُذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا فقال الحصين : ومن اهل بيته؟ أليس نساؤه من اهل بيته؟ قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال : كل اولئك حرم الصدقة؟ قال : نعم.رواه مسلم.[1]

وفي رواية ثانية لمسلم : قلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال : لا وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها ، اهل بيته اصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.[2]

2- رواية النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى قال حدثني يحيى بن حماد قال حدثنا أبو عوانة عن سليمان قال حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ثم قال

---

1. مختصر مسلم 139/2
2. صحيح مسلم بشرح النووي 179/25.

إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه(السنن الكبرى للنسائي-رقم الحديث 8464)

3- رواية الحاكم : عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من حجة الوداع و نزل غدير خم أمر بدوحات فقمن فقال : كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى و عترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ثم قال : إن الله عز و جل مولاي و أنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال : من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و ذكر الحديث بطوله .

رواه الحاكم في كتاب المستدرك على الصحيحين باب مناقب اهل البيت وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بطوله. شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضا صحيح على شرطهما .

تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص (المستدرك على الصحيحين/رقم الحديث 4576)-نقلا عن قرص المكتبة الشاملة)

4- رواية الترمذي : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ - كُوفِيٌّ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ وَالأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِى ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالاَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِى فِيهِمَا ». رواه الترمذي وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.(سنن الترمذي باب مناقب اهل بيت النبي).

وهناك روايات اخرى لا تخرج عن هذه المعاني لذلك لم نوردها ، ولكن اصحها رواية مسلم والتي تتماشى مع روح القرآن ومع العقل والمنطق كما سنرى.

مناقشة الاحاديث:

يرى اهل السنة ان هذه الاحاديث تدل على وجوب محبة أهل بيت النبي △ واكرامهم وموالاتهم ، وليس فيها ما يدل على وجوب اتباعهم أو الخضوع لهم أو تنصيبهم أئمة على المسلمين، والتمسك الوارد في بعض الروايات لا يعني بالضرورة الاتباع او الطاعة وانما قد يأتي بمعنى الحرص عليهم و الاهتمام بهم، وهذا قد حصل لكل من ينتسب الى اهل بيت النبي △ حتى في عهد الامويين ، فرغم تعرضهم للاضطهاد إلاّ أن الناس كانوا يعظمونهم ويوقرونهم ولا أدل على ذلك من اقبال الناس على الامام زين العابدين علي بن الحسين وافساح الطريق له مع وجود الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك مما أثار استغرابه وجواب الفرزدق له :

هذ الذي تعرف البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحلُ والحرمُ
هذا ابن خيرِ عبادِ اللهِ كلهمُ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهلَهُ بجده أنبياءُ الله قد ختموا
فليس قولكَ من هذا بضائرهِ العرب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ.

اما بالنسبة لقوله صلى الله عليه وسلم : "كتاب الله " فانه يعني الاهتمام به بالحفظ والكتابة والالتزام بتعاليمه . اما الشيعة فلهم قراءة اخرى لهذه الاحاديث ، انهم يستدلون بها على امامة علي بعدالرسول مباشرة وعلى وجوب اتباع اهل البيت ويقولون ان الرسول △ قال هذه الاقوال بشأن علي بعد نزول آية " يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.." فجمع الناس وصعد المنبر وألقى خطبته هذه فنزلت آية " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا..." ويقولون ان الرسول △ قد اخذ البيعة من الناس بخلافة علي من بعده فجاء الحرث بن النعمان الفهري واعترض على هذا الاجراء وقال "اللهم ان كان هذا حقا فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم " فما وصل الى ناقته حتى نزلت عليه حجارة من السماء فقتلته في الحال فنزلت " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج" ويقولون ان الرسول △ كان فرحا ومستبشراً بذلك الانجاز . والتلفيق هنا واضح وبين بدليل:

1. سورة المعارج مكية بالاجماع ، اي أنها نزلت قبل هذه الحادثة بما لايقل عن عشر سنين .

2. آية " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " نزلت في عرفة بعد خطبة النبي△ .

وقد تحدث كثير من العلماء والباحثين عن هذا الحديث وافضلها عندي اجوبة الشيخ عبد الرحمن دمشقية في كتابه أحاديث يحتج بها الشيعة وسوف لن اورد ردوده بل اضيف اليها بعض ما جادت به قريحتي واحيل القاريء الى تلك الكتب ان اراد المزيد فاقول بحول الله وقوته:

1- هذا الحديث رواه مسلم في موضعين من صحيحه ، في كلتا الروايتين يُسأل زيد ان كان أزواج النبي من أهل بيته ، في رواية يقول انهن من اهل بيته ، وفي الثانية يقول انهن لسن من أهل بيته ويعلل ذلك بأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها! وهذا من فهم زيد وهو خطأ لأسباب:

اولا. هذا الكلام لاينطبق على أزواج النبي لأن الله حرم عليه طلاقهن ، وهذا وحده يكفي لدحضه.

ثانيا. ان المرأة بمجرد دخولها في عصمة الرجل تصبح من أهل بيته ، وتبقى كذلك ما لم يطلقها ، وزوجات النبي بقين في عصمته الى أن مات وحرم الله على المسلمين الزواج منهن بعد النبي △ ووصفهن بأنهن امهات المؤمنين .

ثالثا. ان الزوجة هي من اهل بيت الرجل بحكم العرف واللغة والقرآن ، وان القرآن حين استخدم هذه اللفظة لم يمنحها معنى آخر غير هذا المعنى المتعارف عليه حتى نقول ان كلمة الاهل لغة تفيد معنى الزوجة اما في الاصطلاح الشرعي فلا تشمل الزوجة ، اذاً من أين أتى زيد بهذا الفهم الذي يتكيء عليه الشيعة من ضمن ما يتكئون عليه لاخراج زوجات النبي من دائرة أهل البيت ، سامحه الله لقد روى هذا الحديث في شيخوخته وقال انه نسي كثيرا من الامور وطلب منهم الا يلحوا عليه في السؤال ، وقد يكون هذا من الامور التي اختلطت عليه .

والشيعة يحتجون بكلام زيد هذا وبحديث الكساء الذي يقول ان النبى جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين في كساء واحد ودعا لهم قائلا : "اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " والحديث الذي ذكره الترمذي والذي يقول ان الرسول △ كان يقف على باب بيت علي ويسلم عليهم ويناديهم بأهل البيت ، فيبنون عليها عقيدتهم في اهل بيت النبي ويتغافلون عن جميع الروايات الاخرى التي وردت عند السنة وعندهم أيضا والتي تدخل غير هؤلاء في دائرة اهل البيت منها على سبيل المثال ما ورد في تفسير القمي عند الحديث عن حادثة الافك في سورة النور ان التي رميت بالزنى هي ماريا القبطية فأرسل الرسول △ عليا ليقتل مابور المتهم بالزنى معها فلما جاءه علي ووجده ممسوحا ليس عنده ما عند الرجال رجع الى رسول الله وأخبره بذلك فقال الرسول△ " الحمد لله الذي يدفع عنا أهل البيت" أي ان جاريته ماريا أيضا من اهل البيت ! فإن كانت الجواري من أهل البيت فما بالك بالزوجات؟

2- أما الحديث الذي ورد عند اهل السنة والذي يدعو الى اتباع الكتاب والسنة فان الشيعة يردونه ويقولون انه حديث ضعيف ولم يروه البخاري ومسلم واصحاب الكتب المشهورة وان اهل السنة تمسكوا به لرد حديث الثقلين ، والجواب كالآتي:

1. ان المتفق عليه عند الشيعة والسنة ان لا يكون الحديث معارضا للقرآن ولا مناقضا للعقل والمنطق ، فإذا ألقينا نظرة على الحديثين ، وجدنا حديث الكتاب والسنة أكثر تناسقا وتطابقا مع القرآن ومع العقل والمنطق ، فهناك عشرات الآيات تدعو الى طاعة الرسول وتقرن طاعته بطاعة الله سبحانه، وفي المقابل لاتوجد آية واحدة تدعو الى طاعة أهل البيت واتباعهم بل هناك آية تثني على الذين يتبعون الصحابة بإحسان ، فلست أدري كيف يجرؤ الشيعة على رد هذا الحديث واتهام السنة باختلاقه وجعل حديث الثقلين ندا له وفي القرآن عشرات الآيات تدعو الى اتباع الرسول؟!

2. هناك عدة علل فى متن حديث كتاب الله وعترتي منها:

اولا: انه سوّى بين منزلة القرآن والعترة ، وهذا لا يجوز إذ كيف يكون العترة بمنزلة القرآن ؟ فالظاهر من معنى الحديث استواء مرتبة العترة مع القرآن ، فقوله احدهما اكبر من الآخر

يحتمل ان تكون العترة اكبر من القرآن أو مساويا له، وهذا لا يصح شرعا فلست أدري كيف مرر علماء السنة هذا الحديث من دون أن ينتبهوا الى هذا الخلل؟ . صحيح انهم قالوا عن القرآن الثقل الاكبر وعن العترة الثقل الاصغر ولكنهم لم يستخرجوا هذا المعنى من هذا الحديث وانما قالوه بناء على مسلمات عقدية وهي ان القرآن لا بد ان يكون اعظم من العترة بل ومن الرسول ايضا واستدل بعضهم بمجيء القرآن في الحديث اولا.

ثانيا: عبارة "لا يفترقان حتى يردا علي الحوض" تعارض الواقع وفيها غموض كبير، اما التعارض فبحصول الافتراق بين العترة والقرآن منذ ما يقارب الالف ومائتي سنة أي منذ اختفى المهدي ان كان المعني بالعترة الائمة الاثني عشر ، إلاّ إذا كانوا يقصدون بالقرآن القرآن الذي جمعه علي وسلمه للائمة من بعده الى أن وصل الى المهدي! أما هذا القرآن الذي بين أيدينا فهو كما ترى باق بين أيدي الناس الى يومنا هذا يقرؤونه ويتدارسونه والمهدي مختف لا يراه احد ! وحتى لو كان المراد بالعترة اقاربه الذين كانوا على عهده فالمعنى ايضا لا يستقيم ، لأن أهل البيت بالمفهوم الشيعي لم يكن لهم دور لا في جمع القرآن ولا في روايته ولا في تفسيره ، بل جمعه وفسره الصحابة ثم التابعون ثم علماء التفسير من بعدهم كالطبري وغيره، ولا يوجد من بين هذه التفاسير سوى روايات تنسب الى أهل البيت لا سيما الامامين الباقر والصادق أغلبها طعن بالقرآن وإدعاء وقوع التحريف فيه وتأويله بطريقة يخجل من روايته الشيعة أنفسهم ، فأين التلاصق بين العترة والقرآن؟ وعبارة "لا يفترقان حتى يردا علي الحوض" ينطبق على السنة النبوية بسهولة وبدون تكلف .

3. إننا نعلم أن من ضمن وظائف السنة تبيين غامض القرآن وتفصيل مجمله ، أما إذا كانت الآيات مفصلة وواضحة في بيان أمر ما فما الحاجة الى الحديث حينئذ ؟ إذا كان القرآن قد جاء فيه عشرات الآيات البينات الواضحات التي تدعو الى اتباع الرسول وطاعته وتقرن طاعة الرسول بطاعة الله وتتوعد كل من يخالف الرسول ، هل يبقى هناك حاجة الى ورود أحاديث بشأنها، ولكن مع ذلك فقد أكد الرسول△ هذا المعنى في عدة أحاديث .

اليك أولا الايات التي تدعو الى طاعة الرسول واتباعه:

1-" قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإن تولّوا فإن اللهَ لا يحب الكافرين" آل عمران/32

2- "وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرحمون"آل عمران/132

3- "تلك حدود الله ومن يطع اللهَ ورسولَه يدخله جناتٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين" النساء/13-14

4- "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكم، فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً" النساء / 59

5- " وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ ليُطاعَ بإذن الله"النساء/64

6- " ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً" النساء/69

7- " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً" النساء /80

8- " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذروا فإن توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين" المائدة/ 92

9- " الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه اولئك هم المفلحون " الاعراف/157

10- " قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والارض لا اله الاّ هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون" الاعراف/ 158

11- " وأطيعوا الله ورسولَهُ إن كنتم مؤمنين" الانفال/1

12- " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ ورسولَهُ ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون" الانفال /20

13- " وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم واصبروا إن اللهَ مع الصابرين" الانفال/46

14- " والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياء بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُقيمون الصلاةَ و يُؤتون الزكاةَ ويُطيعون اللهَ ورسولَه ، أولئك سيرحمهم الله ان اللهَ عزيزٌ حكيم" التوبة/71

15- " ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون" النور/ 52

16- "قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ فإن تولّوا فإنما عليه ما حُمِّلَ وعليكُم ما حُمِّلتم وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلاّ البلاغُ المبين"النور/ 54

17- "وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطيعوا الرسول لعلكم تُرحمون" النور/ 56

18-" .. ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً"الاحزاب /8

19- " .. وأطعن اللهَ ورسولَه ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً" الاحزاب/33

20- "...ومن يطع الله ورسوله يُدخلْه جناتٍ تجري من تحتها الانهار ومن يتول نعذبه عذاباً أليماً" الفتح/17

21- "يا ايها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ ولا تُبطِلوا أعمالكم" محمد/33

22- "وأطيعوا الله ورسولَهُ واللهُ خبيرٌ بما تعملون" المجادلة/13

23- "وأطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغُ المبين" التغابن/12

24- " وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب"الحشر/7

ثانيا: الأحاديث التي تدعو الى طاعة الرسول واتباعه:

كل هذه الآيات التي اوردناها صريحة في دلالتها على اتباع الرسول ، فهل نحن بحاجة بعدها الى ورود أحاديث تدعو الى اتباع سنة الرسول ؟ ولكن مع ذلك فقد جاءت أحاديث كثيرة تفيد هذا المعنى ، منها:

1- " ألا إني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه" اخرجه احمد رقم(16722)، وابو داود : كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم(4604).

2- "تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الاّ هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإن المؤمن كالجمل الانف اينما قيد انقاد" سنن أبي داود (5 / 13) والترمذي مع تحفة الأحوذي (7 / 438) ، و اخرجه ابن ماجة ،واحمد،والحاكم ،وابن حبان وغيرهم وصححه الالباني . سلسلة الاحاديث الصحيحة .

3- " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله" البخاري : كتاب الاحكام حديث رقم(7134) ، ومسلم : كتاب الامارة رقم(1835)

4- " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" أخرجه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاعتصام بسنن رسول الله△، رقم(7280).

5- "فمن رغب عن سنتي فليس مني" رواه البخاري(4675) ومسلم (2487) والنسائي والبيهقي ومالك وغيرهم .

6- "إِنِّ قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ".السنن الكبرى للبيهقي/20834

- "إني قد خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض".مسند البزار/8993

- "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما (ما تمسكتم بهما) كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض" أخرجه مالك مرسلا والحاكم مسندا وصححه .

- " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي " رواه مالك في الموطأ (2 / 899) .

ثالثا :أقوال بعض العلماء حول هذه المسألة:

قال الشافعي في تفسير قوله تعالى{ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنْفُسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين } (آل عمران 164) : " فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "(10) قال محمد جواد مغنية ـ من كبار الإمامية المعاصرين ـ في تفسير قوله تعالى { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) (الحشر 7): اعملوا بالقرآن، فإن لم تجدوا فيه النص على ما تريدون فارجعوا إلى السنة النبوية))[1]

يروي الكليني في كتاب (أصول الكافي) عن أيوب بن الحر قال ((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف))[2] .

وعن أبي عبد الله قال ((خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنى فقال ((أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وماجاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله))[3]

وعن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ((من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر))[4] ، وعن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام ((أنه سُئل عن مسئلة فأجاب فيها قال: فقال الرجل: إنّ الفقهاء لا يقولون هذا فقال: يا ويحك وهل رأيت فقيهاً قط؟! إنّ الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم))[5].

---

[1]. التفسير المبين / محمد جواد مغنية ص731

[2]. الاصول من الكافي ج1 كتاب فضل العلم- باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب ص55

[3]. المصدر السابق ص56

[4]. المصدر السابق ج1 ص56

[5]. المصدر السابق ج1 ص56

ويورد كبير علمائهم في الرجال في كتابه (رجال الكشي) عن أبي عبد الله يقول ((إتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم فإنا إذا حدثنا قلنا: قال الله عزوجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ص)))[1].

وعن يونس عندما عرض على أبي الحسن الرضا كتب أصحاب أبي عبد الله فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله وقال ((إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله صلى الله عليه وسلم) لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الاحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله صلى الله عليه وسلم ع) فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن ، فإنا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة إما عن الله وعن رسوله نحدث، ولا نقول قال فلان وفلان ، فيتناقض كلامنا ..))[2]

. يقول التيجاني : معنى العترة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الثقلين المتقدم هو الرجوع إلى أهل بيتي ليعلموكم سنتي، أو لينقلوا إليكم الأحاديث الصحيحة لأنهم منزهون عن الكذب ومعصومون بآية التطهير .

هذا الكلام يدل على جهل التيجاني حيث يظن ان كل ما نسب الى الائمة هو صحيح وكأنه لايدري ان بعض الناس كذبوا عليهم كما كذبوا على رسول الله ، وان اقوالهم وصلتنا عن طريق الرواة وان المشكلة ليست في ائمة اهل البيت وانما هي في الذين رووا عنهم لأنه لا توجد كتب كتبها هؤلاء الائمة بأيديهم بل رواها عنهم رواة ، وقد يفصل بين المصنف والامام مئات السنين ، فهل هؤلاء الرواة ايضا معصومون عن الكذب والخطأ ؟

حديث المنزلة:

هذا ايضا من الاحاديث العمدة لدى الشيعة على امامة علي ولكنه في الحقيقة ليس فيه أي دليل على مايقولون لأنه :

اولا: قلنا سابقا ان هذا الحديث قاله الرسول △ لتطييب خاطر علي لأنه كان منزعجا من تخليفه في المدينة مع النساء والاطفال والعجزة ومن عرف بالنفاق وهو من هو في شجاعته

[1]. رجال الكشي ص 195 المغيرة بن سعد

[2]. رجال الكشي ص 195

وبطولته ، فهو صارعُ بطل قريش عبد بن ود العامري ، وصارعُ بطل اليهود مرحب بن ابي المرحب ، وهو فاتحُ خيبر فلماذا إذاً يتركه الرسول في هذه المعركة المهمة مع الاطفال والشيوخ والنساء؟ هذا الذي كان يؤرقه ، لذلك أراد النبي أن يطيب خاطره ويظهر له مكانته عنده ولكنه لم يخبره بسبب ابقائه في المدينة وعدم استصحابه معه في تلك المعركة ، الامر الذي نحاول أن نلقي الضوء عليه ان شاء الله.

ثانيا: في بعض الروايات ان عليا لم يكن خليفة الرسول على المدينة في هذه الغزوة بل كان خليفته محمد بن مسلمة ، وأيا كان فإن عليا قد انزعج بهذا الاستخلاف ولم يَرُقه .

ثالثا: ان من المعلوم تاريخيا أن هارون لم يخلف موسى بعد موته بل مات قبله ، فالتشبيه هنا هو لاظهار مكانة علي عند النبي لاغير .

ولكن لماذا تركه النبي في المدينة وهو خارج الى قتال الروم وبحاجة ماسة الى بطل مثله في حربه هذه، لا سيما وانه لم يكن لا مريضا ولا معذورا وكان عنده فرسه وسيفه ودرعه ، وقد أمّره قبل ذلك على جيش خيبر وهو مريض ؟ فلماذا يتركه اليوم في هذه الرحلة الشاقة والتي لا يدرون قد تكون المواجهة صعبة وانه لا غنى عن مثل علي في مثل هذه الحروب، جوابا على هذا السؤال نقول:

1. لأن عليا كان اقرب الناس الى الرسول △ وكان محرما لازواجه بصفته زوج بنت النبي، فكان انسب الناس للقيام باحتياجاتهم والاشراف على شؤونهم .

2. لأنه كان بطلا شجاعا قد ملأت شهرته الآفاق كان بقاؤه في المدينة ضروريا للدفاع عن المدينة وعن نساء النبي لئلا يفكر الاعداء في غزو المدينة لاسيما وأن فيها منافقين ربما أغروا بعض القبائل على غزو المدينة ، ولكن بقاء بطل شجاع مثل علي حتما سيكون له دور كبير في ثني من يفكر في الغدر بالنبي والمسلمين أثناء غيابهم عن المدينة .وفي رأيي أن بقاء علي في المدينة في غزوة تبوك لا يقل اهمية عن مبيته في فراشه يوم الهجرة ، هناك ابقاه للحفاظ على اموال الناس ولرد الامانات الى اهلها ، وهنا أبقاه للحفاظ على أهل بيته وعلى أعراض أهل المدينة . ولا مانع من أن يكون هذا الامر خافيا على علي في مثل تلك

اللحظة الحرجة التي خرج فيها كل من يقدر على حمل السلاح وأبقي فيها من عشقه السلاح وعشق السلاح ، ولكنه حتما عرفها فيما بعد لذلك لم يتأس عليها في قادم أيامه.

3. ربما ظن بعض الناس أن وجود علي ضروري في الحروب وأنه لولاه ربما هُزم المسلمون وأنه لا يمكن خوض حروب كبيرة بدونه ، فأراد النبي △ أن يثبت للجميع أنه بدون علي يستطيع أن يخوض أكبر المعارك وأن ينتصر فيها وأن الذي ينصره هو الله وليس علي . ومن الجدير بالذكر أن الشيعة لازالوا على هذا الاعتقاد ويقولون لولا سيف علي لما انتصر النبي على الاعداء وما انتشر الاسلام !

4. الشيعة يقولون إن كل آية و رد فيها لفظ يا أيها الذين آمنوا يعني عليا ، فربما أراد الله ، والله أعلم ، أن يخص الصحابة وحدهم بالمدح هذه المرة لطرد هذه الهواجس من النفوس لأنه يعلم أنه يأتي يوم ينكر فيه بعض الناس فضائل هؤلاء الاصحاب فأراد أن يفردهم بالوصف والله أعلم.

حديث: الدار : او "حديث الإنذار يوم الدار":

عن عليّ بن أبي طالب "لما نزلت هذه الآية على رسول الله ((وأنذر عشيرتك الأقربين) دعاني رسول الله △، فقال لي: يا عليّ إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، قال: فضقت بذلك ذرعًا، وعرفت أنِّي متى ما أباديهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُ حتَّى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد، إنَّك إلاَّ تفعل ما تُؤمر به يُعذبك ربك، فاصنع لنا صاعًا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسًّا من لبن، ثمَّ اجمع لي بني عبدالمطلب حتَّى أكلمهم، وأبلِّغهم ما أُمرت به؛ ففعلت ما أذمرني به ثمَّ دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب؛ فلمَّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلمَّا وضعته تناول رسول الله △ حِذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثمَّ ألقاها في نواحي الصحفة، قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتَّى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلاَّ مواضع أيديهم، وأيَّم الله الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمت لجميعهم، ثمَّ قال: اسقِ الناس، فجئتهم بذلك العس

فشربوا حتَّى رووا منه جميعًا، وأيَّم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله؛ فلمَّا أراد رسول الله △ أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لهدّ ما سحركم به صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله △ ، فقال الغد: يا عليّ، إنَّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما قد سمعتَ من القول، فتفرَّق القوم قبل أن أكلمهم، فأعد لنا من الطعام مثل الذي صنعت، ثمَّ اجمعهم، قال: ففعلت ثمَّ جمعتهم، ثمَّ دعاني بالطعام فقرَّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتَّى ما لهم بشيء حاجة، قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتَّى رووا منه جميعًا، ثمَّ تكلم رسول الله △، فقال يا بني عبدالمطلب إِنِّي والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا جئتكم به،إِنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعًا، وقلت: وإِنِّي لأحدثهم سنًّا وأرمصهم عينًا، وأعظمهم بطنًا، وأحمشهم ساقًا، أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا، اسمعوا وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و وتطيع)[1]

---

[1]. وجوابه: أن هذا الحديث كذب موضوع، لم يرد في شيء من كتب الحديث لا الصحاح، ولا السنن، ولا المسانيد، كما قرر ذلك العلماء المحققون في الحديث. وإليك أيها القارئ بعض أقوالهم في الحديث.

قال ابن الجوزي: « هذا حديث موضوع». (1)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد تقدم كلام ابن حزم أن سائر هذه الأحاديث موضوعة، يعلم ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها وقد صدق في ذلك، فإن من له أدنى معرفة بصحيح الحديث وضعيفه ليعلمأن هذا الحديث ومثله ضعيف، بل كذب موضوع، ولهذا لم يخرجه أحد من أهل الحديث في الكتب التي يحتج بما فيها، وإنما يرويه من يرويه في الكتب التي يجمع فيها بين الغث والسمين...» . منهاج السنة 354/7

وقال في موطن آخر: « إن هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل، لا في الصحاح، ولا في المسانيد والسنن والمغازي والتفسير التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتج به...

[إلى أن قال]: إن هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع». منهاج السنة 7/299-302.
وذكر الذهبي في ترجمة مطر بن ميمون الأسكاف أنه موضوع قال: «والمتهم بهذا وما قبله مطر، فإن عبيد الله ثقة شيعي، ولكنه آثم برواية هذا الإفك». ميزان الاعتدال 4/128.
وقال السيوطي: « موضوع آفته مطر ». (4) اللألئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 1/326.
وكذا عدّه الشوكاني من الموضوعات في كتابه (الفوائد المجموعة) .
يقول الشيخ عثمان الخميس:
هذا الحديث ذكره شرف الدين عبد الحسين الموسوي في كتاب المراجعات وذكره كذلك الأنطاكي في كتابه لماذا إخترت مذهب الشيعة ، وذكره التيجاني في كتابه ثم اهتديت ، وذكره تقريباً كل علماء الشيعة الذين ألفوا كتباً يستدلون بها على أهل السنة في إثبات خلافة علي رضي الله عنه بعد رسول الله مباشرة وهناك روايات أخرى لهذا الحديث أو لهذه القصة مرجعها بحار الأنوار ج 18 ص 178 والبرهان ج 3 ص190 والميزان ج 15 ص 336
وأما كتب أهل السنة فجاء في مسند أحمد ج 1 ص 111 وص 159
وهذه نص رواية أحمد ج1 ص 111 /883:
حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أسود بن عامر ثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين قال جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال فقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي من أهلي فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بحرا من يقوم بهذا قال ثم قال الآخر قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي رضي الله عنه أنا) وهذه الرواية الثانية ص 159 في مسند أحمد (1371
حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي رضي الله عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق قال فصنع لهم مداد من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب فقال يا بنى عبد المطلب انى بعثت لكم خاصة والى الناس بعامة وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني

هذا الحديث تحدث عنه اكثر الذين تصدوا للرد على الشيعة وتجدها في قرص المكتبة الشاملة وبمجرد كتابة (حديث الدار) في خانة البحث سيأتيك بكل ما كتب في رده من الكتب المودعة في القرص وقد أجادوا في الرد وأثبتوا بطلان الحديث من حيث السند والمتن ولا ارى ضرورة لاعادة ما كتبوه فليس هذا الكتاب المخصص لبحث السقيفة مجال سردها ولكني ساختصرها واضيف اليها بعض ملاحظاتي وقد يكون غيري ذكرها ولكني لم أطلع عليها:

اولا : من حيث السند: ان هذا الحديث من اكثر الاحاديث المروية في الباب ضعفا سواء من حيث السند او من حيث المتن، وان علامات الوضع بادية فيه بشكل واضح جدا، أما بالنسبة الى سنده فقد اوردته في الهامش ويكفي أن تعرف انه لم يصححه ولا واحد من اهل الحديث !

ثانيا: من حيث المتن: واما متنه فلنا عليه هذه الملاحظات :

1. ان بني عبد المطلب لم يصلوا الى عشرين رجلا فضلا عن أربعين فهل أخطأ علي في الحساب أم تعمد الكذب (حاشاه) أم ان الرواية كاذبة؟ لايخرج الامر عن احدى هذه الاحتمالات الثلاثة ولا يمكن القول الا بالاحتمال الثالث وهو كذب الراوي وبطلان الرواية.

2.ان النبي △ لم يكن يعلم في أول الامر ما سيؤول اليه امره وأمر دعوته ، فكيف يجمع أقاربه ويوزع عليهم المناصب ؟ هل هذا عمل الانبياء ام عمل اهل الدنيا ؟

3. هل يعقل ان يقول النبي لاعمامه وبني اعمامه الذين لم يؤمنوا به بعد اسمعوا لعلي واطيعوه وهو لم يبلغ من العمر عشر سنوات؟ هم لم يؤمنوا به بعد ولم يقبلوا سيادته عليهم

على أن يكون أخي وصاحبي قال إليه أحد قال فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس قال ثلاث مرات ثم ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي) .نقلا عن كتاب شبهات شيعية والرد عليها للشيخ عثمان الخميس/ قرص المكتبة الشاملة.

فكيف يقبلون بوصاية طفل لم يبلغ الحلم ؟ ان هكذا حديث يجب ان يوجه الى المؤمنين بالرسالة لا الى من لم يؤمن بها بعد !

4. ثم ان الشيعة من حيث لايشعرون يكذبون هذا الحديث بأنفسهم وذلك :

أ. بقولهم ان اباطالب كان من أوائل من آمن بالنبي ولكن هذه الحادثة تظهر أنه لم يكن كذلك . فإن كان قد أسلم قبل ذلك اليوم فلماذا لم يقم ويعلن مؤازرته للنبي؟ هل كان يخشى اخوته وابناء اخوته ؟ وإن كان لم يؤمن بعد فإن قول النبي له اسمع لولدك علي وأطعه سيكون حائلا دون ايمانه . ولكن حسب الروايات الشيعية فإن أباطالب آمن بالنبي حتى قبل أن يصبح نبيا !

ب. بتفسيرهم لآية " يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" فإنهم يقولون في تفسيرها أن الرسول تردد في المدينة في إبلاغ امامة علي وخاف أن يخالفه الصحابة فأنزل الله هذه الآية في غدير خم بعد حجة الوداع ، أي في السنة العاشرة للهجرة ! ولكن هذه الرواية تقول ان النبي أعلن امامة علي في بداية العهد المكي ! فهل يعقل أن يجرؤ النبي على اعلان امامة علي امام اناس كافرين لا يؤمنون برسالته في وقت لا يدري فيه ماذا سيحصل له ولدعوته ثم لما تنتشر دعوته وتخضع الجزيرة العربية لارادته يخشى من اعلانها ؟!

ج. بحديث " من كنت مولاه فعلي مولاه" وذلك بانه إذا كان الناس يعلمون منذ بداية العهد المكي أن عليا هو خليفة رسول الله فما الحاجة الى بيانها في نهاية العهد المدني ؟ كان من المفروض كما قلنا سابقا أن تصبح هذه المسألة من الامور المسلمة والمعلومة من الدين بالضرورة عند الناس . قد يقولون ان هذا الحديث كان للتأكيد على امامته وتذكير الناس بها ولكن صيغة الحديث لا تفيد ذلك وانما توحي بأن النبي كان يريد أن يبلغها لأول مرة . فحديث الغدير يكذب حديث الدار .

د. بحادثة يوم الخميس والتي شرحناها سابقا وهي الاخرى تكذب هذا الحديث لأن حادثة الخميس توحي بأن الامر لم يكن محسوما أو معروفا للناس من قبل لأنها لو كانت كذلك

لاكتفى الرسول بالتأكيد عليه شفويا كما كان يؤكد على الامور الاخرى كالصلاة وتقوى الله وغيرها [1].

1. اتماما للفائدة سأورد بعض تلك الردود مخافة ان لا تتاح لك الفرصة للبحث عنها أو ربما ترى ردنا ضعيفا لا يقوى على دحض شبههم:
قال الاستاذ.د. أحمد بن سعد حمدان الغامدي في كتابه" رسالة جوابية على مذكرة أستاذ شيعي إثني عشري": عند الكلام عن هذا الحديث:
...أولاً: هذا لحديث لا يصح بل مكذوب.
...في رواة الطبري: "عبدالغفار بن القاسم أبو مريم" قال ابن المديني: كان يضع الحديث. وقال أبو داود بعد أن ساق تكذيب عبدالواحد بن زياد له: (وأنا أشهد أنَّ أبا مريم كذاب ولأنَّني قد لقيته وسمعت منه واسمه: "عبدالغفار بن القاسم" (437).
...وله طريق أخرى عند أبي حاتم فيها: "عبدالله بن عبدالقدوس" (438) قال الذهبي: (كوفي رافضي). وقال يحيى: (ليس بشيء رافضي خبيث). وقال النسائي: (ليس ثقة). وقال البخاري: (مجهول وحديثه منكر) (439).
...ثانيًا: في آخر الحديث: (فاسمعوا وأطيعوا) وهل هم مسلمون حتَّى يسمعوا ويطيعوا؟! هم لم يسمعوا منه (ولم يطيعوه في أصل الإيمان وقد أعرضوا عن دعوته فكيف يأمرهم وهم ليسوا أصلاً مؤمنين؟!
...ثالثًا: في الحديث أنَّ أبناء عبدالمطلب كانوا: (أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه) والتاريخ يشهد بكذب هذا العدد.
...فأولاد عبدالمطلب كانوا عشرة من الولد لم يدرك النبوة منهم إلاَّ خمسة هم:حمزة ،والعباس، وأبوطالب، والحارث، وأبو لهب.
...فأمَّا حمزة فلم يكن له ولد .
وأمَّا العباس فأول ولد له كان في حصار الشعب هو: "عبدالله" ثمَّ ولد له عُبيدالله ثمَّ الفضل، فليس له إذن أولاد كبار يحضرون.
...وأمَّا أبو طالب فكان له أربعة من الولد هم: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي؛ وطالب لم يدرك الإسلام.
...وأمَّا الحارث فكان له ابنان هما: أبو سفيان، وربيعة من مسلمة الفتح.
...وأبو لهب كان له ثلاثة من الولد: عتبة، ومغيث، وعتيبة؛ أسلم الأوَّلان ودعا النبي (على الثالث.(440)

...هؤلاء هم أولاد وأحفاد عبدالمطلب فكيف حضر أربعون رجلاً وهؤلاء لم يتجاوز عددهم أربعة عشر رجلاً؟!
...وهذا بيان بأسمائهم ودرجاتهم:

1- الأب: (عبدالمطلب)

2- ابن : (حمزة)

3- ابن: (العباس)

4- ابن: (أبو طالب)

5- ابن: (الحارث)

6- ابن: (أبو لهب)

7- حفيد)طالب بن أبي طالب)

8- حفيد: (عقيل بن أبي طالب)

9- حفيد: (جعفر بن أبي طالب)

10- حفيد: (علي بن أبي طالب)

11- حفيد: (أبو سفيان بن الحارث)

12- حفيد: (ربيعة بن الحارث)

13 -حفيد: (عتبة بن أبي لهب)

14- حفيد: (مغيث بن أبي لهب)

15- حفيد: (عتيبة بن أبي لهب) (441)

رابعًا: ألفاظ الحديث في رواية ابن أبي حاتم (ويكون خليفتي في أهلي)، وفي رواية الطبري العبارة مبهمة ولفظها (على أن يكون أخي وكذا وكذا) فلفظ ابن أبي حاتم لم يذكر إلاَّ الخلافة في الأهل ورواية الطبري مبهمة وكلاهما لا يصحان.

خامسًا: هذا اتهام لعليّ (بأنَّه لم يسلم إلاَّ طمعًا في الرئاسة لا رغبةً في الإيمان.

سادسًا: كم أسلم مع عليّ وبعده ولم نسمع أنَّه وعدهم بوزارة ولا بإمارة ولو كان ذلك جرى منه لسألوا مثله..!!

سابعًا: هذا تحويل للنبوة لتكون مُلكًا وزعامة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والنبوة لا تُورث والتقدم فيها بغير النسب.

قال ابن القيم: (والسر والله أعلم في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي △ إلى أبي بكر وعمر وعثمان أنَّ عليًا لو تولى الخلافة بعد موته لأوشك أن يقول المبطلون إنَّه مَلِكٌ ورّث ملكَه أهلَ بيته فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة.

وتأمَّل قول هرقل لأبي سفيان: (هل كان في آبائه من ملك؟ قال: لا. فقال له: لو كان في آبائه ملك لقلت: رجل يطلب مُلك آبائه) (442).
فصان منصبه العلي من شبهة المُلك في آبائه وأهل بيته.
وهذا والله أعلم هو السر في كونه لم يُورث هو والأنبياء قطعًا لهذه الشبهة لئلا يظن المبطل أنَّ الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم كما يفعله الإنسان من زهده في نفسه وتوريثه ماله لولده وذريته.
فصانهم الله عن ذلك ومنعهم من توريث ورثتهم شيئًا من المال لئلا يتطرق التهمة لحجج الله ورسله فلا يبقى في نبوتهم ورسالتهم شبهة أصلاً). (443)
ثامنًا: قلتُ ولعلَّ عدم تمكين الله لعليّ ◀ الخلافة لأجل ذلك السر لتبقى النبوة بعيدة عن الشبه.
ثمَّ لو تمكن عليّ ◀ لربَّما قوَّى ذلك معتقد الشيعة الذين ادعوا فيه ما ليس له ولتحولت النبوة إلى ملك وراثي.
وقد يقول قائل: ألم تتحول على يد معاوية؟!
فنقول: بلى، ولكن لا يجرح ذلك منصب النبوة وحديثنا عن بقاء منصب النبوة بعيدًا عن ظنون الأعداء والله أعلم.
تاسعًا: على مذهبكم لم يتحقق وعد النبي △ له فقد وعده بأن يكون الخليفة من بعده ولم يفِ له بوعده.
فإن قلتم: هو أراد ولكن أبا بكر وعمر لم يريدا!!
قلت: لا يمكن أن يعد النبي △ما لا يستطيع تنفيذه وكان ينبغي أن يقول: (إذا رضي أبو بكر وعمر)!!
الحمد لله على نعمة العقل.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية في رد هذا الحديث :
والجواب من وجوه : الأول : المطالبة بصحة النقل . وما ادعاه من نقل الناس كافة من أظهر الكذب عند أهل العلم بالحديث ، فإن هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل : لا في الصحاح ولا في المسانید والسنن والمغازی والتفسیر التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتج به ، وإذا كان في بعض كتب التفسير التي ينقل منها الصحيح والضعيف ، مثل تفسير الثعلبی والواحدی والبغوی ، بل وابن جرير وابن أبی حاتم ، لم يكن مجرد رواية واحد من هؤلاء ، دليلا على صحته باتفاق أهل العلم ؛ فإنه إذا عرف أن تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف ، فلابد من بيان أن هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف .
وهذا الحديث غايته أن يوجد في بعض كتب التفسير التي فيها الغث والثمين، وفيها أحاديث كثيرة موضوعة مكذوبة ،

مع أن كتب التفسير التي يوجد فيها هذا مثل تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم والثعلبى والبغوى ، ينقل فيها بالأسانيد الصحيحة ما يناقض هذا ، مثل بعض المفسرين الذين ذكروا هذا في سبب نزول الآية ، فإنهم ذكروا مع ذلك بالأسانيد الصحيحة الثابتة التي اتفق أهل العلم على صحتها ما يناقض ذلك ، ولكن هؤلاء المفسرين ذكروا ذلك على عادتهم في أنهم ينقلون ما ذكر في سبب نزول الآية من المنقولات الصحيحة . والضعيفة ، ولهذا يذكر أحدهم في سبب نزول الآية عدة أقوال ، ليذكر أقوال الناس وما نقلوه فيها ، وإن كان بعض ذلك هو الصحيح وبعضه كذب ، وإذا احتج بمثل هذا الضعيف وأمثاله واحد بذكر بعض ما نقل في تفسير الآية من المنقولات ، وترك سائر ما ينقل مما يناقض ذلك ـ كان هذا من أفسد الحجج ، كمن احتج بشاهد يشهد له ولم تثبت عدالته بل ثبت جرحه ، وقد ناقضه عدول كثيرون يشهدون بما يناقض شهادته، أو يحتج برواية واحد لم تثبت عدالته بل ثبت جرحه ، ويدع روايات كثيرين عدول ، وقد رووا ما يناقض ذلك .

بل لو قدر أن هذا الحديث من رواية أهل الثقة والعدالة ، وقد روى آخرون من أهل الثقة والعدالة ما يناقض ذلك ، لوجب النظر في الروايتين : أيهما أثبت وأرجح ؟ فكيف إذا كان أهل العلم بالنقل متفقين على أن الروايات المناقضة لهذا الحديث هي الثابتة الصحيحة ، بل هذا الحديث مناقض لما علم بالتواتر ، وكثير من أئمة التفسير لم يذكروا هذا بحال لعلمهم أنه باطل .

الثانى :

أنا نرضى منه من هذا النقل العام بأحد شيئين : إما بإسناد يذكره مما يحتج به أهل العلم في مسائل النزاع ، ولو أنه مسألة فرعية ، وإما قول رجل من أهل الحديث الذين يعتمد الناس على تصحيحهم . فإنه لو تناظر فقيهان في فرع من الفروع ، لم تقم الحجة على المناظرة إلا بحديث يعلم أنه مسند إسناداً تقوم به الحجة، أو يصححه من يرجع إليه في ذلك . فأما إذا لم يعلم إسناده ، ولم يثبته أئمة النقل ، فمن أين يعلم ؟ لا سيما في مسائل الأصول التي يبنى عليها الطعن في سلف الأمة وجمهورها ، ويتوسل بذلك إلى هدم قواعد المسألة ، فكيف يقبل في مثل ذلك حديث لا يعرف إسناده ولا يثبته أئمة النقل ولا يعرف أن عالما صححه ؟!

الثالث :

أن هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث ، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع ، ولهذا لم

يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات ، لأن أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب .
وقد رواه ابن جرير والبغوى بإسناد فيه عبد الغفار بن القاسم بن فهد ، أبو مريم الكوفي ، وهو مجمع على تركه ، كذبه سماك بن حرب وأبو داود ، وقال أحمد : ليس بثقة ، عامة أحاديثه بواطيل . قال يحيى : ليس بشئ . قال ابن المديني: كان يضع الحديث . وقال النسائي وأبو حاتم : متروك الحديث . وقال ابن حبان البستى : كان عبد الغفار بن قاسم يشرب الخمر حتى يسكر ، وهو مع ذلك يقلب الأخبار ، لا يجوز الاحتجاج به ، وتركه أحمد ويحيى .
ورواه ابن أبى حاتم ، وفى إسناده عبد الله بن عبد القدوس ، وهو ليس بثقة . وقال فيه يحيى بن معين : ليس بشئ رافضى خبيث . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال الدارقطنى : ضعيف .
وإسناد الثعلبى أضعف ، لأن فيه من لا يعرف ، وفيه من الضعفاء والمتهمين من لا يجوز الاحتجاج بمثله في أقل مسألة .
الرابع :
أن بنى عبد المطلب لم يبلغوا أربعين رجلا حين نزلت هذه الآية ؛ فإنها نزلت بمكة في أول الأمر . ثم ولا بلغوا أربعين رجلا في مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن بنى عبد المطلب لم يعقب منهم باتفاق الناس إلا أربعة : العباس ، وأبو طالب ، والحارث ، وأبو لهب . وجميع ولد عبد المطلب من هؤلاء الأربعة ، وهم بنو هاشم، ولم يدرك النبوة من عمومته إلا أربعة : العباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، فآمن اثنان ، وهما حمزة و العباس ، وكفر اثنان ، أحدهما نصره وأعانه ، وهو أبو طالب ، والآخر عاداه وأعان أعداءه ، وهو أبو لهب .
وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين : طالب ، وعقيل، وجعفر ، وعلى . وطالب لم يدرك الإسلام ، وأدركه الثلاثة ، فآمن على وجعفر في أول الإسلام ، وهاجر جعفر إلى أرض الحبشة ، ثم إلى المدينة عام خيبر . وكان عقيل قد استولى على رباع بنى هاشم لما هاجروا وتصرف فيها ، ولهذا لما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في حجته : " ننزل غدا في دارك بمكة " قال : " وهل ترك لنا عقيل من دار ؟ "
وأما العباس فبنوه كلهم صغار ، إذ لم يكن فيهم بمكة رجل . وهب أنهم كانوا رجالاً فهم : عبد الله ، وعبيد الله ، والفضل . وأما قثم فولد بعدهم ، وأكبرهم الفضل ، وبه كان يكنى . وعبد الله ولد في الشعب بعد نزول قوله : " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ "(سورة الشعراء : 214) وكان له في الهجرة نحو ثلاث سنين أو أربع سنين ، ولم يولد للعباس

في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلا الفضل وعبد الله وعبيد الله، وأما سائرهم فولدوا بعده.
وأما الحارث بن عبد المطلب وأبو لهب فبنوهما أقل .
والحارث كان له ابنان: أبو سفيان وربيعة ، وكلاهما تأخر إسلامه ، وكان من مسلمة الفتح .
وكذلك بنو أبى لهب تأخر إسلامهم إلى زمن الفتح ، وكان له ثلاثة ذكور ، فأسلم منهم اثنان : عتبة ومغيث ، وشهد الطائف وحنينا ، وعتيبة دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكله الكلب ، فقتله السبع بالزرقاء من الشام كافراً. فهؤلاء بنو عبد المطلب لا يبلغون عشرين رجلا ، فأين الأربعون ؟ !
الخامس :
قوله : " إن الرجل منهم كان يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن " فكذب على القوم ، ليس بنو هاشم معروفين بمثل هذه الكثرة في الأكل ، ولا عرف فيهم من كان يأكل جذعة ولا يشرب فرقا .
السادس :
أن قوله للجماعة : " من يجيبنى إلى هذا الأمر ويؤازرنى على القيام به يكن أخي ووزيرى ووصيى وخليفتى من بعدى " كلام مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز نسبته إليه . فإن مجرد الإجابة إلى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله ؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى هاتين الكلمتين ، وأعانوه على هذا الأمر ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في إقامته وطاعته ، وفارقوا أوطانهم ، وعادوا إخوانهم ، وصبروا على الشتات بعد الألفة ، وعلى الذل بعد العز ، وعلى الفقر بعد الغنى ، وعلى الشدة بعد الرخاء ، وسيرتهم معروفة مشهورة ، ومع هذا فلم يكن أحد منهم بذلك خليفة له .
وأيضا فإن كان عرض هذا الأمر على أربعين رجلا أمكن أن يجيبوه ـ أو أكثرهم أو عدد منهم ـ فلو أجابه منهم عدد من كان الذي يكون الخليفة بعده ؟ أيعين واحدا بلا موجب ؟ أم يجعل الجميع خلفاء في وقت واحد ؟ وذلك أنه لم يعلق الوصية والخلافة والأخوة والمؤازرة ، إلا بأمر سهل ، وهو الإجابة إلى الشهادتين، والمعاونة على هذا الأمر . وما من مؤمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر إلى يوم القيامة ، إلا وله من هذا نصيب وافر ، ومن لم يكن له من ذلك حظ فهو منافق ، فكيف يجوز نسبة مثل هذا الكلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ !
السابع :
أن حمزة وجعفرا وعبيدة بن الحارث أجابوا إلى ما أجابه على من الشهادتين والمعاونة على هذا الأمر ؛ فإن هؤلاء من السابقين الأولين الذين آمنوا بالله ورسوله في أول الأمر .

بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وكان اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم به في دار الأرقم ، ولم يكن يجتمع هو وبنو عبد المطلب كلهم في دار واحدة ، فإن أبا لهب كان مظهراً لمعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما حصر بنو هاشم في الشعب لم يدخل معهم أبو لهب .
الثامن :
ان الذي في الصحاح من نزول هذه الآية غير هذا . ففي الصحيحين عن ابن عمر وأبى هريرة – واللفظ له – عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت : " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ "(سورة الشعراء : 214) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا ، فخص وعم فقال : " يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار. يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار. يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها " .
وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه أيضا لما نزلت هذه الآية قال: " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا . سلانى ما شئتما من مالى " . وخرجه مسلم من حديث ابن المخارق وزهير بن عمرو ومن حديث عائشة وقال فيه : " قام على الصفا " .
وقال في حديث قبيصة : " انطلق إلى رضمة من جبل ، فعلا أعلاها حجرا ، ثم نادى : يا بنى عبد مناف إنى لكم نذير . إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأي العدو فانطلق يربأ أهله ، فخشى أن يسبقوه ، فجعل يهتف : يا صباحاه " .
وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال : " لما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه " فقالوا : من هذا الذي يهتف؟ قالوا : محمد . فاجتمعوا إليه ، فجعل ينادى : " يا بنى فلان ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى عبد المطلب " وفى رواية : " يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، يا بني فلان " لبطون قريش فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر ما هو ، فاجتمعوا فقال : " أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقى ؟ " قالوا : ما جربناعليك كذبا . قال : " فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد " قال : فقال أبو لهب : تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا ؟ فقام

هل أحدث الرسول تغييرا في مجتمعه؟

لا يمكن الحكم على السقيفة الا بعد دراسة مجتمع الرسول △ ورسم صورة صحيحة له ، لأن احداث السقيفة ليست مستقلة أومنفصلة عما قبلها وما بعدها ، وانما تشكل مفصلا مهما من مفاصل هذه الصورة ، وهي الحلقة الاولى والمباشرة في مجتمع ما بعد الرسول △ وتمثل حال المسلمين في اليوم الاول من وفاة الرسول ، فهي ليست منفصلة عما سبقها من احداث ، كما ان ما بعدها من احداث ليست منفصلة عنها . إذاً من الضروري أن ندرس هذا المجتمع ونتعرف على حقيقته ونحاول أن نستشف آثار تربية الرسول وآثار التعاليم القرآنية فيه ، وليس هذا فحسب بل من الضروري أيضا دراسة

فنزلت هذه السورة : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " (سورة المسد : 1) .
وفى رواية: " أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم ويمسيكم أكنتم تصدقونى؟ " قالوا : " بلى ".
فإن قيل : فهذا الحديث قد ذكره طائفة من المفسرين والمصنفين في الفضائل، كالثعلبى والبغوى وأمثالهما والمغازلى .
يقل له : مجرد رواية هؤلاء لا توجب ثبوت الحديث باتفاق أهل العلم بالحديث ؛ فإن في كتب هؤلاء من الأحاديث الموضوعة ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع ، وفيها شئ كثير يعلم بالأدلة اليقينية السمعية والعقلية أنها كذب ، بل فيها ما يعلم بالاضطرار أنه كذب . والثعلبى وأمثاله لا يتعمدون الكذب ، بل فيهم من الصلاح والدين ما يمنعهم من ذلك ، لكن ينقلون ما وجدوه في الكتب ، ويروون ما سمعوه ، وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد ما لأئمة الحديث ، كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المديني ، ويحيى بن معين ، وإسحاق ، ومحمد بن يحيى الذهلى ، والبخاري ، ومسلم ، وأبى داود ، والنسائى ، وأبى حاتم وأبى زرعة الرازيين ، وأبى عبد الله ابن منده ، والدار قطنى ، وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحكامه وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم من نقلة العلم .

المجتمع العربي قبل البعثة حتى نرى آثار تلك التربية بوضوح ونعرف مدى التغيير الذي احدثه الرسول △ في هذا المجتمع سواء من ناحية القيم والموازين ، او من ناحية المباديء والعقائد والتصورات ، او من ناحية الاخلاق والآداب والمعاملات والتشريعات ، او من ناحية الوعي والثقافة والحضارة.

ولنوجه هذه الاسئلة الى كل المعنيين بدراسة المناهج وعلم الاجتماع والاخلاق والشرائع والافكار والتصورات:

هل احدث الرسول △ تغييرا في مجتمعه أم لا؟

فإن كان قد أحدث تغييرا هل كان ذلك التغيير محصورا في جانب واحد من جوانب الحياة أم انه كان شاملا لجميع نواحي الحياة؟ وما حجم هذا التغيير؟

وهل كان التغيير محصورا في فئة معينة وقليلة من المجتمع أم أنه شمل الغالبية العظمى لذلك المجتمع؟

وللاجابة على هذا السؤال لابد من رسم صورة للمجتمع العربي قبل بعثة الرسول من ناحية المعتقدات والتصورات السائدة فيه ، والقيم والموازين الحاكمة عليه ، والعادات والتقاليد والطقوس المنتشرة فيه ثم ننظر الى التغيير الذي احدثه في كل جانب من هذه الجوانب ، ثم نقدر الجهود المطلوبة لاحداث التغيير في كل هذه المجالات:

كيف كان هذا المجتمع قبل مجيء الرسول وكيف اصبح فيما بعد؟

كيف كان يفكر ؟ كيف كان يعيش ؟ ماذا كانت المعتقدات والتصورات والقيم والموازين والاعراف والتقاليد السائدة فيه ؟ ثم كيف اصبحت تلك الامور فيما بعد؟

كيف غير الرسول كل هذه الامور ؟ باي اسلوب وباي منهج احدث ذلك التغيير؟ هل غيرها ظاهريا ام اقتلعها من جذورها واستبدل بها غيرها؟

ماذا قال القرآن عن ذلك المجتمع قبل مجيء الرسول او في بداية عهد البعثة وماذا قال عنه فيما بعد؟

ما هو المنهج الذي اتبعه الرسول △ في هذا السبيل ؟ هل هذا المنهج جدير بالاتباع أم لا ؟

إن قلتم نعم فمعناه أنه كان منهجا ناجحا ، وهذا يعني أن نتائجه كانت جيدة فإنه لا يعلم نجاح منهج عن فشله الاّ بنتائجه . أما إذا أصررتم على القول بان الصحابة كلهم ارتدوا بعد رسول الله الا ثلاثة او اربعة فإن هذا يعني أنه لم يحدث تغييرا يذكر وأن التغيير كان ظاهريا ، وبالتالي يعني أن المنهج الذي اتبعه كان خاطئا واننا لا نحتاج الى اتباعه أو تقليده! هذا هو مقتضى عقيدة الشيعة في الصحابة.

كل هذا ضروري أن يدرس قبل ان نحكم على السقيفة وما حصل فيها ، لأن السقيفة فرع من هذا الكل ، وان التركيز عليه كفيل بأن يهدم كل محاولة لتشويه الحقيقة ، وانه لا باس بأن يدرس حياة كل فرد من افراد هذا المجتمع– ان امكن – في الجاهلية وفي الاسلام ليعرف مدى التغيير الذي احدثه الرسول في كل واحد منهم . ومن هنا كان دراسة حياة الصحابة امرا ضروريا لانه رد ضمني على كل من يريد الانتقاص من جهود الرسول △ او من نتائج جهوده . وهناك ارتباط وثيق بين الجهود التي بذلها والنتائج التي حققها وارتباط وثيق ايضا بين الطعن في النتائج والطعن في الجهود ، وبالتالي لن نتردد لحظة من اتهام من يطعن في الصحابة بالطعن بالرسول △ .

اكتب هذا وانا اعرف بأن هناك اناساً قرروا مسبقا ان لا يقبلوا هذه النتيجة ولذلك سيحاولون التشبث بكل ما ينقضها ، وعلى رأس ما يتشبثون به حياة الانبياء والرسل الذين سبقوا نبينا محمدا عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ليثبتوا به عدم صحة وجهة نظرنا هذه لذلك رأيت من الضروري ان اتحدث عن مستلزمات ختم النبوة لأبين الفرق بين عهد الرسول محمد△ وعهد غيره من الانبياء والرسل وما يستلزمه ختم النبوات والرسالات من امور . وقد رسمنا هذه الصورة فيما مضى من خلال القرآن والتاريخ وأقوال علي ◄ ، فما بقي لنا الا أن نقارنها بالصورة التي يرسمها الشيعة لذلك المجتمع لنرى الفرق بينهما ونحكم أي الصورتين اقرب للحقيقة ولروح الاسلام وروح القرآن .

ومن المفارقات أن يعترف المنصفون في الغرب بضخامة التغيير الذي أحدثه الرسول △ في مجتمعه ولا يعترف به الشيعة ! فهذا المؤرخ إج .جي. ويلز يقول ما معناه : لو أن احدا

درس مجتمع العرب في الجاهلية ثم تنبأ بأنه يتحول في خلال أقل من ربع قرن الى ذلك المجتمع لكان حريا بأن يتهم بالجنون .

ألم يقتلع الرسول شرب الخمر من أساسه ؟ العادة المتفشية في الجاهلية ! ألم يقض على الزنا ؟ الفاحشة المنتشرة بين العرب وغير العرب ! ألم يقض على الفوارق الاجتماعية ؟ ألم يأت بمعيار جديد لتقويم الناس ؟ ألم يجعل من العبيد سادة وقادة ؟ وأكثر من ذلك : ألم يقض على عبادة الاوثان ؟ العقيدة الضاربة في العمق في المجتمع العربي ! ألم تكن نهاية حرب البسوس وحرب داحس والغبراء على يديه؟ الحرب التي دامت اربعين عاما لسبب تافه! ألم يقض على وأد البنات؟ وكثير غيرها من العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع العربي وكانت ضاربة بجذورها في ذلك المجتمع، غيّرها الرسول وأتى عليها من بنيانها وأبدلها بعادات وتقاليد جديدة نابعة من العقيدة الاسلامية.

صورتان متضادتان لجهود النبي الاكرم :-[1]

من خلال ما سبق تبين لنا بأن هناك صورتين لمجتمع الرسول △ يرسمهما كل من السنة والشيعة ، الاولى والتي يرسمها السنة صورة مشرقة تظهر لك مجتمع الرسول مجتمعا ايمانيا تحكمه القيم الاسلامية من الايمان العميق ، والاخوة الوثيقة، والطاعة التامة لرسول الله ، مجتمع افراده متحابون فيما بينهم الى درجة الايثار، والرسول △ محبوب ومطاع فيهم الى ابعد الحدود وكلمته نافذة فيهم وان سيطرته عليهم تجاوزت ابدانهم بل تغلغلت الى ارواحهم وهيمنت على قلوبهم ونفوسهم وان المشاكل التى كانت تحدث بينهم كانت تحل بلحظات عند رسول الله△.

هذا الذي نقوله لايؤيده التاريخ فحسب بل يؤيده العقل والمنطق والتجربة ايضا.

أما التاريخ : فان كتب السيرة مليئة بالشواهد ، واما العقل والمنطق والتجربة : فان الرسول △ كان قد اوتي من الصفات القيادية ما لم يُؤتَه احدٌ قبله ولن يؤتاه احد من بعده ، فهو

[1]. هذا العنوان اقتبسناه من كتاب العلامة ابو الحسن الندوي رحمه الله

زعيم روحي وعسكري وسياسي في آن واحد ، وهو معلم ومرب وقائد وصاحب شخصية قوية جذابة وأخاذة وذو خلق عالية رفيعة تأسر المقابل من اول وهلة كما كان يصفه علي بن ابي طالب بان من يراه يهابه في البداية ثم اذا خالطه احبه ، وكان إدارياً الى ابعد الحدود ، وقل في وصفه ماشئت مالم تتجاوز حدود البشرية ، وان قلم العباد ليقصر عن بلوغ مداه في مدحه وان الالفاظ لتعجز ان تستوعب جميع صفاته ، افمثل هذه الشخصية لو كان يقود وحوشا لا بشرا ألا يكون في وسعه ان يروضهم و يربيهم على النهج الذي يريده؟ ان هناك مربين يروضون الحيوانات الوحشية ويجعلون منها حيوانات أليفة خاضعة لمربيها ذليلة امامه تنفذ اوامره بكل دقة، افهؤلاء اكفأ من رسول الله △ وهل هؤلاء الصحابة أكثر وحشية من هذه الحيوانات حتى يعجز رسول الله عن ترويضهم؟! ثم انك ترى كيف يسيطر الزعماء الروحيون على اتباعهم وكيف يأخذون بتلابيب قلوبهم ويهيمنون على أرواحهم رغم اختلاف مشاربهم ، وكذلك تجد القادة العسكريين الاكفاء كيف يسيطرون على جنودهم والزعماء السياسيين كيف يسوسون شعوبهم وتخضع لهم شعوبهم ويحبونهم ، أفكل هؤلاء أكفأ من رسول الله△ ؟ الا يقر الشيعة بقوة شخصية الرسول وجاذبيته وقوة ادارته وحنكته السياسية ، فكيف اذاً يعجز عن تحقيق ما نجح فيه من هو اقل منه شأنا بكثير، وهو مع مميزاته الشخصية مؤيد بالوحي؟!

هذه هي صورة المجتمع الذي رباه رسول الله △ وهذه هي الصورة الحقيقية لتلاميذ الرسول △ الذين قاموا بنشر الاسلام بعد نبيهم ثم جمعوا كتاب الله وتعاليم نبيه ونشروها بين العباد. لقد كان الصحابة بحق أُمناء على رسالة الاسلام وكانوا اهلاً لأن يكونوا انصار خاتم النبيين .

هذه هي صورة مجتمع الرسول△ كما يرسمها أهل السنة والجماعة ، وفي المقابل ترى صورة اخرى يرسمها الشيعة لهذا المجتمع ولهؤلاء الاصحاب : صورة تشمئز منها النفوس، صورة مجتمع متفكك تتنازعه الاهواء والاطماع، زعيمهم مغلوب على امره لا يطاع فيما يأمر به مما يضطره الى اللجوء الى اساليب المكر والخديعة لكي ينفذ اوامره ! مجتمع انقلب على عقبه وارتد عن دينه فور وفاة نبيه ونقض العهود قبل ان يوارى جثمان نبيهم التراب! نبي لم

ينجح الا في تربية افراد قلائل على تعاليم الاسلام . نبي لم يكن يعرف كيف يختار اصحابه ومن يصاهر ومن يُقرِّب ومن يُبعد ، ولم يكن يعرف المخلصين من غير المخلصين من اصحابه الذين كانوا اقرب اتباعه اليه ويخالطونه ليل نهار!.

هذا ليس افتراء على الشيعة بل هو مقتضى عقائدهم ، فاقرأ اي كتاب من كتب الشيعة عن الصحابة وعن السقيفة وعن جيش اسامة وصلح الحديبية فانك لن ترى الا هذه الصورة![1]

ان الشيعة يطعنون في الصحابة ولا يعدّون ذلك طعنا في الرسول أو انتقاصا من شأنه ويحتجون في ذلك بعدة امور سنناقشها فيما بعد ، فلننظر هل الطعن في الصحابة يعد طعنا بالرسول أم لا؟

هل الطعن في الصحابة يعد طعنا في الرسول والقرآن:

لكي نثبت هذا الامر لابد لنا من اللجوء الى بعض الامثلة من واقع الحياة ، نبدؤها ببعض الاسئلة:

1. عندما نترجم لعالم من العلماء لماذا نحرص على ذكر اسماء مشايخه ؟ مادور المشايخ في حياة العلماء حتى يُولى ذكر اسمائهم كل هذا الاهتمام ؟ أليس لأن لنوعية المشايخ تأثيراً على التلاميذ ، وكلما كان الاستاذ اعلم كان تعليمه افضل ومستوى تلميذه احسن؟؟

2. هل للقادة الدينيين والسياسيين والتربويين دور في حياة متبوعيهم ام لا؟ إن لم يكن لهم دور لماذا إذن يُذكرون عند دراسة احوال الشعوب؟ ولماذا يشاد بدورهم ؟

3. لماذا يحرص الناس على الدراسة في الجامعات المعتبرة ويفتخرون بالتتلمذ على أيدي الاساتذة الكبار ؟ أليس لأن مناهجهم افضل واساتذتهم أكفأ وبالتالي شهاداتهم افضل ؟

---

[1]. اقرأ على سبيل المثال كتاب" معالم الفتن" لسعيد ايوب لترى كيف شوه التاريخ الاسلامي وأبرزه بصورة سوداء قاتمة لا ترى فيها صفحات مشرقة سوى ما يتعلق بعلي واهل بيته ومؤيديه ! !

4. لماذا تحرص المراكز العلمية على الاعتماد على كتب العلماء الكبار وتسعى لاختيار احسن المناهج وافضل الكتب لاقرارها كمنهج للدراسة ؟ هل للمنهاهج دور في تحديد مستوى التلاميذ ؟

5. لماذا تُنتقد الجامعات التي يكون مستوى خريجيها هابطا وتحمل مسؤولية ذلك الهبوط ؟

لو ان جامعة من الجامعات او مدرسة من المدارس رسب خمسة وتسعون بالمائة من تلاميذها ماذا يقول الناس عن هذه الجامعة او هذه المدرسة ؟ ألا يحملونها مسؤولية ذلك الرسوب ؟

ولو أن جامعة من الجامعات كان مستوى خريجيها هابطا لسنوات متتالية ، هل تحمل تلك الجامعة مسؤولية ذلك المستوى الهابط ؟ وهل يتم اعادة النظر في مناهجها وكادرها التدريسي؟

ان للمناهج والمشايخ والاساتذة والقادة الدينيين والسياسيين والتربويين اهمية بالغة لا يماري فيها احد ويقر بها جميع اصحاب العقول وهي محل اجماع جميع الناس ، ولا أحد يشك في دور الاستاذ أو المربي أو المنهج في تكوين الانسان العلمي والعملي، فهل الرسول محمد △ بدعٌ من هؤلاء القادة والمربين والمعلمين ولا ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من القادة والمربين والمعلمين؟ وهل المدرسة النبوية بدعا من المدارس فلا ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من المدارس والمراكز التربوية؟

لو قلنا ان هذه القاعدة لا تنطبق عليه وعلى مدرسته من جهة نجاح جميع تلامذته بتفوق وامتياز لاصبنا الحقيقة لتميزه هو كمربٍ وتميز كتابه كمنهج ، اما إذا قلنا ان هذه القاعدة لا تنطبق عليه بالاتجاه الآخر أي رسوب الغالبية العظمى من تلامذته فهذا طعن كبير فيه هو وفي منهجه وكتابه، فإن جامعته كانت تحوي قرابة المائة ألف تلميذ لم ينجح منها سوى أقل من عشرة ، أي أن نسبة النجاح كانت واحدا في الالف ، فلو حصل هذا مع اية جامعة من جامعات الدنيا لأغلق بابها في اليوم الثاني !

ولكننا اثبتنا من قبل بأدلة التاريخ والعقل والنقل ان النبي △ كان ذا شخصية قوية وان البشرية لم تر ولن ترى مثله ، ولو ان احدا امتلك عشر معشار ماكان يملكه من

الصفات القيادية لساس العالم كله خير سياسة وانه △ مع مؤهلاته تلك كان مؤيَّدا بالوحي يوجهه أينما سار ويعزز مكانته بين اصحابه ، وانه مكث في قومه بعد النبوة ثلاثة وعشرين عاما نجح خلالها في انشاء دولة قوية تهيمن على الجزيرة العربية بأكملها وانه كان الوحيد الى ذلك اليوم من شكّل مثل تلك الدولة الموحدة في هذه الارض التي لم تعرف الدولة الموحدة من قبل ، فلننظر: هل يعقل أن ينجح هذا الرسول في تحقيق كل هذه المنجزات السياسية ويحدث كل هذه التغييرات الفكرية والعقائدية والاخلاقية والاجتماعية ثم يفشل في تربية اصحابه الذين اتبعوه وحقق بهم كل تلك المنجزات؟ هل يعقل ان يحقق الرسول كل هذه الامور بأُناس منافقين خونة؟

أليس رسوب اكثر من تسعةٍ وتسعين بالمائة من تلاميذ النبي مدعاة لمراجعة جدوى وصحة المنهج وقدرة وكفاءة المربي؟

هل يقبل الشيعة أن يقال عن أصحاب علي أن تسعة وتسعين بالمائة منهم كانوا منافقين وفساقا وكافرين ؟ ام هل يقبلون أن يقال ذلك بحق تلاميذ الباقر والصادق؟ لابل لا يرضون أن يقال ذلك في حق تلاميذ آية الله الخميني؟

لماذا يفتخر بعضهم انه كان من تلامذة آية الله الخميني بل حتى الذين كانوا يخدمونه يفتخرون بذلك؟ أفكل اولئك كانوا أكفأ من النبي المتصف بتلك الصفات التي ذكرناها آنفا والمؤيد بالوحي؟

هل يعقل ان يفشل النبي فيما نجح فيه بعض أفراد امته من تربية اتباعهم والتأثير عليهم وتزكيتهم؟

ألم يقل الله عن النبي انه أرسله ليعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم ؟ فهل نجح في مهمته ام لا ؟ ان كان قد نجح فما هي نسبة نجاحه؟ هل يعد ذلك من النجاح اذا قلنا ان تسعة وتسعين من اصحابه الذين عاشوا بعده قد ارتدوا إلا بعض صحابته وبعض اهل بيته؟

بناءا عليه نقول أنه لاشك في ان الطعن في الصحابة هو طعن في الرسول، طعن فيه من كل النواحي : من ناحية اختياره لاصحابه و وزرائه وأزواجه ، ومن ناحية تربيتهم والتأثير عليهم ، ومن ناحية السيطرة عليهم ، فلا عرف كيف يختار اصحابه وكيف يربيهم وكيف

يسوسهم ويسيطر عليهم ، فكان محاطا برؤوس المنافقين ، وكان مغلوبا على امره ومسلوب الارادة امامهم ! هذا هو مقتضى كلام الشيعة في الصحابة وليس له معنى ولا مقتضى آخر. ان الله سبحانه وتعالى أكثر من ذكر بني اسرائيل ومخالفاتهم لأنبيائهم ، فهل استفاد الرسول من هذه الدروس أم لا؟

ألا يُتخذ من الامور الحسيّة ميزانا ومعيارا على الامور المعنويّة ؟ ألا يدل انتصار جيش في معارك عديدة على ان قائد الجيش عسكري كفوء وناجح وان جنده مطيعون لأوامره ؟ ألا يدل نجاح نسبة كبيرة جدا من تلاميذ مدرسة ما بمعدلات عالية على كفاءة اساتذة تلك المدرسة وحسن ادارة مديرها ؟ عليه نقول: ألا يدل بناء دولة موحدة في عموم الجزيرة العربية التي لم تعرف الدولة الموحدة من قبل خلال عقدين من الزمن على كفاءة باني هذه الدولة ونجاحه في عمله؟ ألا يدل قيام الصحابة برد المرتدين ونشر الاسلام وجمع القرآن والسنة على اخلاص الصحابة لهذا الدين؟

فالطعن في الصحابة إذاً طعن في الرسول بصفته مربيا واستاذا ومرشدا وقائدا ، وهو طعن في القرآن أيضا لكونه المنهج الذي اعتمده الرسول في تربية ذلك الجيل ، بل هو تكذيب له حيث مدح هؤلاء الصحابة في قريب من ثلاثين موضعا!

حجة الشيعة في الطعن في الصحابة:

هذه هي عقيدة أعل السنة حول الطعن في الصحابة ، أما الشيعة فالطعن عندهم في الصحابة لا يعد طعنا في الرسول ولا انتقاصا من شأنه، ولا تكذيبا للقرآن ، بل يقصرون التهمة على الصحابة مستدلين ببعض الحجج ، منها:

1. ورود آيات وأحاديث تذم الصحابة أو توبخهم أو تعاتبهم .

2. وقوع نزاع وقتال بينهم . يقولون إذا كان الله قد ذمهم وعاتبهم، وقاتلوا بعضهم بعضاً فلماذا لا يجوز الطعن فيهم أو سبهم ؟ أيهما أشد الاقتتال أم الطعن؟

3. ما انتشر بين الناس من لعن علي على المنابر في عهد الامويين ، فيقولون : لماذا جاز لهؤلاء لعن علي على المنابر فلم تطعنوا فيهم ولم تعدوا ذلك كفرا بينما تنكرون علينا الطعن في غيره من الصحابة ، لاسيما الذين قاتلوه وتعدون ذلك كفرا؟

وللاجابة على هذه التساؤلات نقول :

أما بالنسبة للنقطة الاولى فقد أجبنا عليها بالتفصيل بدليل القرآن والسنة واقوال علي والتاريخ والعقل و المنطق فلا حاجة الى المزيد.

وأما بالنسبة للنقطة الثانية فنقول: إن طبيعة طعن الصحابة في بعضهم يختلف كثيرا عن طعن الشيعة فيهم ، فالشيعة يطعنون في غالبية الصحابة ولا يستثنون إلاّ نفرا قليلا منهم ، ثم إن الصحابة المتنازعين لم يسبوا الشيخين وأزواج النبي ولم يتهموهم بالتآمر على علي ونقض العهد ونبذ الوصية ، فهذه المسألة يجب التنبه لها ويجب إبراز الفارق بين اقتتال الصحابة فيما بينهم والطعن فيهم من قبل المتأخرين ، وهذا الموضوع بحاجة الى التفصيل فيه ولا يمكن معالجته بهذه العجالة ، ولكن يمكن اختصار القول فيه بأن ما وقع فيه الصحابة من اقتتال كان فتنة لم تكن ملامحها واضحة في حينها ، وأنهم اجتهدوا للوصول الى الحق ولكن بعضهم لم يصبه بسبب الضباب الكثيف الذي كان يلف بالموضوع ، وكان لأهل الامصار الذين لم يتربوا على يد رسول الله △ دور كبير في إشعال نار الفتنة ، إضافة الى الدور المشبوه والمغرض الذي كان يلعبه بعض المنافقين والمدسوسين في صفوف المسلمين من أمثال عبد الله بن سبأاليهودي.

وهناك أمر آخر لم يتفطن اليه كثير من الناس وذلك بخصوص حديث لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإن هذا الحديث الذي يستدل به الشيعة على ارتداد الصحابة لم يتحقق في عهد الخلفاء الثلاثة الاول وإنما تحقق في عهد علي ◄ ، فهو عليهم لا لهم .

أما عن سب علي على المنابر ، فإنه من الاكاذيب التي ظل الشيعة يرددونها حتى أصبحت وكأنها من المسلمات ، في حين يكذبه التاريخ والعقل والمنطق . فالتاريخ الذي لم يُخفِ شيئاً، لم يذكر لنا أياً من هذه الشتائم ، ولا أسماء أيٍّ من الشاتمين ، ولا الاماكن التي كان يتم فيها الشتم ، فلم يكن يكتفي بالقول بأنهم كانوا يلعنونهم على المنابر لو كان هناك طُعون أو طعّانون ! ولكن على العكس من ذلك ، فإن التاريخ يكذب هذا الادعاء ويقول لنا بأن معاوية الذي قاتل عليا لسنين كان يقر بفضله ومكانته ، وحين كان يُذكر عنده كان

يبكي حتى تبتل لحيته. ثم إن توقير الناس وحبهم لأهل بيت النبي وذرية علي في عهد الامويين دليل كاف على كذب هذا القول. بل وحتى أثناء استشهاد الحسين وبعد استشهاده لم يجرؤ احد على سبهم بل على العكس من ذلك فقد زاد حب الناس لهم وميلهم اليهم وتعاطفهم معهم ،ولذلك استمرت الثورات على الامويين الى أن أطاحت بدولتهم. هذا بالاضافة الى ان معاهدة الصلح التي تم إبرامها بين الحسن ومعاوية قطعت دابر المشاجرات الكلامية بين حزب علي وحزب معاوية الى حين موت معاوية ومجيء يزيد واستشهاد الحسين ◀ ، الحادثة التي أصبحت نقطة ضعف الخلافة الاموية والتي كانوا يسعون جاهدا أن يُنسوها الناس، لا أن يثيروها بأنفسهم فيؤججوا مشاعر الناس ضدهم ، لأنهم كانوا يعرفون مدى تعاطف الامة مع اهل بيت النبي عموما ومع الحسين خصوصاً.

فلو كان صحيحا ما يقوله بعض الرواة من لعن الامويين عليا على المنابر لذكر لنا التاريخ ردود أفعال الحسن والحسين وقيس بن سعد وغيرهم من أنصار علي وبنيه، لأنه لا يعقل أن يسكت كل هؤلاء على مثل هذه التجاوزات ، وكان من بين بنود المعاهدة الكف عن ذكر علي واصحابه بسوء وعدم ملاحقة أصحاب علي! أما حدوث شيء من ذلك القبيل أثناء المعارك فلا يستبعد ، لأن الامر كان قد وصل الى الاقتتال بالسنان فما بالك بالتراشق باللسان ، وإن كنت أستبعد ذلك لما روي عن علي أنه قال لأصحابه لا احب لكم أن تكونوا سبّابين ولكن لو ذكرتم أعمالهم لكان ذلك أبلغ ، فلم يقل أصحابه بأن أتباع معاوية يسبوننا ونحن نرد عليهم. كذلك ما ذكرته من توقير معاوية لعلي واعترافه بفضله فترة الخلاف يرد دعوى سب علي على المنابر بعد موته .

عشر سنوات يُسبُّ علي ويُلعن على المنابر والحسن والحسين وانصارهما ساكتون لا يحركون ساكنا ، لا بل أكثر من ذلك : يتقاضيان راتبا سنويا من معاوية ولا يردونه عليه ! [1]

ثم عشر سنوات اخر يلعن علي على المنابر والحسين الثائر ساكت لا يحرك ساكنا ويتقاضى راتبه السنوي من معاوية ، ثم لما يموت معاوية ويولى يزيد يثور عليه الحسين لأنه لا يراه أهلا للخلافة .

---

[1]. توفي الحسن رضى الله عنه سنة خمسين للهجرة. (اسد الغابة)

أمر آخر يكذب هذه الدعاوى هو انه بعد استشهاد الحسين خرج عبد الله بن الزبير على يزيد وأعلن نفسه حاكما على الحجاز واليمن وحكمها لمدة سبع سنين وكانت الحرب بينه وبين الامويين سجالا طوال هذه المدة فلذلك لم يكن من صالح الامويين ان يوسعوا دائرة الخلاف على أنفسهم حتى يقضوا على ثورة ابن الزبير ، هذا بالاضافة الى ثورات الخوارج المستمرة وثورة عبد الرحمن بن الاشعث التي شارك فيها كبار علماء التابعين كسعيد بن جبير ومطرف بن عبيد الله .

ومن الادلة الاخرى على كذب هذه الدعاوى نصائح عبد الملك بن مروان لبنيه بأن يجنبوه دماء أهل بيت النبي فإن سفك دم الحسين من قبل جيش يزيد كان وراء انقطاع نسل معاوية وانقطاع دابرهم ! أي أن الذين جاؤوا بعد الحسين أدركوا فداحة ما عمله يزيد وحجم الخطأ الذي ارتكبه ، وكانوا يعلمون كم كلفهم إراقة تلك الدماء الزكية ، فإنها كانت تطاردهم وتقض مضاجعهم ، فإنهم بالاضافة الى تشوه سمعتهم بين المسلمين كانوا مؤمنين بالآخرة ويصورون اللحظة التي يقفون فيها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ! لذا كان من صالحهم ألاّ تثار هذه المسألة وأن يطويها النسيان .

وامر آخر ينفي وجود مثل هذا الامر ، هو ما يرويه التاريخ من افساح الناس الطريق للإمام زين العابدين علي بن الحسين للطواف بالكعبة وانصرافهم عن الخليفة هشام بن عبد الملك وعدم اكتراثهم به مما أثار حفيظة الخليفة فسأل مستغربا من هذا الذي يبجله الناس أكثر من الخليفة فكان الجواب من الفرزدق:

هذ الذي تعرف البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ

هذا ابن خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهِمُ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهلَهُ بجده أنبياءُ الله قد خُتموا

فليس قولُكَ من هذا بضائرِهِ العُرب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ.

إذا كانت هذه مكانة أهل بيت النبي عند المسلمين فأي عاقل يثير حفيظة الناس على نفسه بسبهم ولعنهم ؟

ثم ماذا كانت مصلحة بني امية في سب علي ؟ هل كانوا يعتقدون بأنهم بذلك يستطيعون أن يُكَرِّهوا الناس لعلي ؟ ما أظنهم كانوا بهذه السذاجة بحيث لا يعلمون مدى تعاطف الناس مع أهل بيت النبي وقد رأوا بأعينهم مقدار محبة الناس لهم وتبجيلهم إياهم! وإذا كان بعض المؤرخين او المحدثين رووا هذا الامر فإن ذلك كان من غفلتهم أو سذاجتهم.

وأخيرا أقول : إن ما يفعله الشيعة من الطعن في الصحابة من جهة ، وحصر الايمان والاسلام في أهل بيت النبي وقلة قليلة من الصحابة ، والزعم بأن النبي خص عليا ببعض العلوم أو أورثه علم النبوة من جهة اخرى فيه طعن في الرسول من جهتين : من جهة اتهامه بالفشل في التأثير على الناس وتغييرهم وتزكيتهم ، ومن جهة تهيئته لأقاربه لتسلم السلطة ، وهذان الامران يوحيان أن النبي α لم يكن له هم ديني وإنما كل همه كان ايصال أهل بيته الى الحكم.

ماهو منهج الشيعة في تقويم الصحابة؟:

لا يحتاج المرء الى عناء كبير لمعرفة هذا الامر ، فهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ، وهو أن المعيار الوحيد لدى الشيعة لتقويم الصحابة والحكم عليهم هو موقفهم من سيدنا علي ◀ ، فمن كان في جانب علي فهو مقبول ومن كان مخالفا له فهو متهم عندهم ومرفوض ، سواءا كان ذلك من الصحابة أو من زوجات النبي α ، فالصحابة المقبولون عند الشيعة هم الذين استشهدوا في حياة النبي ، والذين أيدوا عليا ووالوه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، أو كانوا على خلاف مع أحد الخلفاء الذين سبقوا عليا في الخلافة لأي سبب من الاسباب كأبي ذر◀. ولا يشترط أن يكون الخلاف مع علي على الحقيقة ، وإنما يكفي أن يكون ذلك خلافا أو ظلما في نظر الشيعة ، فأبو بكر وعمر لم يكونا على خلاف مع علي في الواقع وإن تقدموا عليه في الخلافة لأن عليا كان مخلصا لهم ومن أقرب مستشاريهم لاسيما عمر ، فإنه كان مستشاره المؤتمن لذلك قال : لولا علي لهلك عمر ، وكان علي مخلصا له ولازما له طيلة أيام خلافته ويكفي أنه زوجه ابنته ام كلثوم وسمى بعض ابنائه باسمائهم . ولم يتوقف اخلاصه لهما على حياتهما بل تعداه الى ما بعد موتهما فظل محبا لهما وموقرا لهما وعارفا بحقهما وفضلهما حتى بعد وفاتهما وكان يزجر كل من فضله عليهما.

عودا على بدء نقول : ان المعيار الوحيد للحكم على الصحابة عند الشيعة هو الموقف من خلافة علي ، فابو بكر وعمر وعثمان متهمون لأنهم سبقوه الى الخلافة ،أي اغتصبوا حقه في نظر الشيعة ، وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية متهمون لأنهم اختلفوا معه وقاتلوه ، وآخرون متهمون لأنهم لم يقفوا في صفه ، ولا عبرة بعد ذلك لما قدموه للاسلام من تضحيات ، فالعبرة فقط في موقفهم من علي وما عدا ذلك فلا قيمة له ولا وزن! لا عبرة لما قدموه في سبيل الاسلام من تضحيات بالمال والنفس وما لاقوه في سبيله من مشقات ومتاعب وما بذلوه من جهود من أجل نشره وتمكينه ، فكل ذلك لا يساوى عندهم جناح بعوضة ، وليس هذا فحسب بل حتى موقف النبي منهم لايهم ، ونزول كل تلك الآيات بحقهم ايضا لا يهم ، المهم ماذا كان موقفهم من علي وخلافته! فأبو بكر الصحابي المقرب من الرسول وصاحبه في الغار ووالد زوجته المحبوبة وباذل ماله لاجل الاسلام ورسول الاسلام ، كل هذا لايهم ، المهم أنه تولى الخلافة قبل علي ، وهذا يكفي لرفضه والطعن فيه ،وإن وحد الله المسلمين على يديه وثبت اركان الدولة الاسلامية وحارب المرتدين وفتح البلدان وجمع القرآن! وكذلك عمر ،كونه من اقرب المقربين الى رسول الله وابا لزوجته حفصة ، وكون الرسول راضيا عنه ،كل هذا لايهم مادام تولى الخلافة قبل علي ، وهذا يكفي عند الشيعة لرفضه والطعن فيه وإن كان عادلا في حكمه ، و زاهدا في حياته ، وان كان حكمه مضرب الامثال في العدالة ، وإن لم يتمتع بحياة هنيئة بعد توليه الخلافة ، وان فتح البلدان ونشر الاسلام وثبت اركان الدولة الاسلامية ! وكذلك عثمان لا يشفع له بذله ماله في سبيل الاسلام طوال حياة النبي وكونه الممول الرئيس لكثير من غزوات الرسول ، وكونه زوجا لاثنتين من بنات الرسول ، وكونه جامع القرآن وفاتح البلدان وناشر الاسلام في افرقيا وآسيا ، وإن آثر أن يقتل هو ولا تراق قطرة دم من اجله ،كل هذا لا يهم طالما رضي أن يتولى الخلافة قبل علي وإن كان ذلك باختيار المسلمين ورضاهم ! وكذلك عائشة ، لا يشفع لها أنها أنزل الله في شأنها عشر آيات يبرؤها من التهمة التي وجهت اليها ، أي لا يشفع لها دفاع الله عنها وتزكيته لها مادامت خالفت عليا وقاتلته ، حتى لو تصالحا و رضي علي عنها ، وحتى لو ندمت على فعلتها تلك ،كل ذلك لا يشفع لها! كذلك لا يشفع لها

أنها روت اكثر الاحاديث التي تتعلق بالمرأة وبالحياة الزوجية ، بل على العكس يصبح عملها هذا سببا في الطعن فيها واتهامها بقلة الحياء !

باختصار ، كل ما خلا الموقف من علي فلا يعتد به ولا يُؤبه له سواء رضي الله أم لم يرض ، وسواء رضي الرسول أم لم يرض! فلا يكفي ان يقول الله " رضي الله عنهم ورضوا عنه" أو يقول فيهم "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة " أو يقول بحقهم " لقد تاب الله عن النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم" ...الخ وباختصار لا تكفي عشرات الآيات في مدحهم ولا عشرات الأحاديث ولا شهادة التاريخ لهم بأنهم كانوا مخلصين لهذا الدين وزاهدين في الدنيا ومجاهدين من أجل إعلاء كلمة الله ، وانما يكفي أنهم لم يسلموا الخلافة لعلي، أو خالفوه في موقف من المواقف وإن كانت عن اجتهاد .

هذا الذي نقوله لا ندعيه على الشيعة بل كتبهم طافحة به والروايات التي رووها في فضل علي تدل على هذه الحقيقة ، فعلي هو قسيم الجنة والنار من رضي عنه دخل الجنة ومن لم يرض عنه دخل النار ، وأن الله أقسم له أنه يدخل الجنة من أطاعه وإن عصى الله ويدخل النار من عصاه وإن أطاع الله ! فعلي هو محور الاسلام وعليه يدور رحى الاسلام ونيل رضاه هو الاساس والمعيار ، فلا الايمان بالله ولا بكتبه ولا بأنبيائه ولا بملائكته ولا باليوم الآخر ولا إقامة الصلاة ولا ايتاء الزكاة ولا صوم رمضان ولا حج البيت الحرام ولا الجهاد في سبيل الله ولا انفاق الاموال ولا التقوى ولا الزهد في الدنيا ولا إقامة شرع الله ولا التخلق بأخلاق الاسلام ، كل هذا لا قيمة له ولا اعتداد به مادام فاعله لا يسلم بالافضلية لعلي أو لم يسلمه الخلافة او كان ممن خالفه في رأيه، فرحى الاسلام يدور حول علي ومداره على علي!

والغريب أنك لا تجد شيئا من ذلك في كتاب الله ، فلم يشترط لدخول الجنة نيل رضى علي ، فلا هو من اركان الايمان ولا من اركان الاسلام (حسب القرآن طبعا)!

وهكذا اعتقاد إضافة الى عدم استناده الى القرآن والسنة الصحيحة ، وأقوال علي ومواقفه ، فهو مخالف للعقل والمنطق و مؤداه تعطيل الشريعة وتفريغ القرآن والاسلام من محتواهما وتقزيم للاسلام !.

أما اعتقاد أهل اسنة في علي ، فإنهم يرونه واحدا من سادات أهل بيت النبي ، بل من أفضلهم على الاطلاق ، وقد أمرنا رسول الله بحبهم جميعا وتوقيرهم لا بحب بعضهم وكره بعض كما يفعل الشيعة، وانما بحب الجميع ، وقد فعل اهل السنة ذلك ولا يزالون . فما كل هذه الاحاديث التي رويت عن طريق اهل السنة في فضلهم ، وما افتخار شرائح كثيرة من أهل السنة بالانتساب اليهم إلاّ دليل على حب اهل السنة لأهل بيت النبي و معرفة فضلهم وقدرهم.ولكن هذا لا يعني أن ننصبهم أمراء أو خلفاء فهذا أمر آخر لا يعتمد على القرب والبعد من النبي وانما على كفاءة الشخص القيادية والادارية والسياسية ، ثم يعتمد على اختيار الناس ، فإن اختار الناس رجلا وبايعوه على الخلافة صار خليفة للمسلمين ووجب عليهم طاعته.

الذين قالوا بأولوية علي للخلافة :

هناك حقيقة لا يدركها الشيعة أو لا يريدون أن يعترفوا بها وهي أن الغالبية العظمى من الصحابة الذين عاشروا جميع الخلفاء وعرفوهم ما كانوا يفضلون أحداً على أبي بكر وعمر ، فالعبرة إذاً بتقويم هؤلاء ، أما الذين لم يعاصروا أبا بكر وعمر وعاصروا علياً فقط فمن الطبيعي أن يفضلوه على على غيره من الصحابة لأنهم لم يروا أفضل منه ، فقد كان علي يمتاز بصفات كل واحدة منها كانت كفيلة بأن تأسر من يعاشره وتأخذ بتلابيب قلبه ، فإنه بالاضافة الى كونه إبن عم رسول الله وربيبه وحبيبه وزوج احب بناته اليه ووالد سبطيه ، كان مثالا للعلم والزهد والتقوى والشجاعة والبلاغة . إذاً من الطبيعي جداً أن يعجب هؤلاء به ويفضلوه على غيره من الصحابة ، لا سيما الذين لم يعاصروهم ، ويعتقدوا أنه لا يمكن أن يكون من بينهم من يَفْضُلُه ، ولذلك ما كانوا يقتنعون بإقرار علي بأفضلية أبي بكر وعمر ، وكان هذا الاقرار يزيدهم إعجاباً به وحباً له ، وكانوا يرون ذلك من تواضعه ، ويضيفونه الى فضائله! وهذا هو طبيعة الاتباع ، قد يؤدي الانصاف والتواضع لدى

متبوعيهم الى زيادة الاعجاب بهم وزيادة تعظيمهم ، وتفضيلهم على من يُقر المتبوع بأفضليتهم.

إذاً ، لا عجب في أن يفضل التابعون علياً على أبي بكر وعمر اللذين لم يعاصروهما ، ولكن مع ذلك لم يحدث هذا الامر، لأن فضل أبي بكر وعمر كان قد طبق الآفاق ولم يكن في وسع أحد مهما بلغ من العظمة أن يحجبه، فبقي الناس يفضلون أبا بكر وعمر على غيرهما من الصحابة إلاّ قلة من المأسورين بحب علي ، أو المغرضين الذين كانوا يرمون من وراء ذلك الى أهداف أخرى كما فعل عبد الله بن سبأ الذي كان ينشر أكاذيب عن علي وينشر فكرة الوصاية ثم فكرة الوهية علي مما اضطر عليا الى معاقبته ونفيه الى المدائن ، ولولا توسط بعض المقربين اليه قتله. وبعض الذين غالوا فيه قتلهم علي بنفسه . وقد ابتُلي علي رضي الله عنه بفريقين ، فريق غالى في حبه وتعظيمه حتى رفعوه الى مقام الالوهية ، وغالى فريق ثاني في بغضه حتى كفروه كالخوارج . أما أهل السنة ، فلا أقول إنهم توسطوا بين المغالاة في التعظيم والمغالاة في البغض لأنهم أصلاً لا يبغضونه ، بل يحبونه حباً جمّاً ويعدون حبه عبادة وبغضه معصية كبيرة ويعدونه من كبار الصحابة ومن سادات أهل بيت النبي ورابع الخلفاء الراشدين .

خلاصة القول ، إن الذين كانوا يفضلون عليا على أبي بكر وعمر قليل منهم كانوا من الصحابة مع بعض أقاربه ، منهم المقداد ، وعمار ، أما أبو ذر فلم يورد عنه ما يدل على تفضيله عليا عليهما ، وانما نال اعجاب الشيعة لموقفه من معاوية ومن الخليفة عثمان ، وأما سلمان فهو الآخر لم يورد عنه ما يدل على تفضيله عليا على ابي بكر وعمر وكان من ولاة عمر رضي الله عنهم اجمعين. أما من غير الصحابة فما فضله على ابي بكر وعمر الاّ الذين عاشروه وأُعجبوا به وقاتلوا معه ، ثم ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم ، فقسم منهم ، وهم الخوارج ، غالى في بغضه حتى خرجوا عليه وكفّروه لأتفه الاسباب ، وقسم غالى في تعظيمه ورفعه فوق مقام البشر ، والقسم الثالث ، أي الذين بقوا معه ،أتْعبوه وأذاقوه الأمرّين ، وجرّعوه الآلام ، وملئوا قلبه غيظا وقيحا كما يقول هو في نهج البلاغة ، لكثرة مخالفاتهم له وعصيانهم لأوامره .

بقيت هناك طائفة اخرى من الذين كانوا يدعون تفضيل علي على ابي بكر وعمر ، ويدّعون أحقيته بالخلافة، وهم أصحاب المآرب الشخصية الذين جعلوا من حبهم لعلي و آل البيت والانتصار لهم وسيلة لكسب الانصار و مطية للوصول الى أطماعهم السياسية . والذين وصلوا الى الحكم من هؤلاء عن طريق ادعاء أحقية علي بالخلافة لو كان علي حياً ما سلموه الخلافة ، كالعباسيين الذين وصلوا الى الحكم تحت مظلة أحقية أهل البيت بالخلافة ولم يعلنوا عن أنفسهم لإيهام الناس بأنهم من أبناء علي ، فلما وصلوا الى الحكم فتكوا بذرية علي وقلبوا لهم ظهر المجن!

التفضيل بين عثمان وعلي رضي اللع عنهما:

قلنا إن جل الصحابة كانوا يفضلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على علي رضي الله عنه ، لا سيما أبا بكر ، فإنه كما قال عنه عمر لم يكن في الصحابة من تمد اليه الاعناق مثله ، لذلك بايعوه و سلّموا له القياد ، أما عمر، فالقرائن كلها تدل على أن الناس كانوا يرونه أنسب الناس للخلافة بعد أبي بكر ، إلاّ أن بعضهم كان يخشى شدته ، ولكن بعد أن تولّى الخلافة ورأى الناس عدله وزهده وشدته في الحق ورفقه بالرعية ، ترسخت قناعتهم على أفضليته بعد أبي بكر. أما عثمان رضي الله عنه ، فإن كثيرا من الناس لا يدركون سر تفضيل الصحابة له على علي في الاستفتاء الذي أجراه عبد الرحمن بن عوف بعد مقتل عمر ◢ . وقد حاولت أن أكتشف سر ذلك فرأيته يعود ، بالاضافة الى قربه من رسول الله وخلقه الرفيعة وحيائه الجم ولين عريكته ، الى دوره ◄ في تمويل الدعوة في عهد الرسول سواءا في مكة أو في المدينة . فإنه كان الممول الرئيس للدعوة ، وأعتقد أنه لم يكن هناك مسلم إلاّ ولعثمان فضل عليه ، فهو الذي اشترى بئر رومة وأوقفه على المسلمين ، وهو الذي جهز بوحده جيش العسرة بمبالغ تقدر بحساب اليوم بملايين الدولارات ، فطبيعي إذاً أن يفضله الناس على غيره من الصحابة عرفانا للجميل وتقديرا لمواقفه المشرفة إزاء الدعوة الاسلامية وإنفاقه السخي في سبيل إعلاء كلمة الله. فالمال عصب الدعوات ، والذين ينفقون عليها يحظون باحترام كبير لدى قادتها وأفرادها ، فلا غرو أن ينال عثمان كل هذا

التقدير من الرسول ومن المسلمين. هذا بالاضافة الى سنه ، فإنه كان يكبر عليا بعشرين الى خمس وعشرين سنة ، فهذا أيضا له دوره في تفضيل الناس له على علي ◢ .

من مستلزمات ختم النبوة :

لا شك ان الله تعالى حين اعلن ختم النبوة بمحمد والرسالات بالاسلام والكتب بالقرآن لا يعني أنه رفع يده عن البشرية وتركها لشأنها ، وانما ختم الرسالات بالاسلام لأنه يعلم ان البشرية قد بلغت درجة من الرشد لا تحتاج بعده الى رسل جُدد ، وإنما يكفي أن يُودع في هذا الدين الخاتم من الصفات ما يكفل له الخلود والايفاء باحتياجات البشرية الى يوم القيامة .

ومن هذه الصفات التي سميناها مستلزمات ختم النبوة ما يلي:

1. أن يحفظ كتابه من التحريف والتبديل والنقصان والزيادة . فإذا كان الله قد أوكل الى الامم السابقة حفظ كتبهم فإنه تكفل لهذا القرآن الحفظ بنفسه ، فقال : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" وليس هذا فحسب بل لقد تكفل بجمعه وقراءته أيضا فقال: " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" وقال :" سنقرؤك فلا تنسى". وقد اودع الله في كتابه من الاسرار ما يكفل بقاءه ونقاءه، فمن أُولى هذه الاسرار ما يمكن تسميته : منظومة الحفظ السريع ، والنسيان السريع ، وعدم الملل من التكرار . فهذه الثلاثة معا تكفل للقرآن بقاءه في الصدور كما هو منذ أنزله الله على قلب رسوله الامين صلوات الله وسلامه عليه ،فهو سهل الحفظ حتى لغير الناطقين بالعربية، ولكنه سريع النسيان ، مما يجعل صاحبه يضطر الى تعهده باستمرار وهنا يأتي دور عدم الملل من تكرار قراءته ، فسهولة حفظه يشجع المسلم على حفظه، وعدم حدوث الملل من تكراره يمنع حافظه من نسيانه لكثرة ترداده وقراءته . وهذا لكي لا يحفظه المسلم ثم يدعه جانبا بل يضطر الى قراءته باستمرار، وهناك ربط عجيب بين هذه الامور الثلاثة ،وهو على عكس الكتب الاخرى التي يصعب حفظها ، و يمل المرء من تكرارها وان كانت قصيدة رائعة او نثرا بليغا.وهناك امور اخرى تكفل الله بها حفظ كتابه ذكرها العلماء ليس هنا محل سردها يمكن الرجوع اليها في مظانها وانما اشرت الى تلك المنظومة لأنني أظن انها من الاسرار التي

اهتديت اليها بفضل الله فأردت ان اضيفها الى اسرار القرآن وأرجو أن لا اكون مخطئا فيما اكتشفت.

2. أن يقطع الطريق على الشرك ، ولهذا نرى القرآن قد أكد على التوحيد تأكيدا شديدا وشدد النكير على الشرك والمشركين بحيث أخبر بأنه يغفر كل الذنوب إلا الشرك فإنه لا يغفره .وكان في الامم السابقة إذا انحرف قوم في عقيدتهم بعث الله نبيا يصحح لهم عقائدهم ، أما وأن الله قد ختم النبوات فلا بد ان يجعل في الرسالة الخاتمة ما يقطع الطريق على الشرك ، من ذلك تحريم التماثيل والصور وبناء المساجد على القبور ، وتشييد القبور ، والحلف بغير الله وغيرها.

3. أن يحفظ سيرة وتعاليم الرسول الخاتم حتى يتسنى للبشرية الاقتداء به ، وقد حصل هذا على أحسن وجه فليس هناك شخصية حفظت سيرته وتفاصيل حياته وتعاليمه مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

4. أن يكون هذا الدين شاملا لجميع مناحي الحياة من عقيدة وعبادة وشريعة الى أخلاق وآداب وقيم وجامعاً لجميع مهام الرسل والانبياء ، فكم من نبي بعث لتصحيح العقائد وآخرون لتقويم الأخلاق وغيرهم لتصيح العبادة أو تصحيح انحراف تشريعي ، أماالنبي الخاتم فقد بعث بكل هذه الامور.

5. أن تكون سيرة هذا الرسول الخاتم شاملة لجميع مناحي ومراحل الحياة ، وليس في الدنيا نبي مر بجميع مراحل الحياة سوى نبينا محمد △ :من الطفولة الى الكهولة ، من الفقر الى الغنى ، من الاضطهاد الى الزعامة والسيادة ،من الضعف الى القوة ، من السرية الى العلنية ، السلم ، الحرب ، الهدنة ، المرض ، الصحة ، العزوبية ، الزوجية ، الابوة ، النصر ، الهزيمة ...الخ

6. أن تكون شريعته شاملة عامة مرنة قابلة لتلبي جميع احتياجات البشر في جميع العصور وجميع الحالات . وهذا الغرض ايضا متحقق في الشريعة الاسلامية على أحسن وجه ، وشهادات المؤتمرات القانونية والفقهية العالمية كمؤتمر لاهاي على صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر خير دليل على هذه الحقيقة.

7. أن يحفظ هذا الدين من أن يستطيع أحد أن يغير تعاليمه ومبادئه ، أو يبدل أولوياته ويرتبها حسب أهوائه ، الامر الذي حصل للديانات السابقة ، فبالاضافة الى حفظ مصادره حفظ محتواه أيضا ، وقد جرت على مدار تاريخ الاسلام محاولات كثيرة من الفرق الضالة لتحقيق هذا الغرض ولكن الله كان يبعث كل مرة من يصحح الاخطاء ويبين الانحرافات ويرد الناس الى جادة الصواب ويعيد ترتيب أولويات هذا الدين كما انزله سبحانه وتعالى ، وكان لعلماء الشريعة واصحاب الحديث القدح المعلى في هذا المجال كالامام احمد وشيخ الاسلام ابن تيمية ، ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي زماننا هذا الدعوة السلفية الصحيحة ، فلولاهم للعب اصحاب البدع واصحاب الفكر غير المنضبط وغلاة الصوفية والعلمانيون والتغريبيون والقاديانيون بهذا الدين ايما لعب وفي هذا يقول رسول الله △ "يحمل هذا العلم في كل خَلف عدولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين "[1] ويقول أيضا " إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[2]

8. ان يوفق النبي في تربية مجموعة من الناس على الاسلام يطبقونه في حياتهم ويحملونه للناس ليمكن القول بأن تعاليم هذا النبي واقعية وقابلة للتنفيذ وليست مثالية .وبما ان هذا الدين دين شامل لجميع جوانب الحياة من عقيدة وشريعة وعبادات وآداب وأخلاق وقيم استوجب ان ينشأ عليه جيل يطبقونه وينقلونه الى من بعدهم ، وهذه النقطة قد يردها بعض الناس ولا يقرونها ، ولكن لو تمعنا النظر فيها جيدا لعلمنا أنها ضرورية ولا بد منها ،

---

[1]. رواه احمد وصححه ، وفي رواية : يرث هذا العلم .. الخ حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى : أخرجه البيهقى (209/10 ، رقم 20700) ، وابن عساكر (38/7) وأخرجه أيضًا : العقيلى (256/4 ، ترجمة 1854 معان بن رفاعة السلامى) ، قال الخطيب سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث وقيل له كأنه كلام موضوع قال لا هو صحيح سمعته من غير واحد)

[2]. الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة ج4/ص568 ح8592 ، وابو داوود في سننه والبيهقي في معرفة السنن والآثار عن أبي هريرة

فلو كان هذا الدين عبارة عن عقيدة مجردة ربما لم يحتج الى ان يربى عليه احد وانما كان يكفي ان ينقله أي واحد الى الجيل القادم كما هو الحال مع الفلسفة ولكن بما انه يحوي جوانب عملية استوجب أن يربى عليه مجموعة من الناس لينقلوه كما قلنا لمن بعدهم ، وهذا يتطلب قدرة فائقة عند هذا النبي الذي يوكل اليه هذا المهام ، فلو لم يوفق النبي نفسه في تربية جماعة على هذا الدين فكيف يوفق غيره من بعده ؟ إذا كان المربي الرسول الكامل ، والمنهج هو القرآن الذي ينزل طريا ثم يفشل في تحقيق هذا الغرض فكيف ينجح غيره من الناقصين القاصرين؟

إن ختم النبوة علمناه عن طريق اخبار الله تعالى به ولكن مستلزماته عرفناها بالاستقراء والاستنباط ، فحين أخبر الله بانه يحفظ كتابه استنتجنا أنه لابد ان يكون هذا الكتاب هو آخر الكتب وإلاّ لمَا خصه الله من بين جميع الكتب التي أنزلها بالحفظ ، وحين رأينا هذا الدين يشتمل على جميع نواحي الحياة وان شريعته فيه من المرونة ما يجعله يستجيب لجميع حاجات الانسان عرفنا بأن هذه الشريعة لابد أن تكون آخر الشرائع ، وهكذا بقية الامور التي أشرنا اليها آنفا والتي حصرناها في تلك الامور الثمانية وقد يهتدي غيرنا الى غيرها ولكن حسبنا انا اهتدينا الى ثمانية منها.

الخاتمة:

قبل أن نختم الكتاب لابد من الاشارة الى بعض الامور التي حدثت في ايران ولبنان والعراق تمس موضوعنا هذا:

لقد شاء الله ان يقيم الشيعة دولة في ايران واخرى في العراق ويحدث فيهما امور تقرب للاذهان طبيعة ما حصل بين الصحابة بعد وفاة الرسول△ وتعطي دليلا ملموسا على صحة مواقفهم وتقيم الحجة على الشيعة مصداقا لقول الله تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" .

ايران:

لقد حدث في ايران بعد قيام الثورة الاسلامية احداث تشابه تلك التي حدثت بعد وفاة الرسول △ ، وكأن الله يريد أن يريهم الحقيقة مجسمة أمام أعينهم ، وهي كفيلة بأن تنقض جميع التهم التي يوجهها الشيعة الى صحابة رسول الله △ ولكن لا السنة ولا الشيعة لم ينتبهوا اليها فمرت دون أن تحدث ضجيجا ! وكان من الممكن لو أُحسن توظيفها أن تغير كثيرا من المفاهيم والموازين . من هذه الاحداث :

1. **عدم تعيين الخميني خليفة من بعده: يقول الشيعة انه لا يعقل ان يترك الرسول △ امته دون ان يعين لهم خليفة من بعده ، والذي حصل في ايران هو ان الخميني الذي كان له نائب طيلة حياته التي قضاها مرشدا للثورة الايرانية وهو آية الله العظمى المنتظري**

ولكن قبل موته بمدة وجيزة عزله ولم يعين احدا مكانه ، ثم كتب وصيته وأمر بقراءتها بعد وفاته ، فلما توفي اخرجت الوصية وتليت على الناس فإذا بها خالية من تعيين خلف له وترك الامر هكذا سائبا للامة دون الاشارة الى من يخلفه !.

2. تأخر دفن الخميني الى ما بعد اختيار خليفته : يطعن الشيعة في الصحابة ويقولون انهم تركوا جثمان الرسول △ وانشغلوا عنه باختيار الخليفة ، وقد حدث مثله تماما بعد وفاة الخميني ، فقد توفي الخميني يوم الاحد وترك جثمانه لمدة يومين دون ان يدفن ودخل الآيات في اجتماعات مكثفة ومغلقة ولم يخرجوا الا بعد ان انتخبوا الخامنئي خليفة له ، ثم بعد ذلك قاموا باجراء مراسيم التشييع والدفن !.

3. اختيار الخامنئي لمنصب مرشد الجمهورية الاسلامية مع وجود من هو اعلم وافضل منه : يقول الشيعة ان الامام (الخليفة) يجب ان يكون اعلم الناس وافضلهم ولكن الذي حدث هو ان الخامنئي لم يكن اعلم الموجودين فقد كان هناك كثيرون يفوقونه علما وفضلا ومرتبة منهم آية الله العظمى المنتظري، فالخامنئي كان في حينه حجة الاسلام ، والحجة مرتبة دون مرتبة الآية ، ولم يكن قد بلغ مرتبة الاجتهاد ، ولكنه مع ذلك اختير خليفة للخميني ومنح لقب آية الله كما يفعل بعض العسكريين تماما حين يقوم احدهم بانقلاب عسكري ثم بعد ذلك رأسا يمنح أعلى الرتب العسكرية !.

4. مجيء الخامنئي عن طريق الاختيار لا التعيين: يقول الشيعة ان الامامة لا تكون بالشورى والاختيار من قبل المسلمين وانما بتنصيب من الله او من النبي او من الامام ، والذي حصل في ايران هو عكس ذلك ، فخامنئي لم ينصبه لا الله ولا الرسول ولا الامام وانما اختاره مجموعة من العلماء ، فإن جاز هذا في هذا العصر فلم لا يجوز في عصر الصحابة الذين رباهم رسول الله بنفسه؟ واذا جاز اختيار خليفة للامام فلم لا يجوز اختيار خليفة للرسول ؟.

5. يشترط الشيعة فى الامام ان يكون من ائمة اهل البيت ، ولكن السيد الخميني اختار آية الله المنتظري نائبا له وهو ليس من اهل البيت والذي عزله دون بيان السبب . ولنا ان نسأل هنا :

أولا: لماذا اختار الخمينى المنتظري نائبا له وهو ليس من اهل البيت؟

ثانيا: لماذا حين عزله لم يعين احدا مكانه؟ الم يكن اعلمهم بالرجال ؟ الم يكن يعلم من هو احق بذلك المنصب ؟ الم يعين اعضاء مجلس الشورى الاثنين والسبعين بعد حادث الانفجار في وقت قياسي ؟ فلماذا ترك الامة بدون ان يعين لهم اماما؟

ثالثا: والاهم من كل ذلك : لماذا ترك الامر للشورى ؟ هل كان واثقا من نضج وكفاءة وأهلية مجلس الشورى ؟ هل هؤلاء العلماء اعرف منه بالرجال وبمصالح الامة ؟هل الذين تركهم اكفأ وانضج ممن تركهم الرسول△ ؟

لقد حصل في ايران مثل ما حصل في عهد النبي مع بعض الفوارق المهمة ، منها:

- ان صحابة الرسول △ كانوا اطوع لرسول الله من اصحاب الخميني للخميني.
- لم يكن هناك من ينافس النبي على الامامة في حين كان المنتظري –على ما يبدو– ينافس الخميني نفسه ، وربما كان هذا احد اسباب عزله ، وربما كان من اسباب عزله اختلافه معه في مسألة ولاية الفقيه ولم يكن هذا الاختلاف واردا بين النبي واصحابه.
- لم تكن في عهد الرسول △ مؤسسات تدير الدولة وانما كان الرئيس كل شيء ، سواء كان نبيا او خليفة ، فإذا بقي الناس من دون رأس لربما حدثت فتن ومشاكل يصعب على ولي الأمر القادم حلها بسهولة ، بينما كانت الدولة في عهد الخميني تديرها مؤسسات ، فلو سارع الناس الى دفن الخميني قبل اختيار خلف له لما حدث امر ذوبال لأن مرافق الدولة لم تكن لتتعطل فكل مؤسسة تدير امرها بنفسها من دون حاجة الى الرجوع الى الامام بعكس الوضع في عهد النبي فلو بقي الناس من دون امام لاضطربت الامور ، لاسيما اذا عرفنا ان الانصار كانوا مجتمعين في السقيفة للبت في امر الخلافة ، فلم يكن أمام ابي بكر وعمر خيار آخر سوى الذهاب الى السقيفة ، فإذاً ان تاخر دفن النبي الى ما بعد اختيار الخليفة امر معقول ومنطقي ، اما في ايران فان تاخير دفن الخميني لم يكن له مبرر اللهم الاّ إذا كان لجثمانه تاثير على المجتمعين حيث يجعلهم يمتنعون عن الاختلاف والتنازع على الامامة في حضرته كما لو كان حيا. ولنسأل الشيعة بعض الاسئلة:

اولا: هل انشغال المسؤولين في ايران بمسألة اختيار خليفة للخميني قبل دفنه كان اجراء صحيحا ام خاطئا؟

لا اظنهم يقولون بانه كان خطئاً . فإذا كان مثل هذا الاجراء صحيحا في دولة تحكمها المؤسسات ولا تتوقف الامور فيها بموت الامام فكيف لا يكون صحيحا في دولة بدائية تعتمد في كل اداراتها وشؤونها على شخص الرئيس؟

والاهم من ذلك ان الخميني كان مرشدا روحيا اكثر منه قائدا او رئيسا مما يجعل موته اقل تأثيرا على مؤسسات الدولة ، بينما كان الرسول △ كل شيء في تلك الدولة.

ثانيا: هل كان المسؤولون في ايران مضطرين الى اتخاذ مثل ذلك الاجراء واختيار المرشد قبل دفن الخميني؟

إذا كان الجواب نعم فأين وجه الاضطرار ؟

في اعتقادي انهم لم يكونوا مضطرين الى ذلك وكان من الممكن ارجاؤه الى ما بعد دفنه وانهاء مراسيم العزاء ولكن يبدو انهم ارادوا ان يتولى المرشد الجديد مهام الدفن ويدير ويرأس مراسيم العزاء .

إذاً لم يكن هناك اضطرار الى الاسراع للاجتماع لاختيار مرشد للثورة قبل دفن الخميني اللهم الاّ إذا كان هناك امور لا نعلمها نحن كوجود خلاف ونزاع بين اقطاب النظام مما جعلهم يخافون من انخراط العقد وانتشار الفوضى فأرادوا ان يحسموا الامر قبل دفن الخميني مستغلين انشغال الناس وتأثرهم بموت الخميني. فاذا كان كل هذا الاجراء صحيحا في ايران فلماذا لم يكن اجراء الصحابة صحيحا لا سيما المهاجرين حيث اضطروا الى ترك جثمان الرسول واللحاق بالانصار لكي لا يبُتّوا في الامر بمفردهم ؟ ام ان الشيعة يريدون من سادة القوم أن يجلسوا على جثمان الرسول يبكون ويذرفون الدموع والانصار مشغولون بامر ولاية المسلمين؟ هل من العقل الانصياع وراء العاطفة في مثل هذه الحالات؟ ام ان الحالة تتطلب رجالا اقوياء لا تثنيهم ولا تقعدهم الفواجع الكبيرة عن التفكير في مصير الامة التي تركها رسول الله امانة في اعناقهم؟

هل انشغال الصحابة باختيار خليفة لهم يعني عدم تأثرهم بموت النبي △؟ هل كان موت النبي اقل تأثيرا على الذين عاش بينهم من عشرة الى ثلاثة وعشرين سنة من تأثير موت الخميني على الشعب الايراني الذي لم يعاشره ولم يره الا من خلال التلفزيون او في محاضرات ولقاءات قصيرة ؟

لم يتحدث احد في ايران عن وجود تناقض بين تأثر الناس بموت الخميني واجتماع اقطاب الدولة لاختيار خليفة له ، فلماذا إذاً يسعى الشيعة الى اظهار تعارض بين تأثر الناس بموت النبي △ وانشغال كبار الصحابة باختيار ولي امر المسلمين؟

ان الشيعة يحرصون على اظهار الصورة بشكل يوحي بان الصحابة لم يتأثروا بوفاة الرسول △ وانهم انشغلوا عنه بالبحث في مسألة الخلافة ويعمدون الى ابراز الجانب العاطفي من المسألة ودغدغة العواطف والمشاعر بدلا من المحاكمة العقلية لها ، فيخرجون الصورة كالآتي : رسول الله ميت واهل بيته منشغلون بغسله والصحابة غير مكترثين به وتاركون جثته الشريفة ومجتمعون في مكان آخر بعيدا عن جثمانه الشريف يبحثون امر الخلافة ويتنازعون عليها!.

فلو تدبر الشيعة هذا الامر بقليل من العقلانية ولم يتعمدوا تشويه الحقيقة والتصيد في الماء العكر لأعذروا الصحابة فيما فعلوه لا سيما الشيخين ابي بكر وعمر ولعدّوا ذلك من مفاخرهم ومواقفهم المشرفة ومن علامة احساسهم بالمسؤولية ولاعترفوا باهليتهم لقيادة الامة بعد رسول الله △ ولكنهم فعلوا عكس ذلك واتهموا الصحابة بما اتهموهم به حتى جاء عصرنا الحاضر فحدث لهم مثل ما حدث للصحابة ولكن من دون ان يلتفت احد الى ما فعلوه!.

لقد أراد الله بهذا الحادث ان يري الشيعة دليلا عمليا على بطلان دعاواهم واتهاماتهم للصحابة ولكن هيهات ان يفهموا هذه الحقيقة وقد اصبح كره الصحابة جزءاً من عقيدتهم وضرورة من ضروريات مذهبهم.

النزاع على السلطة في ايران:

حدث آخر له اهمية بالغة هو النزاع الذي حصل مؤخرا بين اقطاب الثورة وتلامذة الخميني المقربين ، فبعد مرور عشرين عاماً على وفاة الخميني طفح الخلاف على السطح بين التلامذة المقربين للخميني واصبح على اشده في الانتخابات الاخيرة الى درجة ان كل طرف أخذ يكيل التهم للطرف الآخر ، فالتيار الاصلاحي الذي يمثله رفسنجاني وكروبي والموسوي يتهم التيار المحافظ الذي يمثله الخامنئي واحمدي نجاد بالانحراف عن خط الامام ، و التيار المحافظ يتهم التيار الاصلاحي بالخيانة وعمالة الغرب ولكن مع ذلك فالكل يفتخرون بالانتساب الى الخميني ولم يؤثر هذا الخلاف على انتمائهم لا للمذهب ولا حتى للخميني ، أي أن هذا الخلاف السياسي بين اقطاب الثورة لم يدفع اي طرف منهم الى التبرؤ من الخميني ومدرسته او الارتداد عن المذهب . فإذا كان هذا شأن تلامذة الخميني فمن باب أولى ألاّ يؤثر النزاع السياسي الذي حصل بين الاصحاب على انتمائهم للاسلام واتباعهم للرسول ، فلم يكن احد منهم يرى ان فلانا من الناس أو علانا منهم يمثل الاسلام فإذا نازعه فقد نزع ربقة الاسلام من عنقه ، وانما كانت نزاعاتهم نابعة من اجتهادات سياسية بعضهم أخطأ وبعضهم أصاب ، ولكن ظلوا على ولائهم للاسلام واتباعهم للرسول△.

الانتخابات ومبدأ الامامة :

وحدث آخر له اهمية كبرى ويعد نقضاً لمبدأ الامامة الالهية وهي الانتخابات التشريعية والرئاسية التي تحصل في كل من ايران والعراق ولبنان ، فانك ترى الشيعة في هذه الدول احرص الناس على الانتخابات، والتي تعني توكيل اختيار الرئيس او اعضاء البرلمان الى الشعب وهذا مناقض لما كانوا يدعونه في الماضي بأن منصب الرئاسة والامامة يجب ألاّ تخضع للشورى وانما يتم نصبه من قبل الله او النبي او الامام ، واقرأ ان شئت كتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر الذي يعبر عن رأي الشيعة في مسألة الخلافة والامامة لترى بنفسك كيف يعارض فكرة الانتخابات وينتقدها ويرى ان الناس ليسوا قادرين على معرفة الافضل للرئاسة والامامة !

ولجوء الشيعة الى الانتخابات هو تخلٍّ عملي عن مبدأ الامامة الالهية واعتراف ضمني بخطأ هذا المبدأ ولم يبق امامهم الاّ التخلي عن تبعات هذا المبدأ وهو الغلو في الائمة والطعن في الصحابة والاعتراف بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا علياً .

الامامة ليست مبدءاً:

وهذا – اي اللجوء الى الانتخابات– يعني أن الامامة عند الشيعة ليست مبدءا فلو اختار الناس في حينه علياً◄ لما لجئوا الى القول بالنص والوصية ، فلجوؤهم الى النص والوصية لم يكن الاّ بسبب وقوف الاكثرية مع الشيخين فلو كانت الاكثرية في حينها مع علي لقالوا بالاختيار لا بالنص ، والدليل هو حرص الشيعة في العراق على الانتخابات وعلى رأي الاغلبية ، فلأنهم واثقون بأنهم هم الاكثرية يدعون الى الانتخابات ، ولو كانوا اقلية لما قالوا بالانتخابات ولتمسكوا بمسألة النص الالهي او الامامة الالهية كما هو الحال مع الحوثيين في اليمن فإنهم لو كانوا يشكلون الاكثرية لما دعوا الى الامامة الالهية وامامة البطنين(ذرية الحسن والحسين) بل دعوا كشيعة العراق الى الانتخابات.

وقول الشيعة ان الامامة لطف الهي و لذلك يجب على الله تنصيب الامام مناقض للانتخابات، لأنه لا يعقل أن تكون الامامة لطفاً إلهياً وأن يكون نصب الامام واجباً على الله في زمن دون زمن ! إلاّ أن يكون الناس في هذا العصر اقدر على معرفة الاصلح للامامة والرئاسة ، وهذا غير صحيح لأن وسائل الخداع في هذا العصر اكثر من اي عصر مضى .

وأمر آخر يناقض الامامة الالهية ويهدمها وهو اعتماد معايير اخرى غير التي كانوا يعتمدونها عند الحديث عن الامامة وهي ان يكون الامام اعلم الناس وافضل الناس وأن يكون معصوما الخ ، فاليوم لايختارون الافضل دينا لرئاسة الدولة وانما يختارون الاكفأ سياسيا ويفرقون بين رجل الدين ورجل السياسة ولا احد يشترط العصمة في رئيس الدولة ولا حتى في المرجع الديني الذي يستفتيه الرئيس في الامور الدينية.

– من المآخذ التي يأخذها الشيعة على عمر بن الخطاب ◄ انه عطل عقوبة قطع يد السارق في عام الرمادة رغم انه ليس من اركان الاسلام مع وقوع المجاعة فعلا ، وشاء الله أن تأتي الايام فيعطل الخامنئي ركنا من اركان الاسلام وهو الحج الى بيت الله الحرام لعام

1431 للهجرة لمجرد انتشار اشاعة حول احتمال انتشار وباء انفلونزا الخنازير في الحج بسبب الزحام علما انهم لم يعطلوا مراسيم العزاء على الحسين في عاشوراء التي جاءت بعد شهر فقط من مراسيم الحج واجتمع فيها اكثر مما اجتمع في الحج –كما يقول الشيعة – مع رداءة مستوى الخدمة الصحية في كربلاء على عكس الحج !!!

الصراع على السلطة في العراق:

عندما اكتب هذه الفقرة يكون قد مضى على الانتخابات العراقية حوالي تسعة اشهر والحكومة لم تشكل بعد والصراع على السلطة بين الاحزاب الشيعية مستمر ولا يستطيع ان يحله لا الولي الفقيه ولا المرجع الديني واحيانا يصل الصراع الى حد قذف الاطراف المتنازعة لبعضها بأبشع التهم الاّ تهمة الخروج عن الدين او المذهب! فما معنى تعيير الصحابة لمجرد خلاف بسيط بينهم في السقيفة سرعان ما تجاوزوه وبايعوا ابابكر ، امثل ذلك المجتمع يحتاج الى ان ينصب الله لهم الائمة وهذا المجتمع لا يحتاج ! أي عاقل هذا الذي يقول بهذا الكلام ؟ إذا كانت الامامة لطفا الهيا فمجتمعاتنا اولى بها من ذلك المجتمع الذي حسم خلافاته في بضع ساعات ، فهل يعقل ان يمن الله على ذلك المجتمع بالامام ويترك هذه المجتمعات في مهب الريح ونهبا للاطماع؟

انتهى الكتاب بحمد الله تعالى